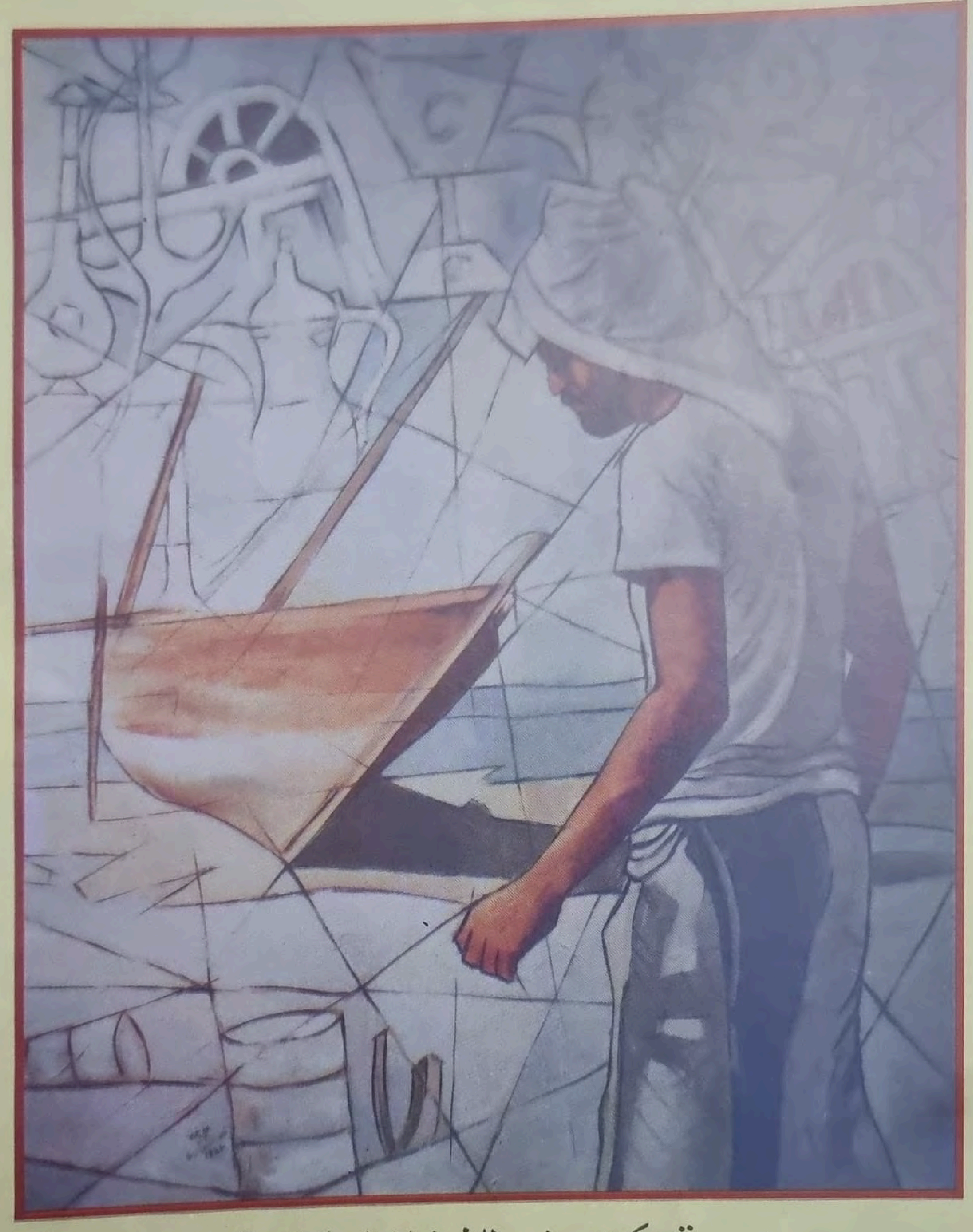
العربي

حرم ١٤١١ هـ - أغسطس (آب) ١٩٩٠ م

جامعة صنعاء

إشعاع حضاري
من بلاد التاريخ العريق



تكوين - للفنان الكويتي علي نعمان

العدد ٣٨١ . السنة الثالثة والثلاثون - أغسطس ١٩٩٠



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

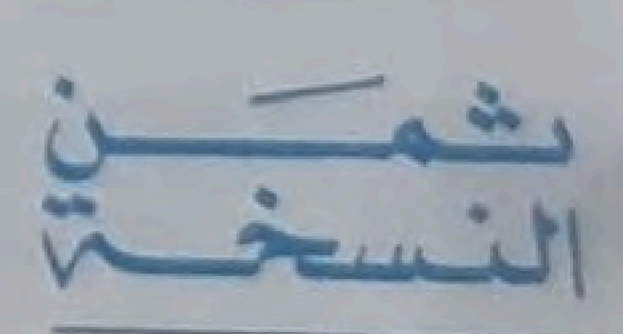
رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL - ARABI
Issue No: 381 Aug. 1990 - P.O. Box: 748
Postal Code No. -13008 Kuwait.
A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State OF Kuwait.

عنوان المجلة
العربي
ص.ب: ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون: ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٣٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيًا: "العربي" - الكويت
تلفون فاكسملي: ٢٤٢٤٣٧٥ - تلكس: MITR. 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الاعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الاعلانات

الاشتراكات
ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام - ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٦ د.ك أو ٢٠ دولارًا باقي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولارًا



الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	سوريا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الامارات ٧ دراهم
الأردن ٢٥٠ فلسًا	السعودية ٦ ريالات	المغرب ٥ دراهم
البحرين ٤٠٠ فلس	موريتانيا ٨٠ أوقية	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن ٣٠٠ فلس ٦ ريالات	قطر ٧ ريالات	أوروبا: جنيه استرليني ونصف
مصر ٣٥ قرشًا	سلطنة عُمان ٤٠٠ بيسة	فرنسا ٢٥ فرنكًا
السودان ٢٥ قرشًا	لبنان ٥٠ ليرة	أمريكا ٣ دولارات



محتويات العدد



● في الكويت : الصيف يصبح أمتع [ص ٨٤]

● «هَبِل» عيننا على العالم [ص ١٥٢]

قضايا عامة :

سياسة واقتصاد :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

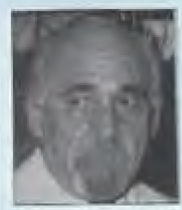
أدب وفنون :



تربية وعلم نفس:

● صنعاء في كل ركن من أركانها بقايا تاريخ قديم، إنها أجمل مدن العالم عمارة وأقدمها. سورها الشهير يرجع تاريخه إلى عصور ما قبل الإسلام، ومنذ بدء الثورة، واليمن تمضي لتحقيق خطط التنمية، لذلك كانت وجهة بعثة «العربي» إلى جامعة صنعاء.

[طالع الاستطلاع ص ٦٨]



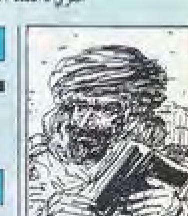
● من دفتر ذكريات يوسف الصائغ: شاهد في غرفة الضيوف [ص ٢٢]



● السعال الدامي عرض واحد وتشخيصات متعددة [ص ١٥٧]



● وجها لوجه: أمينة السعيد وأمينة شفيق [ص ٩٧]



● الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز
[ص ٤٤]



● لورنس العرب، سيرة الحياة المعتمدة
[ص ٢٠٥]

منتدى العربي:

تاريخ وتراث وأشخاص:



مكتبة العربي:

أبواب ثابتة:



صورة الغلاف

● جولة بعثة «العربي» هذا العدد في المجر. وزوار بودابست العاصمة يفاجأون عند وصولهم بأناس تعلو وجوههم أمارات جادة، وتشتد حركتهم، وتسرع خطاهم، وتوحي نظراتهم بأكثر من علامة استفهام. فما الذي تغير على صفحات الدانوب؟ وفي أي اتجاه تسير رياحه الآن؟

[طالع الاستطلاع ص ١٣٦]

البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

مساهمة في النقلة النوعية

دخلت التقنية الحديثة عالم النشر بقوة، وباتساع لم يكن متخيلا حتى منذ سنوات قليلة، ونحن - المخضرمين في «العربي» - درجنا على النمط القديم في تحضير المادة للنشر من طباعة وتصحيح، ثم إعادة طباعة وتجهيز، عن طريق القص واللصق، ثم إخراج الصفحات وخطها من قبل الخطاطين، وإرسالها أخيراً للمطبعة.

كل هذه الخطوات الطويلة التي تحتاج إلى مجموعة من البشر ووقت طويل، قد أنهتها التقنية الحديثة بضربة أصبع، إن صح التعبير، وذلك بوجود جهاز حاسوب متعدد البرامج وبثمن، أيضاً، ليس كبيراً، وعندما حاولنا التعرف على هذا المجال الجديد وجدنا أن التطور فيه تطور يكاد لايصدق. ومن خلال الإنتاج العربي والإنتاج الغربي، هنا لانقصد به مايسمى بهاردوير، ولكن السوفت وير، أي إنتاج البرامج العربية، فأنت تستطيع أن تدخل النص من خلال الحاسوب، ويقوم هو بتصحيحه عربياً حسب رغبة المصحح المبرمج، إن كان ثمة خطأ، ويعطيك خيارات في المفردات، ثم تستطيع أن تخرج الصفحات، وأنت تشاهدها على شاشة الحاسوب، وتحدد أنواع الخطوط التي تريدها، والمساحات المتروكة للصور. وبسرعة تختصر الزمن؛ أي ان خطوات ماقبل الطبع تختصر الوقت والجهد اختصاراً شديداً، وتقدم نتيجة أفضل في ضبط الصفحات.

لماذا نقول هذا الكلام الآن؟

لأننا في «العربي» قررنا - بمشيئة الله - مواكبة العصر، واستخدام التقنية المتطورة في عمليات ما قبل الطبع. وسيجد القارىء، بدءاً من مطلع العام القادم، نتيجة هذا الاستخدام التقني ظاهرة بينة أمامه، لتقديم طباعة أفضل وإخراج أفضل.

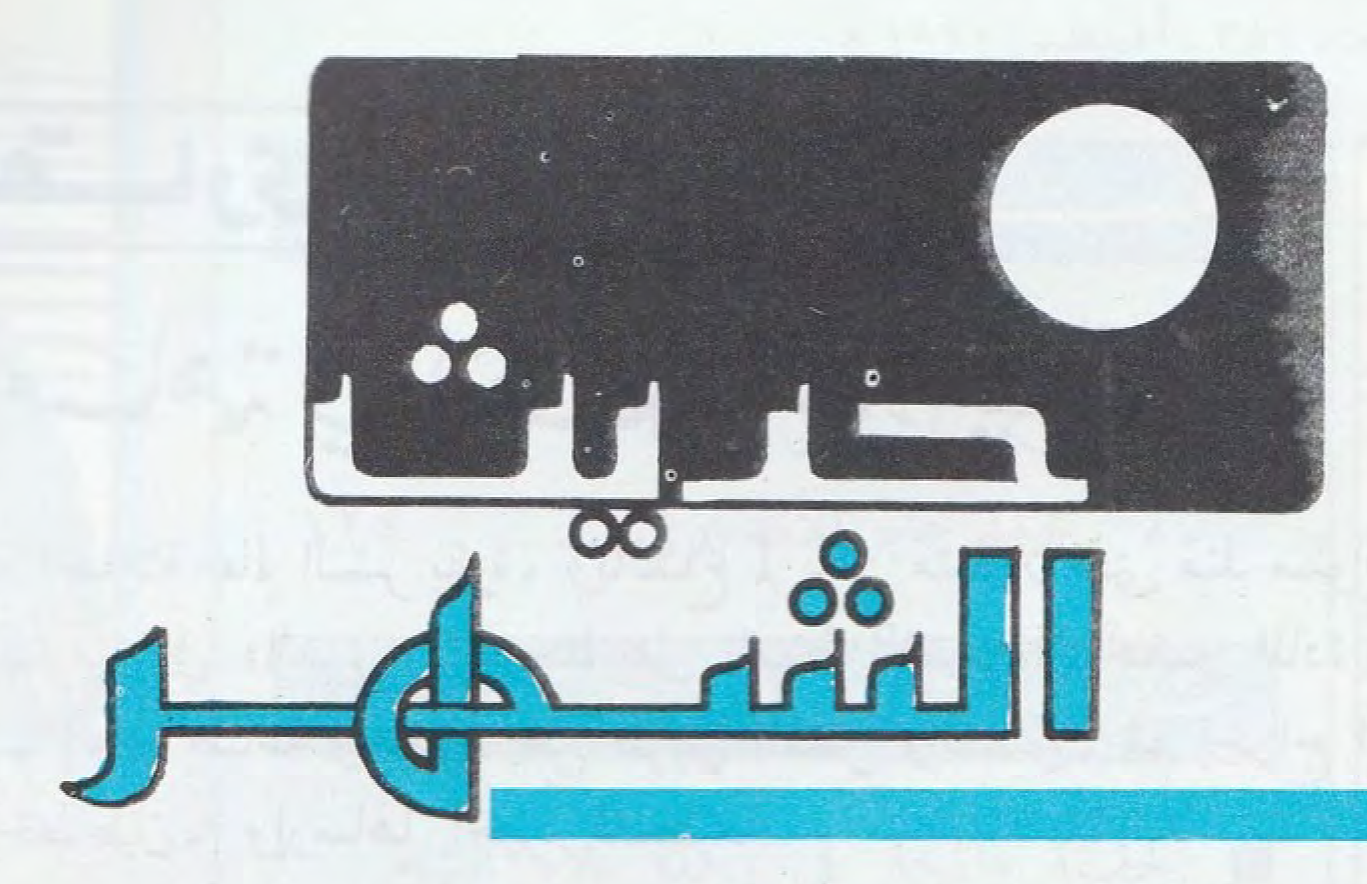
هذه خطوة بسيطة صغيرة، من ضمن خطوات أكبر وأعظم تنتهجها الكويت تنفيذاً لرغبات أميرها المنفتح على العصر، العارف بأهمية العلم والمعرفة، فدعوته لنقلة حضارية متميزة في التسعينيات شملت أركاناً ومشروعات عديدة في دولة الكويت، وأهم من ذلك أن روحها قد سرت لدى الجيل الطالع الطامح إلى أن تحتل بلاده، في جميع المجالات، مكاناً أفضل.

وعودة إلى مواد هذا العدد، وهو عدد صيفي، أردنا أن يشمل جانب الترويح والإفادة، فقدمنا استطلاعاً عن الصيف في الكويت، وسافرنا إلى المجر، أحد بلدان التغير الجذري في أوربا الشرقية، كما قدمنا استطلاعاً آخر عن العلم في صنعاء، فالحكمة يمانية.

أما المقالات النقدية والدراسات فهي عديدة، تتراوح بين القضية العربية والاتحاد السوفيتي إلى تعريف للسياسة الاقتصادية بمعناها العام.

وموضوعات أخرى عديدة مشوقة، منها: لغة الإشارة، وشارب ولحية الرجل هل يدلان على نفسيته، وفي المسرح والعلوم، والطب، والذكريات وشؤون الطفل، فإننا نجد لها كلها، ونجد لغيرها مكاناً على هذه المائدة الثقافية الشيقة. ونرجو أن نحظى برأي القارىء وتعليقه.

«المحرر»



بقلم الدكتور
محمّد الرميحي

سَفَرُ الصَّيْف وإكْرَام الضيْف



ما الخيط الذى يربط هذه الأسماء الثلاثة : السفر ، والضيافة ، والكرم ، حتى تصبح هدفاً لحديث واحد ؟ أحسب أن ذاك هو فصل الصيف ، ففي هذا الفصل يلجأ ملايين من الناس في هذه المعمورة بعامة ، ومئات الآلاف منهم في وطننا العربي بخاصة ، إلى السفر والانتقال والترحال ، استجابة لطبيعة أزلية ، جبل عليها البشر ، وهى حب التغيير والتبديل والانتقال من حال إلى حال .

الشاعر لويس ستيفنسن يقول : **أنا أسافر لا لأذهب لأي مكان ، بل لأذهب ، أنا أسافر من أجل السفر ، القضية الكبرى هي أن أتحرك .** والشاعر العربي يقول :

تَغَرَّبْ عن الأوطانِ في طلبِ العُلاَ ... وسافِرْ ففي الأسفارِ خمسُ فوائِد
تَفَرُّجُ هَمٍّ واكتسابُ معيشةٍ ... وعلمٌ وآدابٌ ، وصحبةُ ماجدِ

المشاركة في المأكل والمشرب كانت تعني مشاركة في الولاء والحماية

فالسفر خبرة تنشط الحواس الخمس للإنسان : الرؤية والسمع والتذوق واللمس والشم ، إنه تفقه وتفكر كما يقول القدماء ، ولا يغيب عن ذاكرتي القول بأن المسافرين هم «ضحايا سعداء لحقيبة السفر» . كيف تكون ضحية وسعيداً في الوقت نفسه ؟ موقف إنساني نادر ، لكنه موجود عند القيام بالسفر .

والضيافة لها علاقة ما بالسفر ، فكل مكان تذهب إليه ، وأنت لست صاحبه ولا مالكه ، فأنت ضيف فيه ، والبقاع التي تسافر إليها ، حتى إن كانت داخل القطر الواحد ، فيها بشر ، ولابد أن يكونوا مضيافين بشكل ما ، والضيافة لها أشكال تقليدية متعددة نعرفها ، وبعضها غريب عنا ، ولكن قد تكون ضيافة سلبية - إن صح التعبير - فالأسبان في موسم الصيف الماضي أطلقوا شعاراً ، أرادوا أن يتحلى به كل مواطن أمام ملايين السياح والقاصدين بلادهم ، وكان الشعار هو : مساهمتك في إنجاح موسم الاصطياف ابتسامة ، وقد تكون المساهمة أكثر سلبية من ذلك ، كأن تسافر إلى بلد تقابل فيه أناساً فكرتهم عن الوقت أكثر ضبابية منك . الابتسامة والفكرة الضبابية عن الوقت نوع من أنواع الضيافة السلبية .

أما الكرم فهو الجزء الايجابي من الضيافة ، والأكثر تشويقاً في السفر ، فأنت كريم مع نفسك إن قررت أن تأخذ إجازة وتتمتع بها بعيداً عن الروتين مع أسرتك وأولادك ، وأنت كريم أيضاً مع عملك إذ سوف تعود إليه أكثر نشاطاً وحيوية . ومن جهة أخرى فإن الضيافة نوع من الكرم ، سواء أكانت ضيافة إيجابية أم سلبية كالتي ذكرناها سابقاً .

وتختلط الضيافة بالكرم ، فنقول في مقام ما : كرم الضيافة . وهي بجانب كونها سلوكاً إنسانياً فهي إشباع في الوقت نفسه لحاجة نفسية عميقة ، نجدها متأصلة لدى شعوب كثيرة قديمة وحديثة .

إطعام الضيف وحمايته

كرم الضيافة جزء لا يتجزأ من النشاطات الاجتماعية في حياة الناس ، يخلق علاقة خاصة إيجابية بين الضيف والمضيف ، وهو موجود في كل الثقافات تقريباً . وفي تراثنا العربي هناك أبواب واسعة لقواعد الضيافة والكرم ، تنظمها قواعد وقيم وأعراف ، ومن ضمن كرم الضيافة لدى العرب ، وبخاصة أبناء الصحراء ، أن يعيش الضيوف تحت حماية المضيف فترة معينة من الزمن ، يتمتعون في هذه الفترة بحقوق وافية ، طبقاً لقواعد



وقيم للنبل والضيافة في الصحراء ، وأبسط صور الكرم والضيافة هي العناية بشخص ما ، ورعايته فترة من الوقت دون انتظار مقابل أو جزاء . وقد تأصل كرم الضيافة ليصبح عرفاً له قواعده ، يتسابق إليه القادرون العارفون بايجابياته الكثيرة ، حتى خلد لدينا بعض أسماء الكرام إلى يومنا هذا ، وذكر الكريم المضياف عند الشعراء بمثابة دخول إلى بوابة التاريخ الواسعة .

يذكر لنا التاريخ العربي أن هاشماً جد الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان كريماً ، ليس مع البشر فقط ، بل كان يطعم الطير والجوارح في الجبال ، وهناك قائمة معروفة بأسماء أعلام من العرب ، أهم مايميزهم أنهم لم يأكلوا وجبة طعام وحدهم منذ أن بلغوا مبلغ الرجال ، وكان منهم من يصبر يومين أو ثلاثة انتظاراً لوصول ضيف ، وقد أصبح هؤلاء الآباء مصدر فخر لأبنائهم ، وشاعت بين العرب مقولة «أنا ابن من لم يأكل طعاماً وحده قط» .

وأشهر من سجل له التاريخ مآثر في الكرم هو حاتم الطائي ، كريم بني طيىء وسيدها الذي رويت عنه مآثر كثيرة ، أشهرها ماقالته سفانة ابنته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندما وقعت في الأسر ، فقد عددت له خصال أبيها ، من أنه كان (يُفرج العاني ويقرى الضيف ويشبع الجائع ويطعم الطعام) ، فقال الرسول الكريم لأصحابه : إن شئتم تركتموها ، فقد كان أبوها رجلاً يحب مكارم الأخلاق . وقد بلغ من فرط حرص حاتم على الكرم أن أنب ابنه عَدِيًّا عندما رآه يضرب كلبة له فقال :-

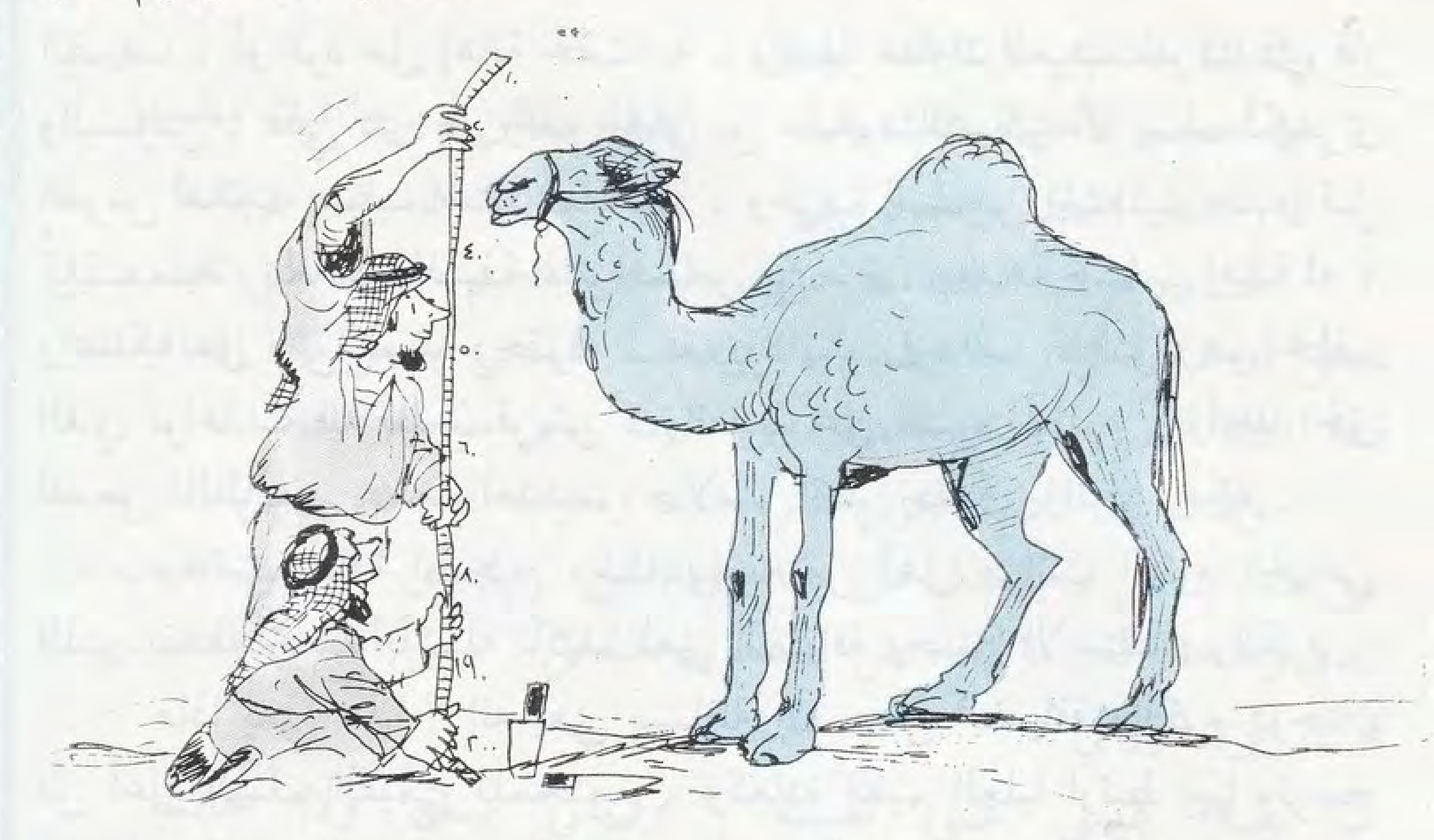
أقول لابني وقد سُطَّت يداه ... بكلبة لايزالُ يجلدُها
أوصيكَ خيراً بها فإنّ لها ... عندي يداً لا أزالُ أَحْمَدُها
تَدُلُّ ضيفى عليّ في غلسِ الليلِ ... إذا النارُ نامَ مُوقِدُها

وعندما سعى ابن عم حاتم بالوشاية بينه وبين زوجته ، وقال لها : إن حاتما سيفني ماله على النّاس ، فوجيء حاتم بزوجه وقد غيرت وجهة باب الخيمة ، وكان من عادة بعض أحياء العرب أن المرأة إذا غيرت وجهة الباب فقد طلقت زوجها ، وقد قالت زوجه قصيدة تعيب فيها عليه إسرافه وكرمه ، فرد عليها بقصيدته الشهيرة التي مطلعها :

أَمَاوِيَّ إنّ المالَ غادٍ ورائحٌ ... ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذِّكْرُ

ولا يقصر الأمر على البدو والعرب في إكرام الضيف وإعطائه منزلة خاصة ، فقد ذكر لنا التاريخ أن لليونانيين وللرومان أعرافاً في الإيواء

أن تقدم طعامًا لضيف وأنت شبعان شيء ، وأن تقدمه للآخر وأنت في حاجة إليه فذلك أقصى مراتب الكرم



والكرم ، فقد كان تحضير الطعام والمشاركة فيه وتبادله بين عدة أشخاص أو مجموعات يشكل عرفاً في المجتمع اليوناني ، والروماني القديم ، وكان أحد عناصره الحيوية بينهم ، حيث إن الغريب الذي يشارك في الطعام يلزمه حق الوفاء للمجتمع .

إلا أن كرم الضيافة عند عرب الصحراء أكثر عمقاً ومضموناً ، حيث إن شربة من الماء قد تنقذ رقبة إنسان من الموت ، فالمشاركة في المأكل والمشرب مشاركة في الولاء أيضا ، ولم يذم العرب شخصاً كما ذموا المتنكر للكرم وحسن الضيافة . ولقد أثرت الطبيعة الصحراوية على تأصيل هذه العادة ، ففي أرض هي إلى الجفاف والندرة في المياه أقرب ، يصعب العيش الفردي ، بل يستحيل ، الأمر الذي عزز روح التماسك تجنباً للفوضى والهلاك . إن توفير الماء والزاد للمسافر في الصحراء يوفر له قدرة على التنقل ، ويوصله بأسباب الحياة .

أقصى درجات الكرم

إلا أن الأمر الذى لاجدال فيه أن الضيافة والكرم هما من السلوكيات الاجتماعية لثقافات عديدة ، وهما يرتبطان بالثقافة الاجتماعية السائدة ، ويؤثر فيهما كل مكونات الثقافة الاجتماعية ، من خصائص البيئة ونمط الانتاج وشكل العلاقات الاجتماعية السائدة . ولعلي أذهب إلى أبعد من الضيافة بمعناها المباشر ، وهي أن يُؤوي المضيف الضيف ، فأقول : إن ما يمكن تسميته التاريخ الأدبي لمعارك العرب يتمحور حول الوفاء بحق

الضيف ، أو الرد على إهانة لحقت به ، وأشهر معارك العرب معركتا ذي قار والبسوس ، ففي ذى قار رفض هاني بن مسعود الشيباني أن يسلم لكسرى الفرس أمانات ضيف استودعها عنده ، وحرب البسوس اشتعلت عندما قتل كُليب سيد ربيعة ناقة ضيفة عند جساس بن مرة ، فعدها جساس إهانة له ، واعتداء على حمى ضيفه وحقوقه ، فقتل كليباً . وحلف الفضول هو الحلف الذي تواعدت فيه بطون قريش ، واتفقت على نصرة المظلوم ، وأخذ الحق له من الظالم ، بعدما تعددت حالات أخذ حقوق زائري مكة .

وكانت رفادة الحجيج وسقايتهم ، من أعلى مراتب الكرم الجماعي الذي يقدمه مجتمع بأكمله تأكيداً لمعنى الضيافة وحسن الاستقبال والكرم .

ماذا يعني هذا ؟ إنه يعني ببساطة أن حسن الضيافة والكرم درجتان من أعلى السلم القيمي للمجتمع ، وكعادة القيم العليا ارتبط بهما وترسخ حولهما عدد من السلوكيات التابعة ، وأفرط الناس في ترسيخ حُسن الضيافة ومفاهيمها وشدة الكرم ، وطقوسهما ، وإذاعتهما ، ولذلك فإننا نجد في القرآن الكريم تناولاً للضيافة والكرم ، وفق ما استقر عليه المفهوم العربي ، يقول سبحانه في كتابه العزيز بصدد الحديث عن ضيوف لوط ، وسوء نوايا أهل بلدته تجاههم : «قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي» ، وهذه درجة من أقسى وأقصى مايذهب إليه الرجل عند العرب ، عندما يقدم بناته ليفتدي بهن ضيوفه .

وفي صدد الكرم يقول الله في الكتاب الكريم : «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً» ، وهذه أقصى درجات الكرم أيضاً ، فإنك إن تقدم طعاماً وأنت شبعان شيء ، وأن تقدمه على حبه ، وأنت في حاجة إليه للآخر ، فذاك شيء آخر أعمق .



ومن هنا نفهم كيف أن القاعدة الأولى لكرم الضيافة عند العرب هي العطاء بلا مقابل ، ويشعر المضيف بشيء من الإهانة إن عرض عليه ضيفه مقابلاً ما ، جزاء كرمه واستضافته ، كما أن القاعدة الثانية هى أن يأتي الكرم قبل أن يطلب ، وأن يأتي فعلاً لا قولاً ، والشاعر يقول في هذا :

لا يصدق القول حتى يصدق العمل

وقد جسّد هذا المعنى المتنبي حين قال :

جُودُ الرجالِ من الأيدي وجودُهُم … من اللسان فلا كانوا ولا الجُودُ

ويربط بعض العرب الكرم بمعنى الافاضة في كل شيء كقولهم :

إذا ضربت فأوجع ، وإذا أطعمت فأشبع

وكقول الشاعر في هذا المعنى :

فما أحجم الأعداءُ عنك بقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا

له راحتان الحتف والجود فيهما أبى الله إلا أن يضر وينفعا

ضيافة عرب البادية لها عنوان هو نار المخيم الموقدة التي تجلب كل سائل له حاجة في راحة وطعام ، والمضيف السخي يشعل ناراً إضافية على قمة التلة لتضيء وتبدو كمنارة في محيط بحر من الرمال .

ويذكر لنا الأدب العربي التوبيخات ونعوت الذم لمن يطفىء نار مخيمه عن عمد ، كي لا يُستدل على مكانه في الليل . ولم يلق أحد من العرب من الذم والهجاء قدر ما لاقاه من يتصفون بالبخل . ومن أبلغ ماقالته العرب قول ابن الرومي :

يقتّر عيسى على نفسِهِ وليس بباقٍ ولا خالدِ

ولو يستطيع بتقتيره تَنَفَّسَ من منخرٍ واحدِ

ويذكر العرب بالمديح تلك النوعية من كلاب الحراسة التي تنبح لجذب الزوار والضيوف ، ويتسابق الكرماء في أحياء العرب على استقبال الضيوف . ومن مظاهر الكرم أن لا يعرف المضيف اسم الزائر وأن لا يسأله عن خصوصياته ، بل يشعره كأنه في منزله :

ياضيفنا لو جئتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

في بعض المجتمعات هناك غرفة جاهزة دائماً لاستقبال الضيف

مدى الاهتمام بالضيف في ضيافة العرب يدل عليه حجم الحيوان الذي يذبح من أجله ، وحجم القدور والأواني التى يتم الطهي فيها ، وعدد الأشخاص الذين يدعون للوليمة على شرف الضيف . وذبح دجاجة مثلاً - عدا في البيئات الزراعية - فيه شيء من الإهانة . وعندما يتصادف حضور ضيف آخر فإن حيواناً آخر يجب أن يُذبح ، حيث إن الكرم هنا للشخص وليس للمناسبة .

كمية الطعام بحد ذاتها لا تعد مقياساً مطلقاً فالقضية نسبية ، فإن كان الشخص المضيف غير قادر مادياً ، وقدم جزءاً كبيراً مما يملكه على حساب مايبقيه لأهله ، فإن هذا الشخص في عداد الكرام ، وهى قاعدة ذهبية لم يشتهر حاتم الطائي إلا بها ، فهو لم يشتهر لأنه كان كريماً فقط ، بل لأنه قدم فرسه الوحيد الباقي لديه إكراما لضيفه .

وتمتلىء كتب الأدب العربي بهذا النوع من الكرم ، وهو أعلى درجة ، وأكثر عمقاً ، لأنه يمثل قيماً ، فالجود بما لديك وهو قليل خير من الجود ببعض مالديك وهو كثير ، والحاجة هنا أحد وأعمق ، والتنازل عنها أكبر تضحية .

وحتى الذين يجودون ببعض مالديهم وهم أهل غنى وثراء فهم يجودون بأفضل مالديهم :

يختارُ إذ يَهَبُ الخريدةَ كاعباً والطرفَ أجردَ والحسامَ مجوهرا

مبعوث نابليون تيودور لاسكاري مع مترجمه السوري الأصل فتح الله صايغ استقبلتهما مرة امرأة عجوز فقيرة في بادية الأردن ، فوفرت لهما المأوى ، وذبحت عنزتها الوحيدة على شرف ضيفيها ، وعندما سألاها : ياجدتي لماذا هذا التبذير ؟ قالت : «إذا دخلتما دار شخص يعيش ولم تجدا عنده كرم ضيافة وحُسن وفادة فكأنكما قمتما بزيارة للأموات ، فهل تظنانني كذلك ؟»

مثل هذه القصص تذكر في أدبنا العربي ، وكذلك في كتب الرحالة ، وهي كثيرة .

الضيف عند العرب شخصية غير عادية ، وحتى فترة قريبة في التاريخ نجد أن المرتحل في الجزيرة العربية يلاقي من الوفادة والكرم القيم السائدة نفسها منذ آلاف السنين .

أطعموهم ولو بضرب الرصاص

يروي أمين الريحاني في كتابه - ملوك العرب - قصة حادثة طريفة ، وقعت له في إحدى إمارات (الجنوب اليمني) ، في مطلع هذا القرن ، يقول : ودعنا السلطان تلك الليلة شاكرين له حسن الحفاوة والضيافة ، وأعلمناه أننا سننهض باكراً للرحيل ، فلا نكلفه مشقة القيام مثلنا ليودعنا ثانية . وفهمنا منه أنه قبل بذلك ، إلا أننا في صباح اليوم التالي ، بينما كان المكارون والخدم يحملون دهشنا ، بل ذعرنا لحادث فيه منتهى الغرابة . كنا مقيمين في جناح من القصر قبالة الجناح الذى يسكنه الحريم ، وبيننا الحوش الذى كانت فيه الركائب والخدم ، فسمعنا بغتة أن إناء من الفخار تكسر فيه ، فظننا أنه وقع من السطح . ولكن إناء آخر تبعه - رأيناه يرمى من النافذة ولم نر الرامي - فأصاب أحد العساكر ، فرفع صوته شاكيا . ثم جفنة ، ثم قطعة أخرى من الفخار تحطمت بين أقدام البغال ، فعلت الضجة في الحوش ، وسمعنا رجالاً يصيحون : هم يطردوننا ، عجلوا ياناس ، هذه ضيافة ابن مانع ، عجلوا بالرحيل .



خرجت وقسطنطين مسرعين ، فركبنا وسرنا نتقدم الحملة ، نزلنا من الجبل إلى السهل فالنهر وقلبنا - أقول وقلبي ولا أتهم رفيقي - يختلج حنقاً ورعباً . ظننا أننا بعدنا عن الخطر وعن ضيافة صاحب السمو الحوشبي



عندما وصلنا الى النهر ، ولكننا قبل أن نجتازه سمعنا أصواتاً تنادى : قفوا . فلم نقف ، فأطلقوا إذ ذاك من البنادق طلقات عديدة ، فقلت لرفيقي : هوذا الخطر الذي نتوقعه ، دنت الساعة ياقسطنطين ، قف وأشهر سلاحك .

بعد قليل قرب القوم منا فإذا هم خدم السلطان يحملون على رؤوسهم الأطباق ومعهم بضعة عساكر . جاءوا بالفطور ، أى والله . كيف نسافر قبل أن نفطر ؟ وكيف نسافر قبل أن نودع السلطان الذي نهض باكراً للوداع ؟

سألناهم عن الفخار الذي رمونا به ، فأخبرونا أن السلطانة ، وهي في خدرها رأتنا من على السطح في أهبة للرحيل ، فنهضت كذلك باكراً من أجلنا ، فأرادت تنبيه الخدم النائمين في الطابق الأسفل ، ولم تشأ أن تسمعنا صوتها أو ترينا من النافذة وجهها فرمتهم بالفخار تستفيقهم لينهضوا ويهيئوا لنا الطعام . الضيوف ، انهضوا للضيوف ، والحقوهم بالفطور ، وأطلقوا الرصاص إذا كانوا لايقفون .

لقد منع الحياء والتقاليد الاجتماعية تلك السلطانة المستورة من المناداة على الخدم ، فتصرفت تصرفاً أفزع الضيوف ، ولكنه أساساً كان لإراحتهم .

مَا يَـلزَمُ الضيف

على الضيف عند العرب مسؤولية ، فعليه أن يتصرف في حدودها ، وأن يستجيب جزئياً لتعليمات مضيفه ، فيعيش في المكان الذى حدده له ، ويستقبل برضا مايعرض عليه ، ومجرد أن يرفض الضيف وجبة أعدت من أجله يثير الشكوك ، كما أن الضيف الذي يأتى بتصرف شاذ يخرق قوانين الضيافة ، ويصبح شخصاً غير مؤهل لأن يستضاف ، وتوصد الأبواب دونه .

كرام العـرب كـانوا يـرفضون أن يقتربوا طعـامًا ولـيس معهم ضـيـف يشاركهم فيه

وكما أن عليه واجبات فله حقوق ، فيجب على مضيفه وجميع أفراد أسرته ، بل والقبيلة بكاملها ، حماية الضيف ، فلا يسمح لأحد بأخذ الثأر منه ، وهو في حالة الضيافة ، ولايمكن تسليمه لأعدائه ، ومادام الخبز والملح الذي قدم للضيف في معدته فيجب على الشخص الذي وفر له المأوى حمايته مالم يتم استقباله في مكان آخر ، وهذا مايسميه البدو (حق الملح) . ويقول العرب عند الدعوة إلى الطعام : (تعال مالحنا) ، ويحمل التعبير إشارة إلى معنى المؤاخاة . ويعطى هذا السلوك للمسافر نوعاً من الطمأنينة ، يساعده

على التنقل بحرية في الأراضى التى تتبع ملكيتها لأفراد قبيلة المضيف أو حلفائهم .

مبادىء كرم الضيافة العربية في طريقها إلى الاندثار نتيجة أسباب عديدة ، أهمها : التمدن أو التحضر ، فقد استبدلنا بالجمل السيارة ، واستبدلنا بالمضافة الفندق ، ولكن لازالت هناك قيم عالقة في ذهن العربي ، تتمثل في الكرم إذا افتقد الضيافة بمعناها الأصيل القديم .

الضيافة لدى شعوب أخرى

أشكال الضيافة والكرم تتغير ، ولكن مضامينها واحدة ، وتبدو الضيافة فضيلة أكثر ملائمة لنمط العيش الصحراوي والفردي ـ الذى تشكل العلاقات العائلية والقبلية فيه العمود الفقري ـ عنها لنمط العيش في المدينة الذى تحل فيه العلاقات الفردية البحتة محل العلاقة الجماعية ، ويعد السلافيون مثلاً ـ الذين يتكلمون اللغة السلافية ـ في أوربا أكثر قرباً للنمط القبلي الذي عاشه أجدادهم .

طلب الضيافة في المدينة اليوم ـ أي مدينة ـ هو أقرب إلى طلب الإحسان ، بل والتسول ، بالمعنى العام لطلب الضيافة ، فلماذا نطلب أن نستضاف من رب هذا المنزل بدلاً من الذهاب إلى الفندق ؟ هذا على مستوى العلاقة الشخصية ، ولكن المدينة ابتدعت نظاماً يقضى بأن تقوم مؤسسة أو شركة باستضافة شخص ما ، في فندق ، إذا كانت بينهما «علاقة عمل» ، وبتنظيم مسبق .

ومع مرور سنى هذا القرن بدأ الانسان يفقد إحساسه وشعوره بالمسافة ، فقد أصبحت سفن الفضاء تجوس في أجواء السماء سنين عديدة ، قاطعة آلاف الكيلومترات في الساعة ، الأمر الذي كان يصعب تصوره ، إن لم يكن في خانة المستحيل عند بداية هذا القرن ، فقد كان المسافر يقطع في اليوم الواحد مابين ثلاثين إلى أربعين كيلومتراً فقط ، هذا الإحساس الكبير بالمسافة هو الذي تلازم مع أشكال الضيافة المختلفة .

إن الرغبة في خدمة الآخرين الذين قد يكونون مقطوعين عن المساعدة ما هي إلا رغبة دفينة في الحصول على الخدمة نفسها عند احتياجها في المستقبل . هذه الرغبة يسهل فهمها على ضوء العزلة التي يعيشونها ، فالزيارة لابد منها لتبادل المصالح والمعلومات ، ولكن لبعد المسافة فإن المكوث لابد أن يطول أكثر من يوم .



الطريف أن مدة مكوث الضيف قد حددت في أكثر من ثقافة ، على أن لا تزيد عن ثلاثة أيام ، فهناك مثل لاتيني يقول :

«الضيوف كالسمك تتغير رائحته بعد مضي ثلاثة أيام» .

ولدى كثير من الشعوب نجد أن فكرة الظهور بمظهر الكرم والضيافة أكثر لمعاناً اجتماعياً من عكسها ، فكثيرون يبدون مظاهر الكرم ، حتى لو تعدى ذلك قدرتهم الفعلية .

لخص صحفي انجليزي انطباعه في هذا المجال عندما زار بولندا في الأعوام القليلة الماضية ، مخاطباً صديقاً بولندياً ، قال : «في بلادى (انجلترا) تزخر المحلات بالبضائع ، حيث لايوجد أي نقص في أي سلعة ، ولكن عندما تقوم بزيارة صديق في منزله تجد أن المائدة شبه محدودة ، أما في بلدكم فإن هناك أزمة في كل شيء ، ونقص في السلع ، ولكن عند زيارة أى منزل تجد المائدة عامرة» .

هل ترى الصحفي الانجليزي كان يريد أن يقول : أنتم تطبقون حرفياً المقولة البولندية المشهورة : «اغرق في الدّين ولكن أظهر أنك مقتدر» . ولدى بعض الشعوب ، الشرقية على الأخص ، أن الضيافة الحقة ليست هي أن تقدم كل ماهو موجود بالمنزل على مائدة الطعام لضيفك ، بل أن تلح عليه عدة مرات لتناول ماقدم أيضاً ، وعليه إن لم يكن قادراً على متابعة الأكل أن يرفض دعوتك بأدب ثلاث مرات على الأقل .

ولأن الضيافة فعل مرتبط بالثقافة الاجتماعية والبيئية ، فإننا نجد عند بعض قبائل الاسكيمو ، حيث درجة البرودة شديدة ، أن المضيف يقدم للضيف طعاما ساخناً ومشروباً قوياً وبعضاً من دماء حيوان الرنة ، وفي نهاية الليل يقدم له زوجته .

أشكال الكرم والضيافة

التماسك في النسيج الاجتماعى سمة بارزة في المجتمعات الافريقية التقليدية على الرغم من الهياكل الاجتماعية العمودية التى يحددها المركز الاقتصادى والاجتماعى لأفراد القبيلة ، فالتماسك موجود بين الأسر المرتبطة برباط الدم فيما بينهما ، بالاضافة إلى الجماعات التى يحويها مكان تعيش فيه ، وتتشارك في النظم والأعراف نفسها ، وقد يمتد هذا التماسك إلى أشخاص لاينتمون إلى هذه الجماعة . لقد ساعد كل ذلك على قابلية الانتقال والتحرك وفرص تطوير العلاقات الاجتماعية . ويعامل الغرباء على امتداد معظم

افريقيا بلطف ، بصرف النظر عما تفرضه علينا بعض الأفلام السينمائية الغربية ، بأن لدى الأفارقة شعوراً عدائياً تجاه غيرهم .

وأهالى ساحل العاج يرحبون بالأغراب دون سؤال عن سبب قدومهم ، أو الغاية من زيارتهم ، والتحية غالباً هي «مرحباً ، أنت في منزلك» ، ومن ثم يقدم كرسي للجلوس ، وماء وقشدة جوز الهند ، وبعد أن يأخذ الضيف قسطاً من الراحة يقوم رب العائلة أو كبيرها بدعوة الضيف للطعام ، وبعد الطعام والراحة يبدأ الحديث الذي يستمد مادته من حكايات أخلاقية وقصص رمزية وأمثال وأقوال وأساطير تضفى على المحادثة جواً بهيجاً ، يشعر الضيف خلالها بأنه واحد من هذه الأسرة فعلاً .

ويؤخذ الضيف عادة في نزهة إلى القرية ، حيث يرحب به ، وعادة مايكون ذلك عند أحد كبار أهل القرية .

ومن مميزات الاحتفاء بالضيف في ساحل العاج الترحيب المطول والمبالغ فيه الذي يخلق على الفور جواً من الصداقة والألفة . والحث على الترحيب من مميزات تراث شعب ساحل العاج ، إلى درجة أن الترحيب بالعدو واجب ، وهو ينم عن مكانتك واحترامك لنفسك .

كرم الضيافة من الأسس التي اعتمدت عليها الوحدة الوطنية الافريقية بعد الاستقلال ، بل إن بعض نصوص الدساتير للدول الأفريقية الحديثة تمنع منعاً باتاً الترحيل الجماعي لمواطنين من مكان إلى آخر ، بيد أن الشعور القومي البالغ الحدة الذي أخذ ينمو أخيراً لدى بعض الشعوب الأفريقية بدأ يضيف فكرة احترام الآخرين والتسامح معهم والانفتاح عليهم .

ضيافة تمتد سنوات

وفي امريكا اللاتينية تعد أرض البامبا ، الارجنتين ، (وهو تعبير للهنود الأمريكان ويعني السطح المنبسط) إقليماً مخصصاً أساساً لتربية المواشي والزراعة . هذه أرض الترحيب بالغرباء التى عرفت كرم الضيافة عن طريق الاسبان والعرب ، وهي أرض القرى الصغيرة والمزارع المعزولة ، ويعد وصول أقرباء أو أصدقاء أو حتى غرباء إلى رعاة البقر ، سكان تلك المناطق ، حدثاً مهماً ، وذلك بسبب البعد فيما بين الجيران ، حيث يكون أقرب جار لك في بعض الأحيان يعيش على بعد مئات الكيلومترات . إن المسافرين بين هذه المناطق كثيراً مايتعرضون لمخاطر الطريق ، ويحتاجون إلى قطع غيار لسيارتهم ، أو إلى طعام أو خرائط أو أعواد ثقاب أو حتى وقود ، ويجب على بعض المنقطعين في هذه الطرق السير عدة ساعات ، وربما عدة

بعض الناس يستضيف مدة يومين وغيرهم يستضيف سنوات

ضيوف العصر الحديث يفتقدون الأمان وكرم الوفادة وحسن الإيواء

أيام ، قبل أن يصلوا إلى مناطق مأهولة . لمثل هذه الفئة فإن المزارعين ورعاة البقر يقومون بتقديم العون الذي يقدره المسافر بعد عزلة وغربة . ومهما كان موطن الضيف فهو ضيف الله ، لا يعز عنه شيء ، واستقبال الضيف واحد ، سواء في بيت ثري أو في كوخ متواضع .

ويقوم سيد المنزل بعد دعوة الضيف للدخول وتقديم الطعام والشراب له ، بدعوة عماله أو أولاده بسحب سيارة الضيف المعطلة وإصلاحها وملئها بالوقود ، وسيشعر المزارع بإهانة كبرى إن عرض عليه الضيف مالاً مقابل ذلك .

وسيلفت نظر الزائر إلى أن لهذه المنطقة تقليداً في استقبال الضيوف يطلق عليه أبناء المنطقة اسم : «اسادو» ، وهو نظام خاص برعاة البقر ، يؤكد نوعاً من العلاقات الإنسانية ، وهو تقليد يربط برباط الصداقة والمشاركة حول منطقة شواء اللحم ، مثلما تتم المشاركة في ثمار الأرض وفوائد العمل . وسواء تم هذا الشواء في العراء أو فوق موقد المطبخ ، فإن له طقوساً منها أن يتناول الرجال الطعام جلوساً ، خاصة في حالة وجود النساء ، ويتم التناول باستخدام السكاكين التى يحملها الرجال في أحزمتهم لقطع أجزاء اللحم ، وبعد الانتهاء من تناول الوجبة يبدأ السمر ، ويصبح الموقد مركزاً للاحتفال ، وكل ذلك احتفالاً بمقدم ضيف .

وفي أرض (البامبا) يستقبل الضيوف ويكرمون ، ليس عدة أيام فقط ، بل عدة أشهر ، بل ربما عدة سنين .

لقد استغل بعضهم هذا الأمر ليقوم بعمليات استكشاف للمنطقة ، والحصول على عمل . وسواء في المزرعة الصغيرة أو في القصر الكبير فهناك دائما غرفة محجوزة للضيف الذى قد يمكث فيها عدة سنين .

من الكرم إلى منح حق اللجوء

يعد الترحيب بالزوار وإكرامهم ، خاصة الأغراب منهم ، واجباً في معظم الثقافات الإنسانية قديمها وحديثها . ربما تختلف الطرق وتتعاكس ، ولكنها في هدفها النهائي كلها اهتمام واحترام للآخرين . وقد عدّ الاغريق القدماء أن حماية الزوار والمستجيرين واجب مقدس .

ولقد قدمت حضارات عديدة ، منذ العصور الوسطى حتى الآن ، تراثاً في احترام الضيف وإكرامه ، فقد أُنشيء نظام فرسان الهياكل في العصور الوسطى في أوربا خاصة لتأمين الحجيج وهم في طريقهم إلى القدس . وكذلك الإسلام الذي حض على معاملة المسكين ، وتقديم العون



كانت طبيعة الحياة وظروف البيئة وعوامل الندرة هي التي أعطت للكرم والضيافة أشرهما المتميز

لكل من يريد الحج من بين المسلمين حين مروره بمدينة أو دولة ، وهو في طريقه إلى بيت الله الحرام ، فالعناية بالضيف دينياً ودنيوياً عمل إنساني وأخلاقي . ولقد مكنت الاكتشافات أولا ، وسرعة التطور في ظروف الاتصال ثانياً ، الشعوب من معرفة التقاليد عند غيرها ، وأصبح احترام هذه التقاليد ممكناً أكثر ، مهما اختلفت في مظاهرها من شعب إلى آخر .

انقلب الترحيب بالضيف في العالم الحديث إلى فئات جديدة كالعمال الذين ينتقلون من بلاد إلى أخرى طلباً للرزق ، ممتثلين لقوانين الدولة المضيفة ، وهم أحق بمنحهم الرعاية ، كما أن السياح القادمين إلى بلاد غير بلادهم يحظون برعاية تكفلها القوانين . وتجرم كل دولة من يعتدى على حقوق (الضيوف) السياح ، والأهم من هؤلاء مجموعة المنفيين من بلدانهم ، والمطاردين فيها من غير جريمة ، وقد زادت عناية المجتمع العالمي بهؤلاء منذ صدر الإعلان العالمى لحقوق الإنسان .

وفي تاريخنا الحديث هناك فصل إنسانى ، فيه كثير من قصص المنفيين عن أوطانهم ، والتائهين في العواصم والمدن المختلفة . وقد بدأ الحكم العثماني للعرب سياسة إبعاد المواطنين عن أماكن إقامتهم ، ثم جاء الاحتلال الأوربي ، وصار النفى أسلوباً متبعاً ، فنفي قادة الثورة العرابية مثل : أحمد عرابي والبارودي ، وفي مرحلة لاحقة بيرم التونسي وأحمد شوقى ، وقائمة طويلة من الأعلام تضم أدباء وسياسيين ومصلحين ، ذاقوا جميعاً مرارة النفي .

وفي المجتمع المعاصر لم تعد هناك تقاليد ضيافة ، ولا حسن وفادة ، فلقي كثير من هؤلاء المنفيين واللاجئين عنت الغربة وشظف العيش ، وعلى الرغم من أن كثيراً من الدول قد توسعت في تنظيم منح حق اللجوء السياسي فإنها قد قيدت الحق بعدد من الضوابط التى جعلت كثيرين من المنفيين والسياسيين الذين ضاقت عليهم أوطانهم ، ولم يجدوا مكاناً يأوون إليه ، ليستريحوا من عذابات المطاردة ومخاوف القمع . وافتقد ضيوف العصر الأمان الذى كانت تمنحه المجتمعات الأكثر بدائية لضيوفها ، وغابت القيم العليا عن سلم القيم ، وسط غابات المصالح وحضارة ناطحات السحاب ، ومداخن المصانع .

وما أقساها من حضارة لا تهش في وجه قادم ، ولا تقدم خبزاً وملحاً وماءً لضيف غريب ، ضاقت به الأرض ، وافتقد الأمان . □

محمد الرميحي




● معمر القذافي

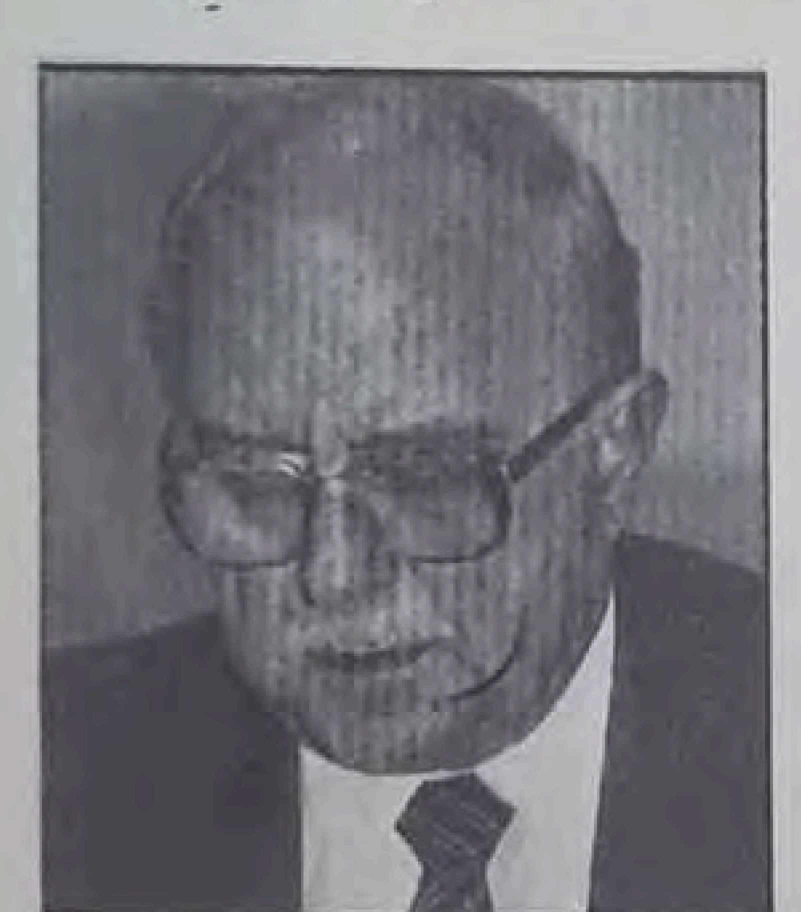
■ مشكلة الإيمان لم تعد تحتل المركز الأول من اهتمامات الجماهير ، فالمسلمون يعرفون أمور دينهم ، ولا يحتاجون إلى من يعلمهم دينا جديدا ، المشكلة في الوقت الراهن هي جملة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها المجتمع .

الرئيس الليبي معمر القذافي

■ الديمقراطية نهج للحياة وليست حالة مؤقتة أو مجموعة قرارات إدارية يمكن الرجوع عنها .

مضر بدران

رئيس وزراء الاردن


● مضر بدران

■ من الوظائف الرئيسة للفن ، تجميل الحياة ، وجعل الإنسان أكثر إنسانية ، فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي وهبه الله القدرة على التذوق الفني ، وإدراك الجمال أينما وجد ، جمال المنظر وجمال الصوت وجمال الفكر .

د . يوسف عز الدين عيسى

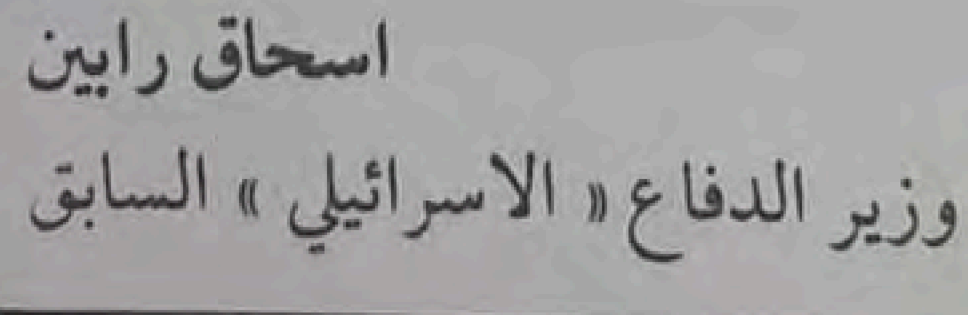
كاتب عربي من مصر


● مارسيل خليفة

■ بيروت شكلت لي وللكثيرين ملجأ أمان في وسط عاصفة داخلية ، وكانت لحظة شحذ في لحظة نضوب إبداعي .

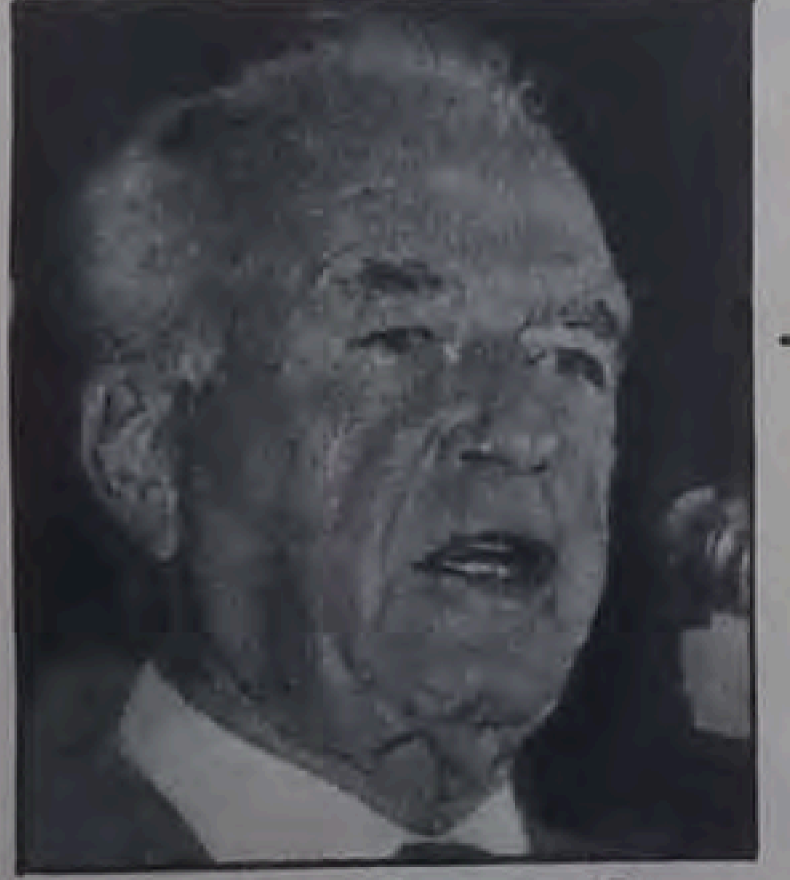
مارسيل خليفة

■ لقد أعطانا جورباتشيوف فرصة تاريخية ونقطة تحول في تاريخ « اسرائيل » التي لم تحصل على مثل هذه الفرصة خلال الأربعين عاما الماضية لزيادة عدد سكانها كما ونوعا .



اسحاق رابين

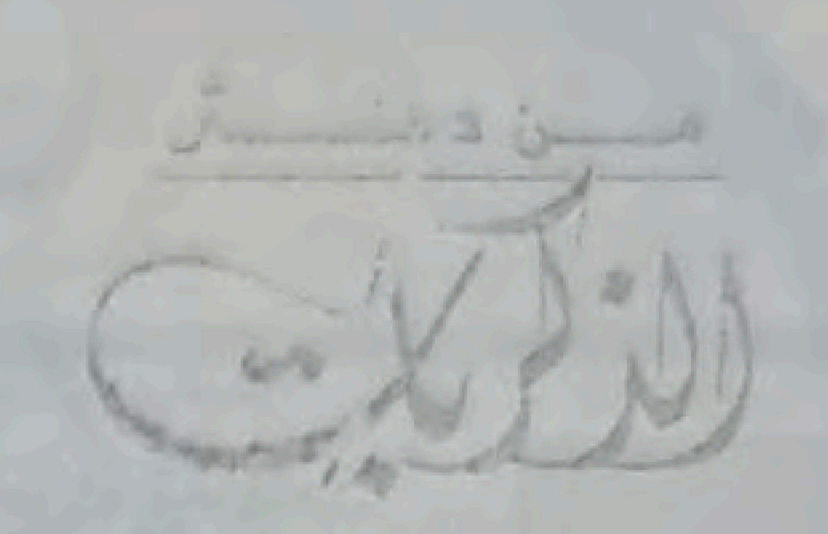
وزير الدفاع « الاسرائيلي » السابق


● اسحاق رابين

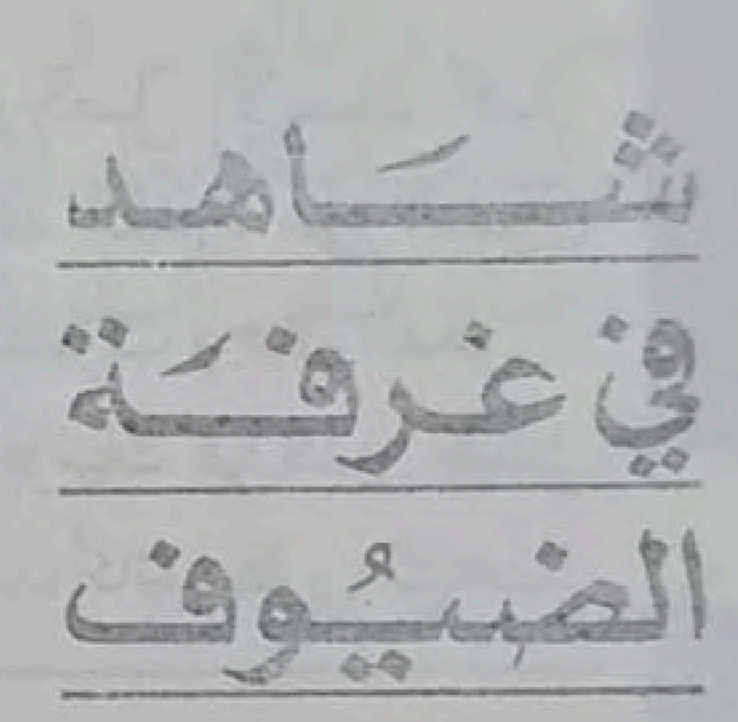
■ إنني لم أعد أعتبر الاتحاد السوفيتي دولة معادية .

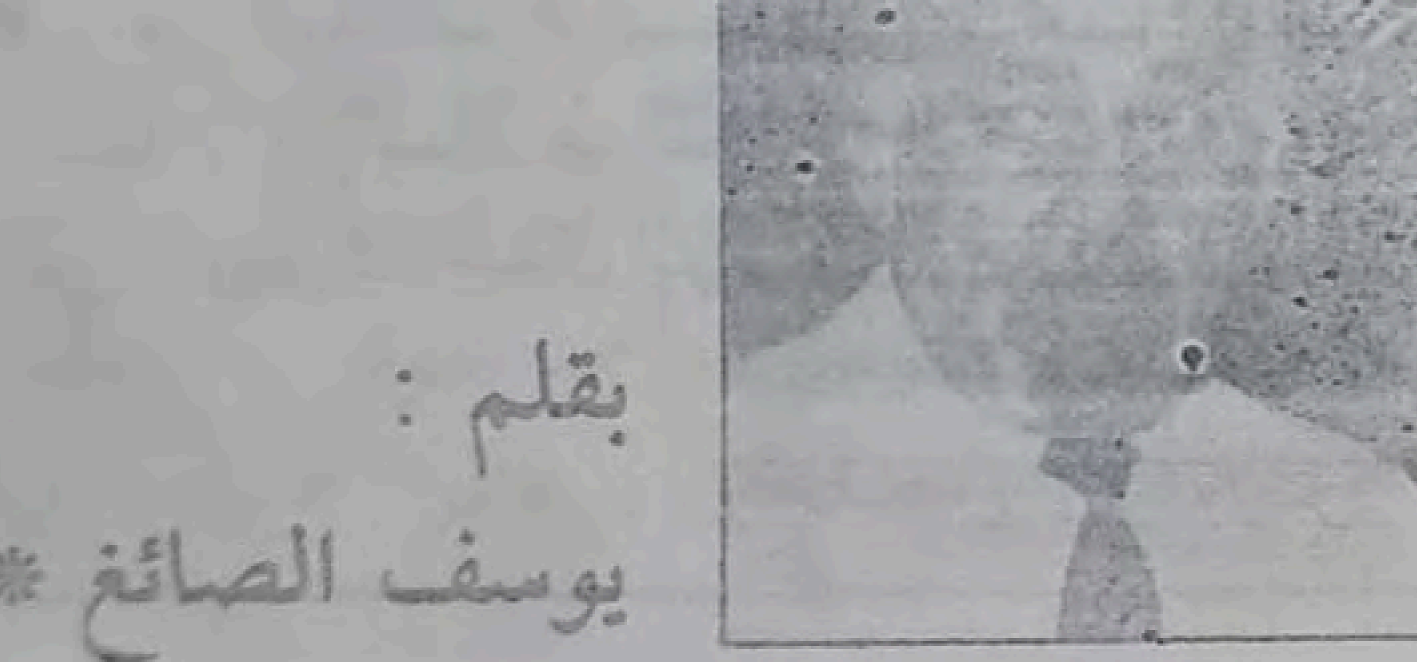
مارغريت تاتشر

في أثناء زيارتها للاتحاد السوفيتي يونيو ١٩٩٠ .



(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكرر ، إنما كثير من الخبرات منفردة تضيف معنى جديدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضا من ذكرياته التي أصبحت دروسا في الحياة) .





صندوق العرس هو الميراث الوحيد من سيدة ولدتني .

هذا الصندوق مايزال في زاوية من غرفة الضيوف ، مكتفياً بوقاره ووسامته ، يتطلع إليه الفضوليون ويتساءلون فأحكي لهم عنه ، وأنسى أن أحكي عنها ، وهم يصغون ، ويهزون رؤوسهم بسذاجة ، ويقولون : « حقا ؟ حقا ؟ » غير معنيين ، بإخفاء شكوكهم غير المبررة ، في صدق أنه كان لي ذات يوم أم ، وكان لها دون أمهاتهم ، صندوق عرس ، أحتفظ به شاهدا في غرفة الضيوف .

كان صندوقها جزءا منها ، كان أحيانا قطعة من وجودها ودائما كان رمز استقامتها ، وصدقها ، وشرف قلبها الأليف .

ولهذا ، فقد حمّلته دائما أعباء أمومتها ، فراحت تطوف به الدنيا ، مؤكدة من خلاله أنها أمي ، وأنها معنية بذاكرتها وذاكرتي .

ولقد كلفتها هذه المفارقة كثيرا ، فكانت مستعدة دائما لأن تجيب عن كل أنواع الأسئلة الغريبة ، الصادرة عن سوء نية ، أو عن مجرد فضول ، مستخدمة ذلك المفتاح المرهف الذي تفتح به عادة صناديق العرس .

* شاعر وكاتب من القطر العربي العراقي .

صندوق عرسها قد أداه التطواف والقلق والخشب القديم قد أصيب في وقار زخارفه وجسد الأم ، وذاكرة الزوجة الوفية . وفضول الغرباء لم ينقطع حتى بعد أن ماتت العروس ، وهي في الثمانين .

كانت مستلقية فوق نعشها ، وكان هذا الكيان الخشبي يجثم على بعد خطوات منها ، مقارنا بين ضرورته وضرورة التابوت ، متطلعا إلينا وإلى نفسه ، حذرا من أن يفقد معناه ، أو حدوده ، مدافعا عن حاله الخاص . ليس باعتباره صندوق عرسها هي على الأخص ، بل بقسمة أنه عاش عمرا حافلا ، وليس شرطا مادامت هي قد ماتت أن يموت هو أيضا ، فلندعها فيه على الأقل ! !

لقد راقبني أنا على الأخص ، وأوما لي ، فهمته كما أفهم رجلا مترملا ، أو كما كان يمكن أن أفهم أبي لو أن زوجته ماتت قبله .

جئ بنجار فأحكم له مساميره ، ثم بصباغ فجلاه ، وراح يلمع متذكرا مجده القديم ، ووظيفته المنقرضة ، وبدون كثير من الحزن حملناه إلى الزاوية ، فاكتفى بذلك واكتفينا

ولقد مرت سنوات ، مذ زفت أمي إلى زوجها ، ومرت سنوات مذ نشأنا على صداقة وجوده ، ثم مرت سنوات منذ أن رحلت تلك التي ولدتني

أنا أذكر جيدا أنها وقد أطفأ الموت عينيها كانت تلك أم وفية ، وزوجة مؤتلفة ، ما تزال تحفظ بمفتاح صندوقها تحت قلبها

ولقد بحثنا ، نحن ورثتها ، بقلق ، وحزن ، عن هذا المفتاح ، حذر أن تأخذه معها ، بسبب قوة وفائها ، إلى القبر . ولقد استخرجناه من جسدها بفضول ، كما تستخرج معنى ، واكتفينا

في زاوية من غرفة الضيوف مرئي ، متلفع بوضاعته المتكررة ، إنه ليس أكثر من صندوق عرس قديم ، ثم بعلاقته بذاكرتنا ، وقدرتنا على النسيان

وأذكر لكني أنسى بسرعة أنني ، ولم أكن قد تجاوزت الخامسة ، سرقت هذا المفتاح على الأخص ، وأنني ، بطغيان فضول جميل ، تلصصت على هذا الجسد الخشبي ، وقلبت ، بأصابع نهمة ، غموض أسراره المخبئة

كان آنذاك ، حافلا بالحلوى والفاكهة المجففة ، والمناديل ، والصلوات ، ولقد نسيت كل ذلك ، ودفئه وشمسه ، وأنا سعيد بصوت هاتي ووجيب قلبي

ثم مرت سنوات . والآن ونحن نزمع أن نغادر غرفة الضيوف ، يتطلع كل منا بقسوة إلى نفسه ، متسائلين ، إن كان من الضروري أن نتكلف مرة أخرى نقل هذا الجسد الخشبي ، معنا إلى غرفة جديدة إلا ما الذي يمكن أن يقدمه لنا صندوق عرس قديم ؟

بالتكرار ! ! □

واسطة شر



وقع بين رجل وامرأته وحشة وسوء تفاهم . فسأل بعض أصحابه أن يرضيها ويصلح بينهما ، فدخل الرجل وقال : إن أبا محمد (يعني زوجها) شيخ كبير . فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه ، وضعف ركبتيه ، ونتن إبطيه ، وبخر فيه ، وجمود كفيه ، فقال له الزوج . قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبي مالم تكن تعرف

الاتحاد السوفيتي والقضايا العربية

رؤية في ضوء «البيريسترويكا»

بقلم : محمد سيد أحمد

أحدثت التغيرات في السياسة الخارجية السوفيتية ، تجاه بعض القضايا ، تساؤلات كثيرة ، منها ما يتعلق بالعلاقات العربية السوفيتية .

فهل تقوم هذه العلاقة الآن على المباديء أو على المصالح ؟

ومتى حدث تغليب هذا الاتجاه على ذاك في العلاقات الطويلة بين الطرفين ؟

وما آفاق هذه العلاقة في المستقبل ، في ضوء سياسة إعادة البناء الجديدة ؟

هل أصبحت مصالح الاتحاد السوفيتي تتعارض مع المصالح العربية ؟ هل من المحتمل أن يتخلى الاتحاد السوفيتي عن تأييده التقليدي لقضايا التحرر العربية ؟ هل يتعين النظر إلى التزامات السوفييت إزاء العرب على أنها مجرد التزامات موروثة من عهود وأوضاع سابقة ، وفي هذه الحدود فقط ؟ باختصار : هل « بريسترويكا » غورباتشوف معادية للعرب ؟

إن الاتحاد السوفيتي دولة تنسب نفسها إلى قضية الثورة . والاتحاد السوفيتي دولة كبرى ، وثورة كبرى أيضا في القرن العشرين . ويستمد النظام السوفيتي شرعيته من وضعه على أنه ثورة كبرى لا على أنه دولة كبرى . والجدير بالملاحظة أن الاتحاد السوفيتي هو الدولة الوحيدة في العالم التي لايشير اسمها - « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية » - إلى مكان جغرافي معين ، مما يعني أن هوية الدولة السوفيتية هوية دولية ؛ « أممية » ، وأنها تمثل الثورة الاشتراكية أيا كان المكان الذي تندلع فيه .

وبهذا المعنى فإن شرعية النظام هي شرعية الثورة ، وعلى الأخص شرعية الثورة الاشتراكية . بيد أن على الثورة الاشتراكية تأييد كل قضايا التحرير . ومعنى ذلك أنه عليها تأييد قضايا التحرر الوطني . وقد ظلت سنين طويلة

قضية التحرر الوطني والقومي من الاستعمار هي قضية العرب المركزية . وقد بلغ البعد القومي ذروته بعد تأسيس دولة « إسرائيل » . ولم تكن نظرة الاتحاد السوفيتي أبداً مطابقة ، تمام التطابق ، لوجهة النظر العربية ، بشأن قضية « إسرائيل » ، ولكن الاتحاد السوفيتي وقف دائماً يؤيد الشعوب العربية ، في نضالها العادل من أجل التحرر والاستقلال . ومن المفترض أن هذا التأييد يتسم بصفة الدوام ، طالما أن هناك قضية تحرر عربية ، لأن القضية قضية مبدأ ، تتصل بصميم شرعية النظام السوفيتي .

هل الأولوية للعرب ؟

لكننا لا نملك إغفال أن الاتحاد السوفيتي أيضاً دولة كبرى ، يتعين عليها الدفاع عن حدودها وعن وجودها ، لأن وجود الدولة حماية للثورة . ومن هنا يتعين علينا أن ندرك أن إعطاءها الأسبقية لكونها ثورة لا يعني أنها تملك إغفال كيانها كدولة . وإذا ما تعرضت الدولة للتهديد ، في صميم وجودها وكيانها ، فلن تجد مفراً من تغليب متطلبات حماية الدولة على متطلبات الثورة . ومن هنا فإن الدولة السوفيتية ، حتى وهي تنسب هويتها إلى الثورة ، لا تملك إغفال وضعها كدولة . وإذا ما تضاربت مصالحها كدولة ، مع مصالحها كثورة ، فلقد أثبتت التجارب أنها قد غلبت مصالحها كدولة .

وعلى الرغم من أن الاتحاد السوفيتي قد وقف دائماً ، من حيث المبدأ ، مع قضية التحرر الوطني العربية ، فإن هذا لم يكن يعني أن الاتحاد السوفيتي قد أعطى دائماً للعرب أولوية كبيرة في سياساته . وقد اعتاد الساسة العرب « محاسبة » الاتحاد السوفيتي ، من منطلق أنه اليوم لم يعد يؤيدهم ، كما كان يفعل من قبل ، ولكن هذه « المحاسبة » تقوم في الواقع على موقف تعوزه الدقة . ذلك أن الاتحاد السوفيتي لم يغلب ، في كل وقت وظرف ، تأييده للقضايا العربية ، على كل قضية أخرى ، بل على العكس . فإننا نعلم أنه تبنى ، عند تأسيس « إسرائيل » ، النظرية القائلة بأن « إسرائيل » كفيلة بأن تكون « واحة للديمقراطية ، وللقوى التقدمية في المنطقة ، أكثر من أي نظام عربي » وأن العرب إنما تحكمهم أنظمة إقطاعية رجعية » .

كان هذا ، على ما يبدو ، تفكير السوفييت عام ١٩٤٨ . ومن المحتمل أن هذا الرأي كان متأثراً ، في ذلك الوقت ، بوجود نفوذ يهودي كثيف ، في كثير من الأحزاب الشيوعية ، نتيجة أن اليهود تعرضوا ، مثل الشيوعيين ، للاضطهاد النازي في بلدان أوروبية عديدة ، طوال سنوات الحرب العالمية الثانية ، وأن اليهود تواجدوا في السجون والمعتقلات ، جنباً إلى جنب ، مع الشيوعيين ، وأن كثيراً من الأحزاب الشيوعية ، عندما أصبحت لها قوة كبيرة ، أو وصلت إلى الحكم بعد نهاية الحرب ، نقلت معها إلى مواقع القرار الكثير من اليهود . فكان هناك تأثير يهودي بارز في عديد من الأحزاب الشيوعية . وربما كان لهذا تأثيره في موقف الاتحاد السوفيتي ، ونظرته إلى « إسرائيل » كمنارة للقوى التقدمية وقتذاك ، بغض النظر عن الموقف التقليدي المعروف للأحزاب الشيوعية بإدانة الصهيونية ، بوصفها نظرية عنصرية رجعية .

وعلى أي الأحوال ، فإن الاتحاد السوفيتي كان في مقدمة الدول التي اعترفت « بإسرائيل » عند تأسيسها . ولقد تضاربت الأقوال في تفسير هذه الواقعة التاريخية ذات المغزى المؤكد ، ففضلاً عن النظرية القائلة بالتأثير اليهودي وقتذاك ، في كثير من الأحزاب الشيوعية ، هناك القائلون بأن الوضع في فلسطين ، عند نهاية الانتداب البريطاني ، كان شبيهاً بالوضع في الهند وقتذاك ، وأن أهم ما كان يشغل السوفييت في تلك المرحلة ، هو إسقاط كل الحجج التي كان ينتظر من بريطانيا التذرع بها ، لتعطيل انسحابها ، سواء كان ذلك في فلسطين ، أو في

الهند . ولتجنب أن يكون الصراع الطائفي في الهند ، بين المسلمين والهندوس ، مبررا للإنجليز حتى لا ينسحبوا ، فقد قبل الاتحاد السوفيتي بتقسيم الهند إلى دولتين : دولة الهند ، ودولة باكستان . وقد أرجع اقتراح الاتحاد السوفيتي إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، في نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة عربية إلى هدف مماثل ، هو تفويت أي فرصة على بريطانيا ، وإجبارها على إنهاء الانتداب .

تسريب سر القنبلة الذرية

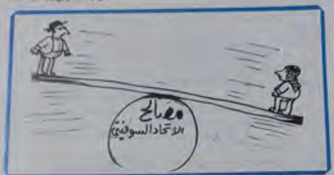
غير أن هناك أيضا قولا بأن ستالين قد عقد صفقة مع بعض كبار الشخصيات اليهودية وقتذاك ، مفادها أن تتولى جهات يهودية « تسريب » سر صناعة القنبلة الذرية التي كانت ، في ذاك الوقت ، حكرا على أمريكا ، إلى الاتحاد السوفيتي ، مقابل اعتراف هذا الأخير بدولة « إسرائيل » ، بمجرد إعلان تأسيسها .

فكما قلنا ، كانت الأحزاب الشيوعية تنظر إلى الصهيونية على أنها « أيديولوجية » منحرفة رجعية ، ومن هنا لم يكن تأييد قيام « إسرائيل » من منطلق « أيديولوجي » . وكما قلنا أيضا ، فإن الولايات المتحدة كانت تحتكر ، وقتذاك ، أسرار صنع القنبلة الذرية . ومعنى ذلك تمتعها بتفوق حاسم في المواجهة مع السوفييت .

وهكذا أصبحت قضية حماية الدولة السوفيتية ، عن طريق تحقيق ندية مع الولايات المتحدة ، في صنع القنبلة الذرية ، قضية اكتسبت أسبقية مطلقة ، حتى لو اقتضى ذلك موقفا يتناقض مع « الأيديولوجية » ، ولا يتسق مع الثورة . والجدير بالملاحظة في هذا الصدد أن مواطنين أمريكيين غير شيوعيين ، هما الزوجان جوليوس وأثيل روزنبرج ، قد اتهما وقتذاك ، (دون دليل) ، بتسريب وثائق خاصة بصنع القنبلة الذرية إلى موسكو ، وحكمت عليهما محكمة أمريكية بالإعدام . ولقد أقام لهما ستالين حملة عالمية ، لمحاولة إنقاذهما ، (دون جدوى) ، من الكرسي الكهربائي . حملة لم يكن لها ، عبر التاريخ كله ، مثيل سوى تلك التي أطلقها ستالين عام ١٩٣٣ لإنقاذ الزعيم الشيوعي البلغاري ديمتروف الذي أصبح فيما بعد قائد الكومنترن ، من محاكمة أجراها هتلر له ، بتهمة حرق البرلمان الألماني (الرايخستاغ) . معنى ذلك أن خدمة الزوجين للدولة السوفيتية ، مع عدم إمكانية الاعتراف بها علنا ، كانت فوق كل تقدير .

وطالما كان ستالين على قيد الحياة ، لم يحدث تقارب ملموس مع العرب . كانت هناك العناية المعتادة بحركات التحرر في الوطن العربي ، بحسبانها قضية مبدئية عامة . على سبيل المثال : دفاع غروميكو عام ١٩٤٧ في مجلس الأمن عن حق مصر في جلاء القوات البريطانية من أراضيها . ولكن في مرحلة لاحقة ، وبعد أن تولى خروشوف القيادة ، حدث تغيير ملحوظ ، وبدأت مرحلة جديدة ، اختلفت في ملامحها كثيرا عن المرحلة السابقة . وهذا يطرح سؤالا بالغ الأهمية ، يمكن صياغته على النحو التالي : لماذا قدم الاتحاد السوفيتي ، في عهد خروشوف ، دعما عسكريا واقتصاديا لمصر ، تجاوز الدعم الذي كان يقدمه لدول أوروبا الشرقية ، ذلك على الرغم من أن هذه الدول كانت مرتبطة « أيديولوجيا » بالاتحاد السوفيتي ، بينما كانت العلاقة بينه وبين نظام عبدالناصر علاقة وصفت « بالصداقة فقط » ، وهذه ليست بالعلاقة التي تفترض من قبل مصر أي التزام ثابت ؟

كان هناك بلا شك الدور الشخصي لجمال عبدالناصر ، ومنهجه البالغ الجسارة في تفجير المواجهة مع الاستعمار . هذه المواجهة التي بلغت الذروة بتأميمه قناة السويس عام ١٩٥٦ ، وبفضل ضراوة المعارك مع الاستعمار والصهيونية ، أصبح الشرق الأوسط بؤرة من



أبرز بؤر الحركة التحررية العالمية . بهذا المعنى كان للدعم السوفيتي مدلول « أيديولوجي » في المقام الأول ، متمثل في دعم أبرز بؤرة لحركة التحرر الوطني عالميا ، غير أن هناك أيضا تفسيرا آخر ، أكثر ارتباطا بمصالح الاتحاد السوفيتي كدولة ، لا كثورة ذات رسالة عالمية

حركة التحرر العربية

لقد أدرك خروشوف أن حركة التحرر العربية أصبحت وقتذاك الحركة الكفيلة بتغيير موازين القوى تغييرا أساسيا ، على الصعيد الدولي وأن تقاربا بين البلدان الاشتراكية وحركات التحرر الوطني التي شكلت حركة التحرر العربية عنصرا رائدا فيها ، هو أمر كفيل بمحاصرة قلعات الإمبريالية الغربية من الخلف ومن الجنوب ، بعد أن تعادلت قوى المعسكرين في خطها الأمامي في أوربا ، وبلغت حالة تشبع واستقطاب ، لا مجال للمناورة لأي من الطرفين فيها

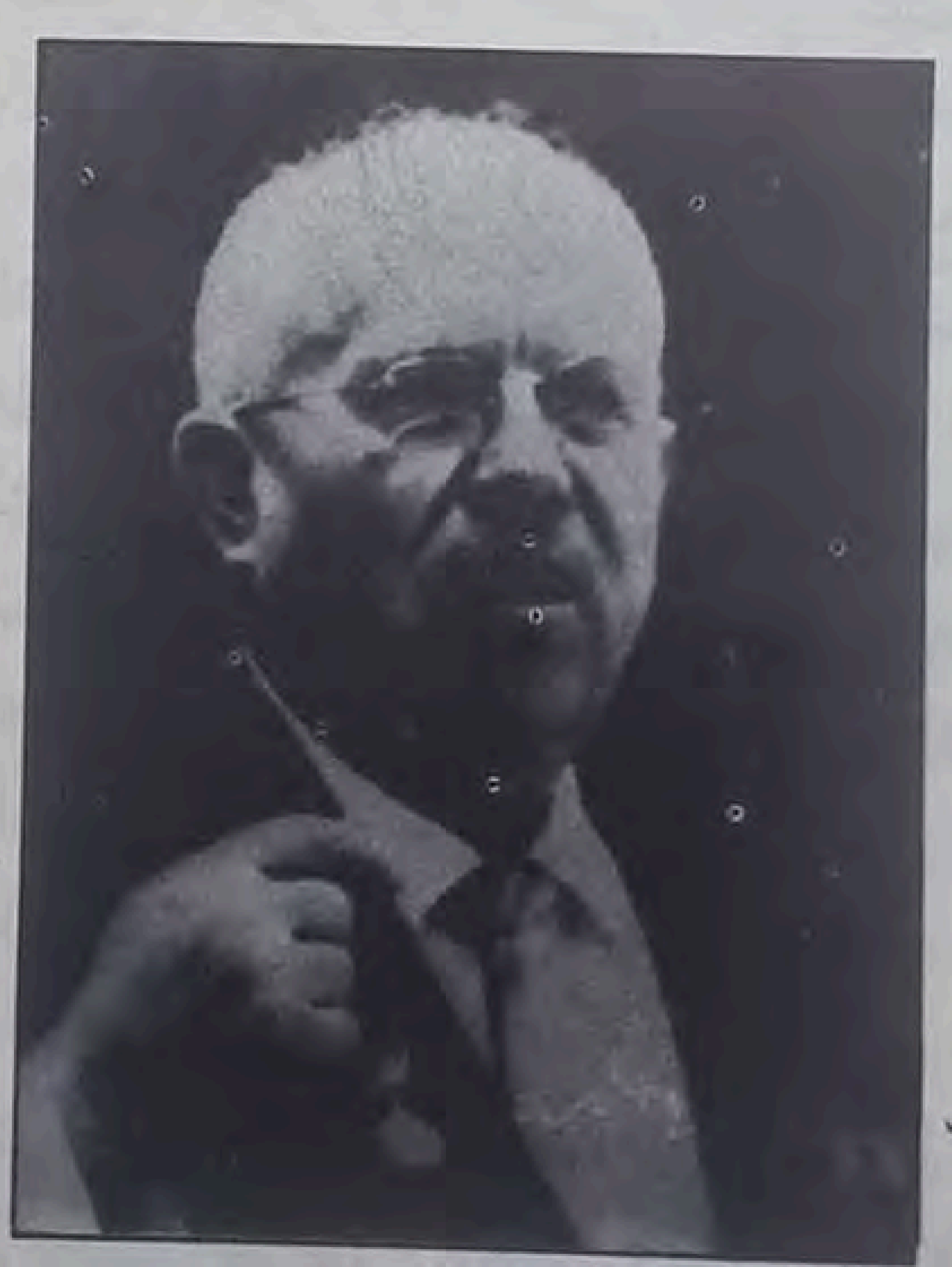
وقد كانت معركة تأميم القناة ، وما تلاها من عدوان ثلاثي ، نقطة تحول على المستوى العالمي في إنهاء نظام المستعمرات ، فقبل خمسة أعوام من هذه المركة ، تشل مصدق في شركة النفط الإيرانية ، وبعد أربعة أعوام من هذه المعركة ، حل ما عرف ، بعام إفريقيا ١٩٦٠ ، وهو العام الذي شهدت الدول الإفريقية استقلالها السياسي

وهكذا نرى أن العقد الذي منتصف الخمسينات ، إلى منتصف الستينات هو عقد كان الشرق الأوسط فيه هو بؤرة التحرر العالمي ، وهو الموقع العالمي الذي اتسمت فيه المواجهات الاستراتيجية بأكبر قدر من الحركة ، والسيولة ، وحرية المناورة ، لصالح قوى التحرر ، فلم يكن صدفة أن اقترن انتصار مصر على الاستعمار التقليدي ، في معركة العدوان الثلاثي ، بانتصار على « إسرائيل » ، كما لم يكن صدفة أن الاتحاد السوفيتي قد جنى هو أيضا ثمار انفتاحه على حركات التحرر الوطني في إفريقيا ، وآسيا ، وأمريكا اللاتينية ، فلقد حقق بفضل هذا التحول في موازين القوى العالمية ، حالة « ندية استراتيجية » مع الغرب ، وهي « الندية » التي فتحت الطريق للحد من التوترات الدولية ، وإحلال مرحلة « انفراج دولي » في بداية السبعينات .

هكذا ، إذا صحت حكاية الصفقة التي عقدها ستالين مع بعض الدوائر اليهودية ، فإن « إسرائيل » قد أسهمت بدور في تحقيق موسكو « ندية » عسكرية مع الغرب ، « ندية » في مجال التسلح النووي ، كما أسهم الدعم السوفيتي المكثف ، لقضية التحرر العربي في مرحلة لاحقة ، في تحقيق « ندية » سياسية لها مع الغرب ، تلك الندية التي أسفرت عن وفاق بداية السبعينيات . وهكذا نهض طرفا النزاع في الشرق الأوسط بدور ، كل منهما في مرحلة ، في دعم مركز الدولة السوفيتية حيال العالم الرأسمالي ، غير أن هزيمة ١٩٦٧ كانت إيذانا بهجوم إمبريالي صهيوني مضاد ؛ هجوم أفسح المجال كي تنتقل المبادرة في الشرق الأوسط من الاتحاد السوفيتي إلى الولايات المتحدة . وثبت في النهاية أن وفاق السبعينيات ، على الصعيد العالمي ، لم يكن بوسعه أن يدوم طويلا ، لأنه لم يتعرض لأسس المواجهة العالمية . وكانت « بيريسترويكا » غورباتشوف ، وكل الجهود التي بذلتها ، وما زالت تبذلها ، لإعادة بناء هذا الوفاق ، على أساس « تداخل » العالمين الاشتراكي والرأسمالي ، انطلاقا من فكرة غورباتشوف الشهيرة : « إن شواهد الاعتماد المتبادل ، بين الدول كافة في عالمنا المعاصر ، أصبحت لها الأسبقية ، على ما بينها من أوجه تناقض وعدم تكافؤ » .



● ستالين



● خروشوف

وهكذا بوسعنا أن نقول : إنه إذا صح هذا التفسير لموقف الاتحاد السوفيتي ، من تاريخ النزاع العربي « الإسرائيلي » فليس هناك ما يحتم أن يظل التأييد للجانب العربي على النحو الذي برز ، طوال عقدين من الزمان ، خاصة في ظل معادلة دولية جديدة ، لم يعد للشرق الأوسط فيها أهميته الإستراتيجية السابقة . لقد تقلصت هذه الأهمية مع نهاية الحرب الباردة التي دشنتها قمة مالطة ، وكرستها التغيرات الهائلة الجارية الآن في أوربا الشرقية ، إنه لم تعد هناك حاجة لممارسة المواجهة بين الشرق والغرب ، باللجوء إلى الخطوط الخلفية في الجنوب .

موقف الأنظمة العربية

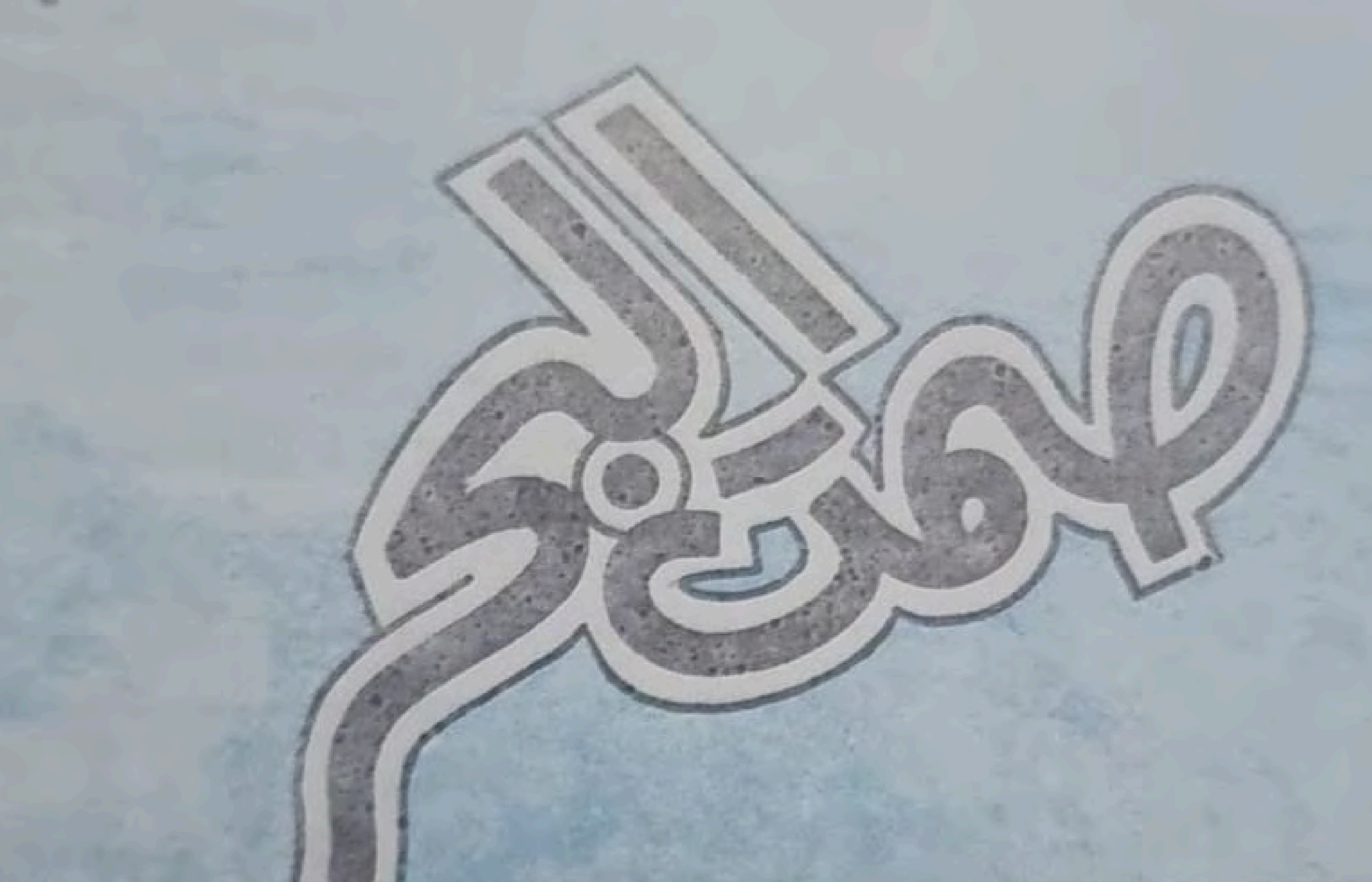
ومن عيوب الأنظمة العربية أنها تعاملت مع الاتحاد السوفيتي تعاملا « من أعلى » ، ولم تحرص قط على تنمية العلاقات على مستوى المجتمع . وربما كان لذلك سر ، هو أن هذه الأنظمة أرادت علاقة مع الاتحاد السوفيتي ، تظل قصرا على مستوى الدولة ، مع رغبة أكيدة في

تحاشي العلاقة على المستوى « الأيديولوجي » ، خوفا من الشيوعية . وقد ترتب على ذلك في النهاية أن « إسرائيل » قد استثمرت هذا الواقع لصالحها ، فلقد حافظت على علاقاتها مع اليهود في المجتمعات الاشتراكية . ومع سقوط الأنظمة في بلدان أوربا الشرقية ، فقد العرب مرتكزاتهم في هذه المجتمعات ، وظلت « اسرائيل » وحدها تملك كل المرتكزات .

كما تجدر ملاحظة أن الكثير من الأنظمة العربية التقدمية قد اقتبس من النظام السوفيتي ، بنيته التنظيمية المتمثلة في نظام الحزب الواحد لا « أيديولوجيته » الشيوعية ، وهو أمر قد أسهم بدور في تيسير الاتصالات على مستوى الحكومات والحكام ، ولكن لم يكن من شأنه قط بناء علاقات على مستوى مجتمعي جماهيري أعمق . وقد ترتب على ذلك ظهور « منتفعين »عرب بالعلاقات مع الاتحاد السوفيتي ، لم يكونوا على وجه اليقين أقرب الأطراف العربية « أيديولوجيا » إليه ، ولم يكن ذلك غريبا ، فإن هذه العلاقات حكمتها طوال المرحلة الماضية سياسة الاتحاد السوفيتي الدولية ، لا « المواقف الأيديولوجية » .


ومن هذه الزاوية ربما قد تكون « للبيريسترويكا » آثار إيجابية ، فلقد أسفرت ، حتى الآن ، عن بلوغ هجرة اليهود السوفييت إلى « اسرائيل » أرقاما قياسية ، لم يسبق لها مثيل ، وهذا على وجه التأكيد من آثار البيريسترويكا السلبية ، ولكنها قد أسهمت أيضا في تعرية أنظمة نسبت نفسها إلى قضايا الثورة والتحرر ، وثبت في النهاية أن جانب « الدولة » وجانب « النظام » قد طغى ، وأنه أصبح نظاما يحمي مصالح لا تمت إلى الثورة ، ولا إلى التحرر بصلة ، وربما أفسح ذلك المجال لعلاقات عربية سوفيتية أسلم ، لا تشوبها التباسات مستقبلا . □

شعر :
عبد الفتاح
محمد الصبحي



تتأملين البحر . . ترحل قبرات الفجر
عن شفتيك ، تعتصرين
منديل الأماسي التي انكفأت
على صلب الجسور
وتقلبين صحائف البردي ، وتبتعثين
من بين السطور
أصوات من غابوا وراء الأفق ،
أو ذابوا غراما في الصخور
وتهدهدين صغارك الجوعى ،
وتتشحين بالغسق المدارى
الوثير
فأراك سامقة كصفصاف القرى ،
وأراك غامضة كأوراق الزهور

تتأملين البحر . . . يغفو لحظك الفتّان ،
توقظك الطيور
فيم انتظار المد ؟ لا قمر هناك
ولا بدور
أقمارنا غاصت بقاع البحر ،
والغيّاب لن يأتوا على
لوح جسور !
ها هم رجالك في فجاج الأرض
يرتحلون من حزن إلى حزن ضرير
ويشدهم لهف إلى عينيك حين تفيض



بالوعد المعتق والنشور
يتجمد الدمع المبجل في مآقيهم ،
وتنتفض النسور
يتمزق الصمت الحبيس بزفرة حَرَّى
ولكن القدور
تغلي . . . ولا لحم هناك ولا بذور

البحر ، رغم الصمت ، أنّات مصفدة
وأحلام مثيرة
والبحر مائدة تجمع خبزنا الدامي
وبسمتنا المريرة
والصمت صرختنا التي ستدور من
أفق إلى أفق ، وترفع
راية الفرح الأميرة !



لغة الإشارات والكنايات

بقلم: الدكتور عبدالرحيم الرحموني*

لايحصر البيان في مجال اللغة المكتوبة أو المنطوقة حسب، بل يجاوزه إلى أصناف أخرى كالاشارة والنصبة والعقد، فكم من إيماءة أو هزة رأس أو إشارة بيد أفصحت عن معنى ودلالة.

قسّم الجاحظ البيان إلى خمسة أقسام، فقال: «وجميع أصناف الدّلالات على المعاني، من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء، لاتنقص ولاتزيد: أولها اللّفظ، ثم الإشارة، ثم العَقْد، ثم الخَطّ، ثم الحال التي تَسمّى نِصْبَة. والنِّصْبَة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولاتُقَصِّرُ عن تلك الدّلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها، وأقدارها، وعن خاصّها، وعامّها، وعن طبقاتها في السّار والضّار».

«فأما الإشارة فباليد وبالرأس، وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف. وقد يتهدد رافع السيف والسوط، فيكون ذلك زاجرا ومانعا رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا».

«والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب

---

* استاذ لغة من القطر العربي المغربي.

عن اللفظ وما تغني عن الخط». إذن فالإشارة وسيلة من وسائل البيان، قد تنوب عن اللفظ والخط، وتبلغ الغاية في ذلك. ولقد تواصل الناس بهذه الأصناف الخمسة التي ذكرها الجاحظ، فاستعملوا اللفظ والخط والإشارة وغير ذلك، ولقد برع بعضهم في استعمال لغة الإشارة والكناية براعة كبرى، حتى ان المتأمل في بعض الأخبار التي وقع فيها تواصل من هذا النوع يشتد عجبه من أولئك الذين تواصلوا فيما بينهم، وتفاهموا بالإشارات والرموز والألغاز والكنايات واللحن وغير ذلك

والمتتبع لهذه الأخبار التي تعبر عن تواصل أصحابها بهذه اللغة يدرك أن أغلبها استعمل في مجالات مختلفة، اقتضت التستر، وعدم الإفصاح، كمجال الحرب والخوف والعشق ونحو ذلك.

الحرب

فمن الأخبار التي ذكرت في مجال الحرب ما رواه الأصمعي قال: أخبرني شيخ من بني العنبر قال: أسر بنو شيبان رجلا من بني العنبر، قال: دعوني حتى أرسل إلى أهلي ليفدوني، قالوا: على ألّا تكلم الرسول إلا بين أيدينا، قال: نعم. قال: فقال للرسول ائت أهلي، فقل: إن الشجر قد أورق، وقل: إن النساء قد اشتكت وخرزت القرب. ثم قال له: أتعقل؟ قال: نعم. قال: إن كنت تعقل فما هذا؟ قال: الليل. قال: أراك تعقل، انطلق إلى أهلي، فقل لهم: عرّوا جملي الأصهب، واركبوا ناقتي الحمراء، وسلوا حارثا عن أمري.

وكان حارث صديقاً له. فذهب الرسول فأخبرهم، فدعوا حارثا فقصَّ عليه الرسول القصة، فقال: أما قوله: «إن الشجر قد أورق» فقد تسلح القوم. وأما قوله: «إن النساء قد اشتكت وخرزت القرب» فيقول: «قد اتخذت الشكا وخرزت القرب للغزو»، وأما قوله: «هذا الليل» فإنه يقول: «أتاكم جيش مثل الليل»، وأما قوله «عروا جملي الأصهب» فيقول: «ارتحلوا عن الصّمان»، وأما قوله «اركبوا ناقتي الحمراء»، فيقول: «انزلوا الدهناء».

وكان القوم قد تهيأوا لغزوهم، فخافوا أن ينذرهم، فأنذرهم وهم لايشعرون، فجاء القوم يطلبونهم، فلم يجدوهم.

ومثل ذلك ما رواه الأحوص بن جعفر، قال: أتانا رجل لانعرفه، فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته، فعلق وطبا من لبن، ووضع في بعض أغصانها حنظلة ووضع صرّة من تراب وصرة شوك في بعضها، ثم استوى على راحلته. فنظر القوم والأحوص من أمره، فقال الأحوص: أرسلوا إلى قيس بن زهير. فأتوا قيسا، فجاءوا به إليه، فقال له الأحوص: ألم تخبرني أنه لايرد عليك أمر إلا عرفت ما أتاه مالم ترم بنواصي الخيل؟ فقال: ما الخبر؟ فأعلموه، فقال: قد تبين الصبح لذي عينين. فصار مثلا يضرب لوضوح الشيء. قال: أما صرّة التراب، فإنه يزعم أنه قد أتاكم عدد كثير، وأما الحنظلة فإن حنظلة أتاكم أي: أدرككم، وأما الشوك فإن لهم شوكة، وأما اللبن فهو دليل على قرب القوم وعدتهم، فإن كان حلوا حليبا أتتكم الخيل، وإن كان لاحلوا ولا حامضا فعلى قدر ذلك، ولكم الرأي. وإنما ترك الكلام لأنه أخذت عليه العهود ألّا يتكلم.

الخوف

والخوف من القتل أو من العدو أو من اللصوص مقام آخر، يدفع الخائف إلى إفهام من يريد إفهامه، بالإشارة أو الكناية، وتعد العصا التي دافع عنها الجاحظ دفاعا مريرا، في كتاب البيان، وعدّها زيّ العرب في لغتهم، وسيلة من أهم الوسائل التي تواصل بها الناس عن طريق الإشارة بها. ومن أغرب ما ذكر في هذا الباب ما حكي «أن النعمان بن المنذر ورد عليه سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، ومعه خيل، بعضها يقاد، وبعضها عري مهمل، فلما انتهى إلى النعمان سأله عنها، فقال سعد: إني لم أقد هذه لأبيعها، ولم أعر هذه لأهبها. فسأله النعمان عن أرضه، هل أصابها غيث يحمد

أثره، ويروي شجره، فقال سعد: أما المطر فغزير، وأما الورق فشكير، وأما النبت فكثير، فقال النعمان، وقد حسده على ما رأى من ذرب لسانه: وأبيك إنك لمفوه، وإن شئت أنبأتك بما تعيا عن جوابه. فقال سعد: إن لم يكن منك إفراط ولا إبعاط... فمكث عنده ما مكث، ثم بدا له أن يبعث رائدا يرتاد له الكلأ، فبعث عمرو بن مالك أخا سعد، فأبطأ عليه فأغضبه وأقسم لئن جاء حامدا للكلأ أو ذامّا ليقتلنه. فلما قدم عمرو دخل على النعمان، وعنده الناس، وسعد أخوه فيهم. وقد كان عرف ما أقسم به النعمان، فقال سعد: أتأذن لي فأكلمه؟ فقال: إن كلمته قطعت لسانك، فقال: فأشير إليه؟ فقال: إن أشرت إليه قطعت يمينك. قال: فأومىء إليه؟ قال: إذن أنزع حدقتيك، قال: فأقرع إليه العصا؟ قال: اقرع. فتناول عصا من بعض جلسائه، فوضعها بين يديه، وأخذ عصاه التي كانت معه وأخوه قائم، فقرع بعصاه الأخرى قرعة واحدة. ثم رفعها إلى السماء، ثم مسح عصاه بالأخرى، فعرف أنه يقول: قل لم أجد جدبا. ثم قرع العصا مرارا بطرف عصاه، ثم رفعها شيئا، فعرف أنه يقول: ولا نباتا، ثم قرع العصا قرعة، وأقبل بها نحو النعمان، فعرف أنه يقول: كلمه. فأقبل عمرو بن مالك، حتى قام بين يدي النعمان، فقال له النعمان: هل حمدت خصبا أم ذممت جدبا؟ فقال عمرو: لم أذمم جدبا ولم أحمد بقلا، أرض مشكلة، لاخصبها يعرف، ولا جدبها يوصف، رائدها واقف، ومنكرها عارف، وآمنها خائف. فقال: أولى لك بذلك، نجوت، فنجا. وهو أول من قرعت له العصا».

الغزل والزواج

ولقد تواصل الشعراء الغزليون من جهتهم بهذه الكنايات والإشارات أيضا، ولا أدل على ذلك مما ورد في شعر الغزل من تكرار ألفاظ الإشارة والوحي الذي يعني الاشارة أيضا، وغير ذلك من الألفاظ، كما نجد في قول الشاعر:

أشارت بطرفِ العينِ خِيفةَ أهلها
إشارة مذعورٍ وَلَمْ تتكلمِ
فأيقنتُ أنّ الطرفَ قد قالَ مرحباً
وأهلا وسهلا بالحبيبِ المتيّمِ

وكقول الآخر:

ترى عينها عيني فتعرف وحيها
وتعرف عيني ما به الوَحْي يرجع

ولقد رويت عن هؤلاء الشعراء أخبارٌ كثيرة ومتنوعة، تعبر كلها عن تأدية المعاني إلى المخاطب، بما يخفى على الحاضر. من ذلك ما روي أن جميلا قال لكثير: لو صرت إلى بثينة، فأخذت لي منها موعدا، فقال: أفعل، متى كان



آخر عهدك بها؟ قال: يوم كذا، قال في أي موضع؟ قال في وادي الدّوم وأصاب ثوبها شيء فغسلته. قال: فأتى الحي، فجعل يتحدث إليهم، حتى أتى عمها فحادثه، وقال: أسمعك أبياتا في عزة حضرتني، فقال له: هاتها. فأعلى إنشاده، لتسمع بثينة، وقال:

بأنْ تجعلي بيني وبينكِ موعداً
وأن تأمريني ما الذي فيه أفعل
أما تذكرين العهد يوم لقيتكم
بأسفل واد الدّوم والثوب يغسل

فعلمت بثينة أن إياها يقصد بالعلامة، فصاحت: اخسأ اخسأ، فصاح عمها: ما اخسأت؟ قالت: كلباً كان يعترينا ليلا، ثم رأيته الساعة وراء الرابية. فرجع كثير إلى جميل، وقال له: ائتها الليلة وراء الرابية، فلقد ذكرت الليل والرابية.

ويبدو أن لغة الغزلين هذه قد عرفت عند الكثير من الناس، وبخاصة قبل الزواج، حيث يختبر كل من الرجل والمرأة صاحبه، ليعرف مقدار ذكائه وفطنته. من ذلك ما ذكره الأصمعي، من أن رجلا تزوج امرأة، «فساق إليها مهرها ثلاثين شاة، وبعث بها رسولا، وبعث بزق خمر، فعمد الرسول إلى الشاة فذبحها في الطريق فأكلها، وشرب بعض الزق، فلما أتى المرأة نظرت إلى تسع وعشرين، ورأت الزق ناقصا، فعلمت أن الرجل لايبعث إلا بثلاثين وزق مملوء، فقالت للرسول: قل لصاحبك: إن سُحيما قد دثم، وإن رسولك جاءنا في المحاق. فلما أتاه الرسول بالرسالة: قال يا عدو الله، أكلت من الثلاثين شاة شاة، وشربت من رأس الزق، فاعترف بذلك».

وامرؤ القيس أيضا

وشبيه بهذا الخبر ما رواه صاحب الأغاني عن امريء القيس، فلقد ذكر أن امرأ القيس آلى على نفسه ألا يتزوج امرأة، حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين. فجعل يخطب النساء، فإذا سألهن عن هذا، قلن: أربعة عشر. فبينا هو في جوف الليل إذ هو برجل يحمل ابنة له صغيرة، كأنها البدر لتمه، فأعجبته، فقال لها: ياجارية! ما ثمانية وأربعة واثنان؟ قالت: أما ثمانية فأطْباء الكلبة، وأما أربعة فأخلاف الناقة، وأما اثنان فثديا المرأة، فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها. وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال، فجعل لها ذلك، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر وصائف، وثلاثة أفراس، ثم إنه أرسل عبده إلى المرأة، فأهدى إليها نحيا من سمن، ونحيا من عسل، وحلة من عصب، فنزل العبد في بعض المياه، فنشر الحلة، فلبسها، ثم أتاها وهي خلوف، فسألها عن أبيها وأمها وأخيها، ودفع إليها هديتها، فقالت له: أعلِم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا، وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، وأن أخي يراعي الشمس، وأن سماءكم انشقت، وأن وعاءكم قد نضب، فقدم الغلام على مولاه، فأخبره، فقال: أما قولها ذهب يبعد قريبا ويقرب بعيدا فإن أباها ذهب يحالف على قومه، وقولها ذهبت تشق النفس نفسين فإن أمها ذهبت تقبل نفساء، وقولها: أخي يراعي الشمس فإن أخاها في سرحٍ له يرعاه، وقولها: إن سماءكم انشقت فإن البرد الذي بعثت به انشق، وقولها وإن وعاءكم قد نضب فإن النحيين اللّذين بعثت بهما نقصا، فاصدقني. فقص عليه الغلام القصة. والقصة طويلة، تذكر كيف ذهب هو نفسه إليها مع غلامه، وكيف غدر به غلامه، حينما دفعه في البئر، وذهب الغلام إلى المرأة على أنه هو الزوج، فعرفت كذبه، وكيف أخرج امرؤ القيس من البئر، وذهابه إليها، وسؤالها إياه عن الخصال الثلاث التي اشترطت عليه، وجوابه عنها، وزواجه إياها.

ويلحق بهذا الباب الكلام الذي يسمعه السامع، فيفهم أن معناه يتعلق بما هو فيه، وأنه هو المقصود بالكلام، على الرغم من أن المتكلم يقصد شيئا آخر. من ذلك ما روي أن امرأة كانت «تنزل متنحية من الحي وتحب العزلة، وكان لها غنم، فطرقها اللصوص، فقالت

لأمتها: اخرجي! من هاهنا؟ قالت هاهنا حيان والحمارس وعامر والحارث ورأس عنز وشادن وراعيا بهمنا. فنحن ما أولئك! أي فنحن أولئك، فلما سمعوا ذلك ظنوا أن عندها بنيها، قال: وحيان والحمارس أسماء تيوس لها».

ونقيض ذلك أن يسأل السائل عن شيء، فيجيبه المجيب بجواب لايرتبط بقصد صاحب السؤال، وإنما بتأويل آخر، يعطيه المجيب للسؤال، فيكون جوابه بذلك مخالفا لمراد السائل. من ذلك ما وقع لخالد بن الوليد، حينما طلب من أهل الحيرة أن يخرجوا له رجلا من عقلائهم، ليسأله عن بعض الأمور، فأخرجوا إليه عبدالمسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة الغساني، وهو يومئذ ابن خمسين وثلاثمائة سنة، فقال له خالد: من أين أقصي أثرك؟ قال من صلب أبي. قال: فمن أين خرجت؟ قال: من بطن أمي، قال: فعلام أنت؟ قال: على الأرض، قال: ففيم أنت؟ قال: في ثيابي، قال: ما بيمينك؟ قال: عظم، قال: أتعقل لاعقلت؟ قال: إي والله وأقيد، قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد. قال: كم أوتي عليك من الدهر. قال: لو أتي على شيء لقتلني. قال: ما تزيدني مسألتك إلا غمي، قال: ما أجبتك إلا عن مسألتك. قال: أعرب أنتم أم نبط قال: عرب استنبطنا، ونبط استعربنا. قال: فحرب أنتم أم سلم؟ قال: سلم.

ومثل ذلك ما حدث للحجاج الذي قال لرجل من الخوارج: «أجمعت القرآن؟ قال: أمتفرقا كان فأجمعه؟ قال: أتقرؤه ظاهرا؟ قال: بل أقرؤه وأنا أنظر فيه، قال: أفتحفظه؟ قال: أخشيت فراره فأحفظه».

سيد علمهم

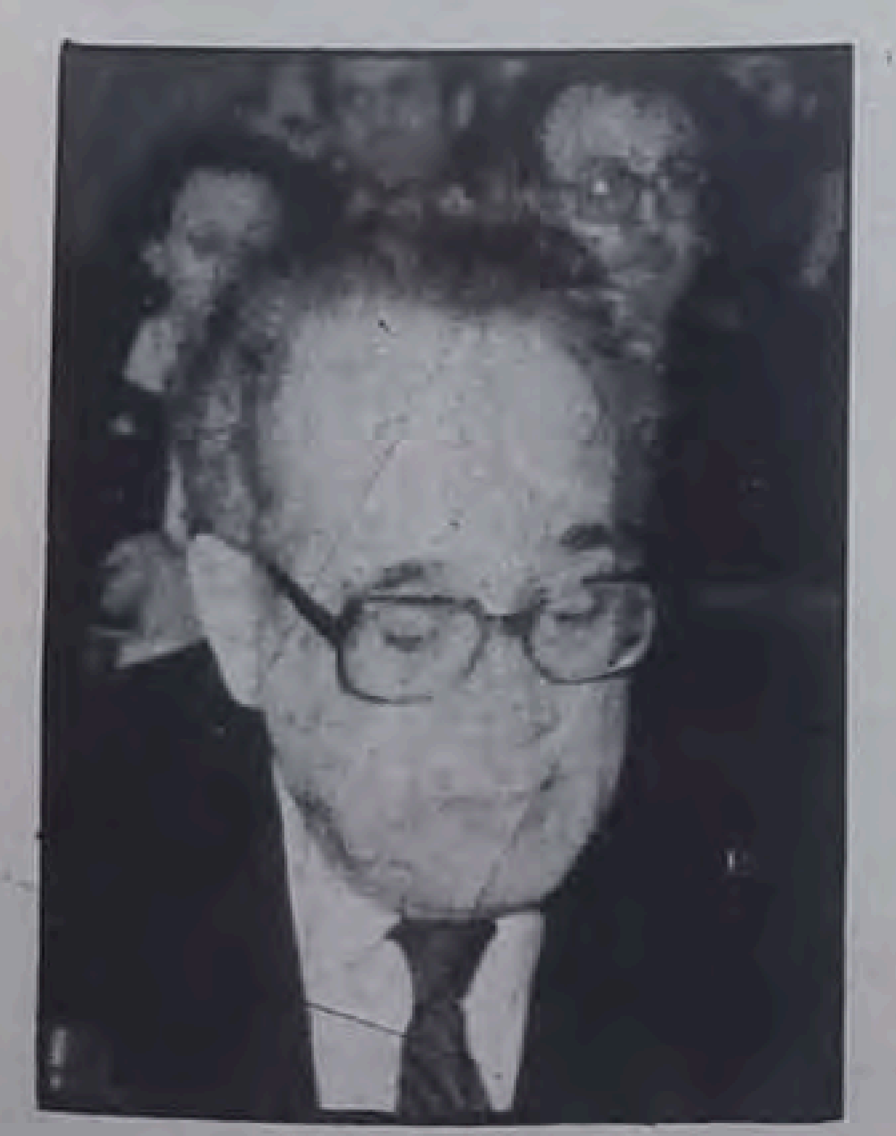
وهذا كله يدل على ذكاء العرب الذين عرفوا ببلاغة المنطق، وتشقيق اللغة، وتصاريف الكلام الذي هو سيد علمهم، ففاض به بيانهم، وجاشت به صدورهم، فاكتفوا بالجملة عن النص الطويل، وباللفظة الواحدة عن الجملة، وبالإشارة عن اللفظة، إيمانا منهم بأن أحسن شيء ماقل ودل، ولقد اعتني الدارسون بهذا الفن من القول، فدرسوه في أبواب متعددة، كالألغاز والإشارات والكنايات والرطانات، والبيان والتورية واللحن وغير ذلك، بل إن الشعراء أنفسهم قد امتدحوا هذا الجانب في الخطباء، كالذي قاله أبو دؤاد بن حريز في صفة خطباء إياد قال:

يَرمُون بالخُطَب الطِّوالِ وَتَارَةً
وَحْيَ المَلاحظِ خيفَةَ الرقباءِ

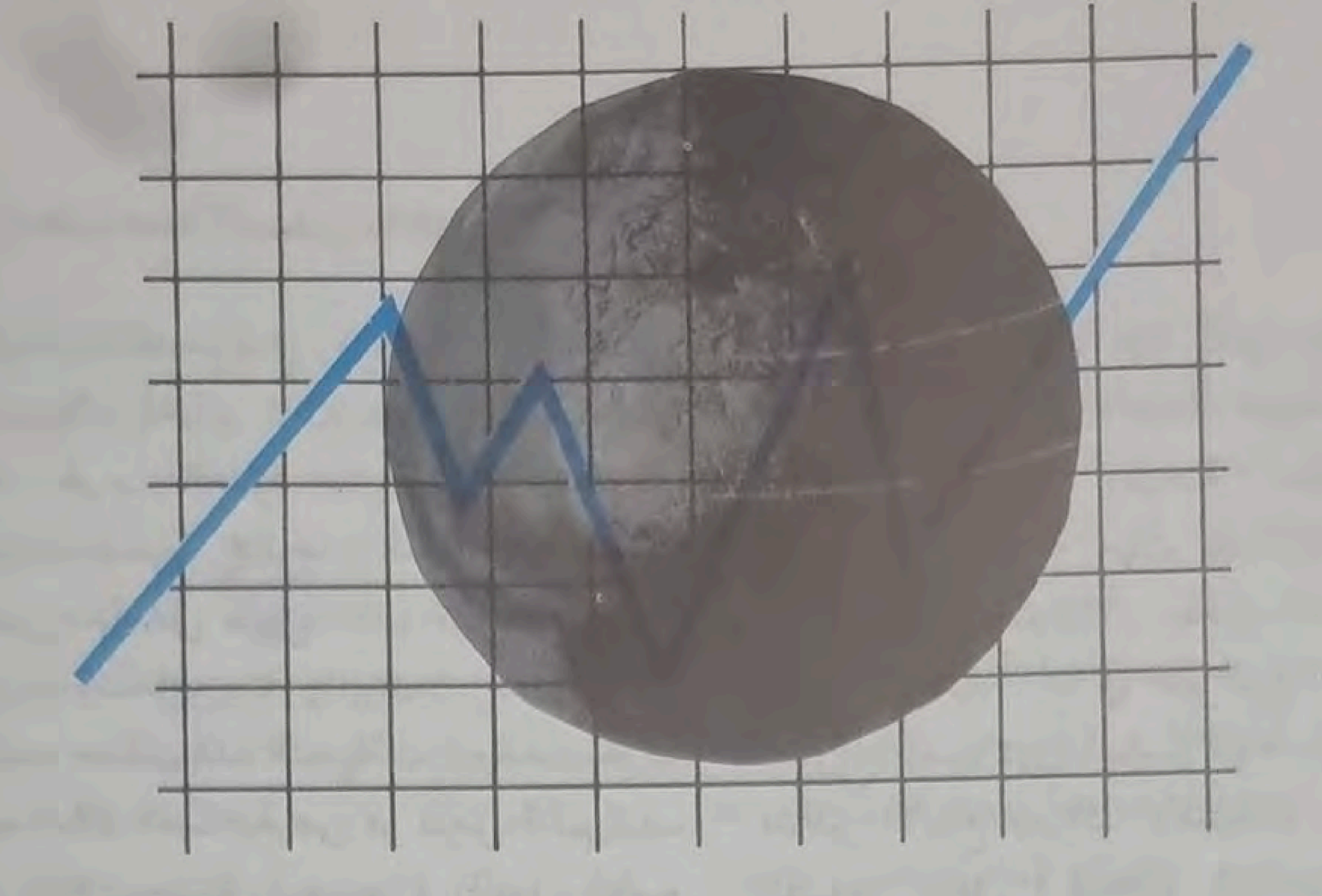
قال الجاحظ معلقا: «فذكر المبسوط في موضعه، والمحذوف في موضعه، والموجز والكناية والوحي باللفظ ودلالة الإشارة». □

الرقص بالحروف

وصف الأديب كامل الزهيري مهنة الكتابة فقال: «هي مهنة ومحنة، كأنها امتحان ولكنها أيضا متعة. فالكاتب يحسن كلماته، ويسكبها ويلمسها في الخيال، فتتلامس الميم بالنون والعين بالباء وتتراقص الحروف، وتتصادم، وتتعانق، وتقع بعض الحروف وتبقى حروف أخرى، حتى تتكون الكلمة، وتتضح في رأس الكاتب فيكتبها! وفى هذا اللعب بالكلمات صدق بريء ومرح سعيد».



● كامل زهيري



السياسات الاقتصادية

قضايا ومفاهيم

بقلم : الدكتور نعيم الشربيني

يكثر الحديث عن السياسات الاقتصادية ، وعندما يثور اختلاف أو انتقاد يسارع بعض بإلقاء الأسباب على نتائج السياسات الاقتصادية . وهذه محاولة لتقديم مفهوم للسياسات الاقتصادية ، ومدى ارتباطها وتأثيرها على حياة المجتمعات .

إن مفهوم السياسات الاقتصادية قد تغير عبر الزمن بفعل تطور قدرات المفكرين على تحليل الظواهر الاقتصادية ، بل إنه ارتبط في الوقت نفسه بتحول طبيعة النشاط الاقتصادي نفسه في المجتمع . فتطور دراسة الاقتصاد إبان الثورة الصناعية في أوربا في أواخر القرن الثامن عشر ، قد كان يعكس تغير سمات النشاط الاقتصادي نفسه ، وتحول اهتمام الناس من شئون الزراعة والتجارة إلى شئون الصناعة والمال . واصطلاح « البلاد الصناعية » الذي نتداوله كثيراً اليوم ، أطلق أولا على بلاد غرب أوربا مثل انجلترا وفرنسا وألمانيا ، وهي التي دخلت فيها الصناعة قبل غيرها منذ حوالي قرنين من الزمان . ولقد ظل لبلاد غرب أوربا السبق كمعقل للصناعة فترة قرن كامل ، بدأت بعده بلاد أخرى كالولايات المتحدة واليابان واستراليا

وشرق أوربا الدخول في زمرة البلاد الصناعية . بل إن بلاداً أخرى كانت فقيرة ومتخلفة حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية قد أخذت في الدخول ضمن مجموعة البلاد الصناعية . ونخص منها على سبيل المثال كوريا ، وهونج كونج ، وسنغافورة ، وتايوان .

كيف حدثت هذه التحولات ؟ وكيف تغيرت تركيبة البلاد الصناعية على مر الزمن ؟ ثم كيف أمكن البلاد حديثة التصنيع في القرن التاسع عشر (الولايات المتحدة واليابان) قيادة الصناعة العالمية في القرن العشرين ؟ بل كيف تمكنت بعض البلاد الفقيرة من الدخول في هذه الزمرة المتميزة ؟ الاجابة تكمن في كلمتين (السياسات الاقتصادية) .

والمقصود بالسياسات الاقتصادية هنا هو مجموعة التشريعات والقواعد التى تسنها الدولة ، فتحكم حركة النشاط الاقتصادي في المجتمع ، كما تسهم في صياغة العلاقات المتبادلة بين أطراف العمليات الاقتصادية . والمقصود بالنشاط الاقتصادي هو كل ما يتعلق بالانتاج ، والاستهلاك ، والتوزيع ، ويقوم بكل نشاط منها واحد أو أكثر من ثلاثة أطراف : الأفراد ، والشركات ، والدولة ، أي أن مجال السياسات الاقتصادية هو كل العناصر التسعة الداخلة في منظومة العلاقات الاقتصادية (٣ أنشطة × ٣ أطراف) .

فالانتاج قد يقوم به الأفراد مثلما هو الحال في الزراعة والتشييد ، وقد تقوم به الشركات مثلما هو الحال في المؤسسات الصناعية أو الخدمية ، وقد تقوم به الحكومة مثلما هو الحال في الخدمات الأساسية للتعليم والصحة ، أو في مؤسسات القطاع العام لانتاج السلع والخدمات . ويتوجه معظم الناتج من كل هذه العمليات الانتاجية على مستوياتها المختلفة إلى الاستهلاك ، وما لا يتم استهلاكه يستثمر لتوسيع الطاقة الانتاجية مستقبلا . وطالما تباينت مواقع مناطق الانتاج ومراكز الاستهلاك ، فإن الذي يربط بينها هو نشاط التوزيع الذي تعتمد طبيعته على مدى تطور المجتمع ، ودرجة تعقيده . ففي المجتمعات البدائية حيث يتم الانتاج بالقرب من مراكز الاستهلاك ، يلعب التوزيع وظيفة محدودة الأهمية . أما في عالم اليوم ، فقد أصبح التوزيع يلعب دورا أساسيا لتباعد المسافات بين مناطق الانتاج ومراكز الاستهلاك ، سواء على الصعيد المحلي (التجارة الداخلية) أو على الصعيد الدولي (التجارة الخارجية) .

معنى هذا أن كل ما يمس النشاط الانتاجي من قريب أو بعيد يدخل في مجال السياسات الاقتصادية . فتنظيم استخدام المياه بين الزراعة والصناعة والقطاع المنزلي هو جزء من السياسات الاقتصادية . وفي المجال الزراعي فإن تنظيم استخدام الأسمدة والمبيدات الحشرية بين المحاصيل المختلفة والالتزام بدورات زراعية معينة ، وتسعير المدخلات من ايجارات الأرض ، وأجور العمال ، وأسعار الأسمدة والوقود ، هو جزء من السياسات الاقتصادية .

كما أن كل ما يمس النشاط الاستهلاكي من قريب أو بعيد إنما يدخل في مجال السياسات الاقتصادية ، فتسعير المنتجات الزراعية في مؤسسات القطاع العام والخاص ، ودعم أسعار



السلع الضرورية من خبز وزيوت ولحوم وسكر وخلافه لبيعها للمستهلكين بأقل من تكاليفها الكلية هو جزء من السياسات الاقتصادية ، التي تشمل كذلك كل ما يمس نشاط التوزيع . فتحديد من الذي يقوم بالاستيراد والتصدير وإقرار معدلات الضرائب التي تفرضها الدولة على هذه الأنشطة ، وتخصيص المواقع لمنافذ التسويق ، وتحديد هويتها سواء كانت جمعيات تعاونية أو متاجر للقطاع العام أو تحديد ما يباع فيها هو جزء من السياسات الاقتصادية كذلك .

بين نظامين

على أن محتوى السياسات الاقتصادية إنما يتشكل وفقا لايديولوجية المجتمع ، ويتباين وفقا لأهدافه الكبرى . ففي المجتمعات الاشتراكية تغطي السياسات الاقتصادية الكثير من التفاصيل ، بالاضافة إلى الخطوط العريضة لحركة الاقتصاد القومي . أما في المجتمعات الليبرالية ، فتغطى السياسات الاقتصادية الخطوط العريضة فقط ، وتترك أمر تنظيم التفاصيل للأسواق ، وتفاعل قوى العرض والطلب . وعلى سبيل المثال ، إذا نظرنا إلى الاستثمارات الحكومية التي يتم تمويلها عن طريق الموازنة العامة نجد أن الدولة في المجتمع الاشتراكي تدخل في كثير من التفاصيل : فهي تحدد الحجم الكلي للاستثمارات ، وما سيوجه إلى المجالات الانتاجية والبنية الأساسية ، كما تحدد الهيكل القطاعي والتوزيع الجغرافي لتلك الاستثمارات داخل كل قطاع ، بل والجدول الزمني لإقامة المشاريع الاستثمارية . أما في المجتمع الليبرالي فغالبا ما تتركز الاستثمارات الحكومية في مشاريع البنية الأساسية ، تاركة المجال للقطاع الخاص ليستثمر في الأنشطة الانتاجية كالزراعة والصناعة وفقا لاحتياجات السوق ، وأذواق المستهلكين. والذي يقوم بتخصيص الاستثمارات الانتاجية بين أوجه الاستعمالات المختلفة هم رجال الأعمال . والفرق الكبير ـ والخطير ـ بين هذين المدخلين



إنما يكمن في ما يترتب عن خطأ التقدير في قضية تخصيص الاستثمارات . ففي النظام الاشتراكي يدفع ثمن الخطأ المجتمع كله ، وليس (البيروقراطيون) الذين تتم مكافأتهم في معظم الأحوال . أما في النظام (الليبرالي) الرأسمالي فإن رجال الأعمال هم الذين يدفعون ثمن الخطأ ، ومن ثمَّ فإن الحافز واضح لابداعهم وضرورة تجنب الخطأ .

ضرورات وضوابط

والحديث عن أخطاء السياسات الاقتصادية يجرنا إلى الحديث عن ضرورة الاتساق في التخطيط والتنظيم ، وكذلك عن أهمية الجدية والالتزام في التطبيق ، وهي عناصر السياسة الاقتصادية الرشيدة . فأما اتساق السياسات فإنه يتطلب عدم تعارض جزئيات السياسات الاقتصادية بعضها مع بعض . فعلى سبيل المثال ، إذا كان التصنيع هو الهدف الأكبر فلابد أن تخدم جزئيات السياسات الاقتصادية هذا الهدف الأكبر . بمعنى أن يترتب عن السياسة الزراعية انتاج زراعي متزايد يسمح باقامة الحد الاقتصادي الأدنى للصناعات الغذائية ، وأن تخصص الموارد المائية لخدمة التوسع الصناعي ، وأن تحمي السياسات التجارية الصناعات الوليدة إلى حين ، حتى تستطيع المنافسة في الأسواق العالمية ، وأن تكون الأولوية في عقود شراء القطاع الحكومي للمنتجات المحلية ، وأن تسمح سياسات التسعير بتحقيق فائض معقول في المنشآت الصناعية . أما رفع شعاري التصنيع والانفتاح في الوقت نفسه - على سبيل المثال - فقد يؤدي إلى عدم الاتساق ، خاصة اذا كانت المنشآت الصناعية المحلية محدودة القدرة على المنافسة في الأسواق العالمية ، وذلك لأن المنشآت التجارية ستتوجه إلى استيراد المنتجات الصناعية من الخارج ، وتعرض بهذا الصناعات المحلية إلى الصعوبات التي قد تؤدي إلى القضاء عليها آجلا أو عاجلا . الاتساق في السياسات الاقتصادية إذن يتطلب وضوح الهدف الأكبر للمجتمع ، ثم تطويع كل المقدرات لخدمة هذا الهدف .

أما الجدية والالتزام في تطبيق السياسات الاقتصادية فهذه هي آفة كثير من الدول النامية ومن بينها بعض أقطارنا العربية .

ونظرا لأهمية السياسات الاقتصادية وتأثيرها في حياة المواطنين ، فإنه من الطبيعي أن يتزايد اهتمام الناس بها لأنها تمس ملايين البشر في حياتهم اليومية ، وفي مستقبلهم . والاهتمام بالسياسات الاقتصادية جزء من تزايد الوعي بالقضايا العامة لدى الناس . هذا الوعي الذي كان يركز في الأربعينيات والخمسينيات ، على قضايا التحرر الوطني والاستقلال . وكان ظهور القوى الوطنية في دول العالم الثالث حافزا لتقاربها . فلقد اكتشفت أنها تواجه قضايا مصيرية مشتركة ، وأن الاستقلال السياسي إنما هو بداية طريق البناء الاقتصادي الذي يسعى إلى إعادة هيكلة النشاطات الاقتصادية ، وإلى كسر طوق الاحتكارات الدولية على الصناعات الوطنية الوليدة ، وإلى حماية السوق المحلي من جبروت الصناعات الدولية . من هنا فقد كان المنطلق الرئيسي لصياغة السياسات الاقتصادية لا سيما في الخمسينيات ، هو تدعيم الانتصارات السياسية بمحققات اقتصادية . بل إنه في بعض الأحيان كانت المحققات الاقتصادية تشكل انتصارات سياسية ، مثلما حدث في تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ . ولقد أخذ كثير من الحكومات في تلك الحقبة يساوي بين التنمية الاقتصادية والتصنيع . ولقد كان التيار السائد في ذلك الوقت ، ينادى بضرورة قيام الدولة نفسها بتنفيذ المشاريع الصناعية الكبرى ، بل إن الكثير من صانعي القرارات كانوا منبهرين بالصناعات الثقيلة ، وارتفعت في أقطار عربية شعارات « التصنيع من الابرة للصاروخ » . ولم

يلتفت صانعو القرارات في ذلك الوقت إلى تكلفة تصنيع الابرة أو الصاروخ ، أو ما بينهما .

كان تركيز السياسة الاقتصادية الجديدة لمعظم بلدان العالم الثالث ينصب على الانتاج ، بغض النظر عن اعتبارات التكاليف والكفاية الانتاجية ، وبغض النظر عن هياكل الاستهلاك والتوزيع التي ستمتص الانتاج الجديد ، فقد كان الافتراض الضمني السائد هو أن هذه الأمور ستحل بطريقة ما .

وحتى في البلاد التي كانت تعتمد في نموها الاقتصادي على المواد الخام والمواد الأولية ـ وليس على التصنيع ـ فان تركيز السياسة الاقتصادية الجديدة كان في الحصول على مزايا أفضل من انتاج وبيع تلك المواد في الأسواق



العالمية . فمثلا كانت شركات النفط تستغل سذاجة الحكام العرب في الماضي فتحتفظ لنفسها بنصيب الأسد ، وترمي بالفتات للحكومات العربية ، فتبدو بالمقارنة وكأنها الخير الكثير ، لأنها كانت على الرغم من تواضعها تمثل أكبر موارد الموازنة العامة للدولة . وبمرور الوقت وبتزايد الخبرات العربية في المجالات المتعددة للنفط ، بدأت الحقائق تتضح ، واكتشفت الحكومات العربية أنها كانت تستغل أبشع استغلال ، فأخذت تطالب بنصيبها العادل في ثرواتها الوطنية . وهكذا كان انشاء مؤسسة الاوبك عام ١٩٦٠ من أهم قرارات السياسة الاقتصادية العربية .

نخلص مما تقدم إلى أن الاهتمام بالسياسات الاقتصادية قد بدأ نتيجة تزايد الوعي السياسي ، ومطالبة الناس بحياة أفضل لهم ولأولادهم من بعدهم . كما بدأ هذا الاهتمام يتزايد بتطور المعرفة العامة ، وبتسليط الأضواء على القضايا الاقتصادية ، وعلى كيفية إدارتها من جانب السلطات الحاكمة .

من الذي يحدد السياسات الاقتصادية ؟

يتضح مما تقدم أن قضية السياسات الاقتصادية أكبر كثيراً ، وأخطر من أن تترك لمجموعة وحدها دون الأخرى ، سواء كانت تلك المجموعة من رجال الاقتصاد أو السياسة أو العسكريين أو غيرهم . إن صياغة تلك السياسات أمر يهم كل مواطن ، ومن ثم لابد من مشاركة الفئات المختلفة مشاركة فعالة في هذه العملية . ولعل في هذا ما يفسر الارتباط الوثيق بين قضية الديمقراطية وصياغة السياسات في البلاد الصناعية أو في البلاد النامية .

ففي البلاد الصناعية نجد أن الانتخابات الدورية إنما تقوم على تنافس الأحزاب فيما بينها بناء على « برنامج عمل » تقدمه الأحزاب للمواطنين . وهذا البرنامج ما هو إلا مجموعة

من السياسات الاقتصادية تعكس فلسفة الحزب . وعلى الرغم من أن برامج العمل هذه تتحدد على أساس موازنات وحسابات سياسية ، إلا أنه يتم الاستعانة بخبراء اقتصاديين لتقييم الآثار المترتبة على كل سياسة ، قبل الاختيار فيما بينها .

أما في البلاد النامية فالأمر متروك في كثير من الأحيان لنزاهة الحكام ورغبتهم في التجاوب مع رغبات الجماهير . فإذا اختارت الصفوة الحاكمة التجاوب مع حاجات السواد الأعظم من الناس خاصة لاشباع الحاجات الأساسية من مأكل وملبس ومأوى وتعليم وصحة ، فان النظام يصبح معروفا بأنه نظام وطني ، وهو ما حدث أيام حكم عبدالناصر في مصر ، وسوكارنو في أندونيسيا ، ونهرو وأنديرا غاندي في الهند ، أما إذا قررت الصفوة الحاكمة طريقا آخر غير خدمة آمال غالبية الناس ، فغالبا ما يستمر الأمر على ما هو عليه ، إلى أن تتفاقم الأمور ويبدأ النظام في التآكل من الداخل ، وتتزايد محاولات السكان للإحتجاج على سوء الأحوال المعيشية مما يعرض النظام للاهتزاز . وللأسف فإن النوع الثاني هو الغالب الآن في معظم أقطار العالم الثالث .

ولعل أبرز ما ظهر على الساحة الدولية في مجال السياسات الاقتصادية في أثناء الثمانينيات هو رغبة كثير من البلاد الاشتراكية في الانفتاح على التجارب الليبرالية والاستفادة منها . والمرجح أن هذا التغير يرجع إلى إحساس السلطة في البلاد الاشتراكية بضغط الجماهير للمساهمة في صياغة السياسات الاقتصادية ، أو على الأقل في القرارات المهمة التي تمس حياتهم اليومية . مما يشير إلى الانحسار النسبي لدور الدولة ، والمد النسبي لدور الجماهير في صياغة السياسات الاقتصادية وتطبيقها . □



اقرأ في عدد سبتمبر
١٩٩٠
من مجلة
العربي
استطلاعات مصورة:
مدارس الخليج العربي قبل النفط
سليمان الشيخ
غينيا: الرقص بأقدام جريحة
محمود عبدالوهاب
مشيناها خطا كتبت علينا
عبدالعزيز الصرعاوي
ظاهرة معاداة اليهود
د. عبدالوهاب المسيري
التغيرات في العالم وأثرها على الوطن العربي
محمد زكريا إسماعيل
الكسندر بوشكين يترجم معاني القرآن
د. طارق مردود
طه حسين وموقفه
من السينما ... سمير فريد
وجهاً لوجه
د. عبدالله الطيب
ومحمد البيعقوبي
واقرأ أيضاً للكتاب:
د. محمد الرميحي - د. رضوان السيد - د. عادل الصادق - د. عدنان التكريتي - شوقي بغدادي
الحسين عصمة - د. أحمد صبحي - محمد حسن الطيان - د. محمد برادة
د. علي مبارك - د. عدنان جوباني



الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز

بقلم : الدكتور
محمد علي الفرا

اهتم العرب والمسلمون بالسفر والترحال وبخاصة بعد اتساع الدولة الاسلامية ، وقد ترك الرحالة من مشاهداتهم ومذكراتهم ما يشوق القارىء ويمتع الناظر ، ومن رحلاتهم تلك رحلة النابلسي .

كان مما شجع الرحالة المسلمين على جوب البلاد ، واختراق الفيافي والقفار ، وركوب المحيطات والبحار ، استتباب الأمن ، واستقرار الأحوال في ربوع الدولة الاسلامية ، فأصبح الانسان آمنا على نفسه وماله ، أينما حل وارتحل ، وحيثما استقر وسكن .

وكثيرا ما أغرت رحلات الحج نفرا من المسلمين الذين جابوا البلاد ، وتعرفوا على مختلف الأقطار ، واطلعوا على حياة الشعوب والأقوام ، فأبو الحسن بن أحمد بن جبير (٥٣٩ - ٦١٤هـ = ١١٤٤ - ١٢١٧م) صاحب الرحلة المشهورة « رحلة بن جبير » كان هدفه الأول من رحلته هذه كما يقول « للنية الحجازية » ، وكذلك الحال مع أبي عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي والمعروف بابن بطوطة (٧٠٤ - ٧٧٩هـ = ١٣٠٤ - ١٣٧٧م) ، فقد كانت غايته في أول الأمر « حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام » ، ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن الرحلات والرحالة عموما ، فهو موضوع يحتاج الى بحوث ومقالات ، ولكننا نريد تسليط الأضواء على أحد الرحالة الذين جابوا بلاد الشام ومصر والحجاز .

النابلسي ورحلته

صاحب الرحلة هو الشيخ عبد الغني بن الشيخ اسماعيل النابلسي الذي يعود نسبه الى سعد بن جماعة ، والشهير بالنابلسي الدمشقي

الحنفي القادري النقشبندي . ولد في الخامس من ذي الحجة عام ١٠٥٠هـ ، وتوفي بدمشق في الرابع والعشرين من شعبان عام ١١٤٣هـ ، أي أنه عاش في القرن الثامن عشر الميلادي ، وهو سليل أسرة أنجبت كثيرا من العلماء ، ومعظم أبنائها من المتدينين والمتصوفين .

وقد حدد أهدافه وغاياته من هذه الرحلة فقال في الصفحة الثالثة من المخطوطة : « لقد كنت فيما تقدم من الزمان ، مع جملة من الأصحاب والإخوان ، أتمنى الاستيعاب في زيارة الصالحين من الأحياء والأموات ، والتبرك بنفحات مجالسهم وهاتيك الحضرات ، ويكون ختم ذلك بالحج الشريف ، وزيارة النبي ﷺ في ذلك البلد المنيف » .

التجوال في البلاد الشامية

استهل النابلسي رحلته بزيارة مقام يحيى بن زكريا عليهما السلام في الجامع الأموي بدمشق ، حيث يعتقد أن رأس يحيى مدفون في هذا المكان . ومن ذلك المقام الواقع على مقربة من منزله ، انطلق النابلسي يجوب الديار الشامية بدءا بمدينة دمشق ، وما فيها من أضرحة ومساجد ومقامات ومقدسات ، وبعدها توجه إلى القرى القريبة والمجاورة : برزة ، معربا ، القصير ، منين ، معرة صيدنايا ، الموهبية ، التواني ، معلولا ، دمحه ، يبرود ، عين سكفته ، النبك ، قارة ، قلعة حسين ، شمسين .

وذهب بعد ذلك إلى مدينة حمص ، ثم قرى الرستن ، فالسويداء ، ثم إلى مدينة حماة ومنها إلى القدموس قلعة المرقب ، جبلة ، وتوجه بعدها إلى اللاذقية ، وطرطوس ثم طرابلس وقرية المنية ، وجبل لبنان ثم البترون وقلعة جبيل ومنها إلى بيروت ، وقرية دير البقر ، وقرية اسحيم من قرى صيدا ، ومن صيدا توجه إلى عكا مرورا بمدينة صور ، وبعد عكا زار قرى : شفا عمرو ، صفورية ، مشهد النبي يونس ، مدينة الناصرة ، وقرية اكسال ومرج بن عامر ، وقرى : جلمة ، يعبد ، عرابة ، برقة ، سبسطية ، ومنها إلى مدينة نابلس . وبعد أن غادر نابلس زار قرى : منخا ، كفر قليل ، خان اللبن ، المزرعة ، البيرة(مدينة) ، ومنها إلى القدس الشريف ثم الخليل وماحولها من قرى : كفر البريك ، سعير ، وحلحول ، ثم مدينة بيت لحم ومنها عاد إلى القدس ثم توجه إلى أريحا ، وقرى منطقة القدس : بيت اكسا ، بيت لقيا وبيت سيرا (قضاء رام الله حاليا) ، ثم سافر إلى الرملة ومنها إلى قرية أرسوف (سيدنا علي حاليا) على ساحل البحر المتوسط شمال مدينة يافا ، وزار ميناء يافا ، وقرى يبنه ، اسدود ، حمامة ، مجدل عسقلان (مدينة المجدل حاليا) ثم مدينة عسقلان ومنها إلى مدينة غزة مرورا بقرية بربرة ، وقرية بيت حانون ، ومن غزة توجه النابلسي إلى مدينة خان يونس مرورا بالديرة (دير البلح حاليا) وعند هذه القرية ـ كما يقول النابلسي ـ تنتهي الحدود الشامية ، وقد استغرقت رحلته فيها ٩٩ يوما .

أول مدن الديار المصرية

عدّ النابلسي مدينة خان يونس الواقعة في جنوب فلسطين بداية الديار المصرية ، ففي صفحة ١٦٩ من المخطوطة يقول : « وكان القياس أننا نكمل ذلك بذكر خان يونس الى بلاد العريش ، لأن ذلك حد بلاد الشام كما هي المشهور بين أهل الدراية والتفتيش ، ولكن وجدنا خان يونس هي أول حكم بلاد مصر ، وفيه الآن جنود الغز والعسكر المصري ، جعلنا ذلك أول البلاد المصرية ، وابتدأنا القسم الثاني من ذلك المكان لأنه ابتداء حكم بلاد مصر في هذا الآن » .

وفي الصفحة ١٧٠ يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم ، والله المعين في كل حين ،

القسم الثاني في الإقبال على البقاع المصرية ، والتيمن بهاتيك الأماكن الحسنة الإحسانية ، ثم لم نزل سايرين مع رفقتنا من جماعتنا أو مع أحد غيرهم من المسافرين ، إلى أن وصلنا إلى أول منزل من حكم منازل السفر إلى مصر المحروسة ، دار الكمالات والربوع المأنوسة ، وهي القلعة المسماة بخان يونس ، وقد نبه السيد محمد كبريت في رحلته على ذلك ، وهو به من غربة السفر يونس ، حيث قال من نظمه العذب الزلال :

من غزة سرنا لخان يونس
وهو بواد للنزيل مونس
وليس فيه يا أخي خان
بل قلعة يزهو بها البنيان
وإنه من ملحقات مصر
فيما حكان أهل هذا العصر

السير في الأراضي المصرية

غادر الشيخ عبد الغني النابلسي مدينة خان يونس متوجها إلى قرية الزعقا (الشيخ زويد حاليا وتقع بين رفح والعريش) وهي أرض قفراء وبرية عفراء ، فيردد ما قاله من قبل السيد محمد كبريت :

ثم أتينا بعده الزعقا
أقبح به واد تجافى الرفقا
مافيه من خان ولا أنيس
بل بير ماء مالح حبيس

وتوجه النابلسي بعد ذلك إلى مدينة العريش ، وفي اليوم الثاني سافر إلى قطية (قرية مندثرة تقع بين العريش والقنطرة وكانت بها قلعة شهيرة) ، وواصل سفره إلى الصالحية ، وقرية الخطاط ، وقرية أبو حماد ، ومدينة بلبيس بالشرقية ، ومنها إلى باب الشعرية بمدينة القاهرة ، ونزل ضيفا على زين العابدين البكري بمنزله على بركة الأزبكية ، وقد أعجب النابلسي بالقاهرة وأشاد بكرم المصريين وحفاوتهم بالغريب فقال في صفحة ١٨٧ :

إنما مصر للغريب ديار
وبها تنقضي له الأوطار
جنة الله عجلت للبرايا
فهي تجري من تحتها الأنهار

طاف النابلسي على معظم مساجد مصر وأضرحتها ومقامات الأولياء ، والصالحين والأماكن الأثرية مثل : مزار الإمام الشافعي ، باب زويلة ، مقامات السادة البكرية ، مقام ابن الفارض ، الزاوية البكداشية ، الجامع الأزهر ، زاوية عبد الوهاب الشعراوي ، خان الحمزاوي ، جامع ابن طولون ، مصر العتيقة ، الروضة ، مقياس الروضة ، جامع عمرو بن العاص ، حارة النصارى ، باب النصر ، قلعة الجبل ، جامع الأمير (خير خاير بك) ، بولاق ، تربة المجاورين ، جامع السلطان قايتباي ، جامع السلطان برقوق ، جامع الملك الظاهر ، جبل المقطم . واجتمع



النابلسي بعدد كبير من علماء مصر وشيوخها وفضلائها ووجهائها مثل : الشيخ زين العابدين البكري من السادة الأشراف ، والشيخ محمد العشماوي ، والشيخ منصور المنوفي شيخ الأزهر ، وعدد من علماء الأزهر ، والأمير ابراهيم بك أمير الحج المصري والأمير اسماعيل بك الدفتردار بالخزينة المصرية ، ومراد بك من أعيان الصناجك المصرية (الصنجك أو السنجك بمعنى لواء إداري وهو دون مستوى المحافظة) ووزير مصر علي باشا .

وقد بدأ النابلسي رحلته إلى الديار المصرية بوصوله مدينة خان يونس في اليوم التاسع والتسعين من الرحلة ، وانتهى منها في اليوم الثاني والثمانين ومائة من الرحلة ، أي أن المدة التي قضاها في مصر بلغت ثلاثة وثمانين يوما .

رحلته في الديار الحجازية

غادر الشيخ عبد الغني النابلسي القاهرة بعد أن ودعه وزير مصر علي باشا ، وأصدر بشأنه مرسوما موجها الى جميع طوائف البدو وأهل القرى لمساعدته وحمايته من كل خطر ، كما ودعه شيوخ مصر وعلماؤها وفضلاؤها ووجهاؤها ، وسافر بعدها الى السويس ، ومنها إلى قلعة نخل ، والقريص ، وعقبة العرقوب ، وأم الجرفين ، والبدع ووادي العذيب ، وقلعة المويلح ، وظبا ، والحرامل ، وقلعة الوجه والجريدة والحوراء ، وينبع البحر ، وينبع النخل ، وجبل رضوى ، وسويقة ، وسويق ، ثم المدينة المنورة .



وفي المدينة المنورة زار أماكن كثيرة من أهمها : قبر النبي ﷺ ، مدرسة السلطان قايتباي ، تربة البقيع ، آبار المدينة ، قباء ومسجدها ، مسجد الإمام علي بن أبي طالب ، مسجد السيدة فاطمة ، مسجد القبلتين ، المساجد الخمسة ، مسجد الفتح ، مسجد سلمان الفارسي ، كما زار واجتمع بعدد كبير من علماء المدينة وشيوخها وفضلائها ، وتباحث معهم في كثير من أمور الدين والدنيا .

وفي اليوم الثاني والعشرين والثلاثمائة من الرحلة غادر النابلسي المدينة المنورة متوجها إلى مكة المكرمة ، فكانت إقامته فيها خمسة وثمانين يوما (وصل المدينة في اليوم السابع والثلاثين ومائتين من الرحلة) .

وفي طريقه الى مكة المكرمة مر على : مضمن الغزالة ، الخيف ، وادي الصفراء ، قرية المستورة ، ثم أحرم احرام العمرة برابغ ، وواصل سفره الى منزل مديد وعسفان ووادي فاطمة ثم مكة المكرمة .

وصل النابلسي مكة المكرمة في اليوم الثلاثين بعد الثلاثمائة من الرحلة،وزار أماكنها المختلفة وبخاصة : الكعبة والمسجد الحرام ، وطاف بالبيت الحرام ، وزار منى مرورا بالمزدلفة ، ووصل عرفات وجبل الرحمة ، ومسجد نمرة ، وعاد إلى المزدلفة وأدى مناسك الحج كاملة ، وزار محل مولد النبي ﷺ ، وزار وادي فاطمة ، ومنزل عسفان ، ومنزل خليص والجرينات حيث توفي شقيقه وزار منزل القاع ، :منزل بدر ، :وقرية الصفراء ، وقرية الجديدة ، ثم عاد إلى المدينة المنورة فوصلها في اليوم السادس والخمسين بعد الثلاثمائة من الرحلة،ومكث بها أربعة أيام غادرها بعد ذلك ، أي في اليوم الستين بعد الثلاثمائة من الرحلة متجها إلى الشام . وفي الطريق مر بوادي ابراهيم ، وادي القرى ، آبار ثمود ، مدائن صالح ، قلعة تبوك ، قلعة معان ، قلعة القطرانة ، ، القلابات ، الزرقاء ، المغرق ، قرية الرمثاء ، قلعة المزيريب ، قرية الكتيبة ، منزلة الكسوة ، فدمشق الشام التي وصلها في اليوم الثامن والثمانين بعد الثلاثمائة من الرحلة .

وبهذا يكون النابلسي قد استغرق في طريقه من مصر إلى الحجاز ٥٤ يوما ، وقضى في الحجاز ١٠٩ أيام ، و٤٣ يوما في طريق عودته من الحجاز الى الشام .

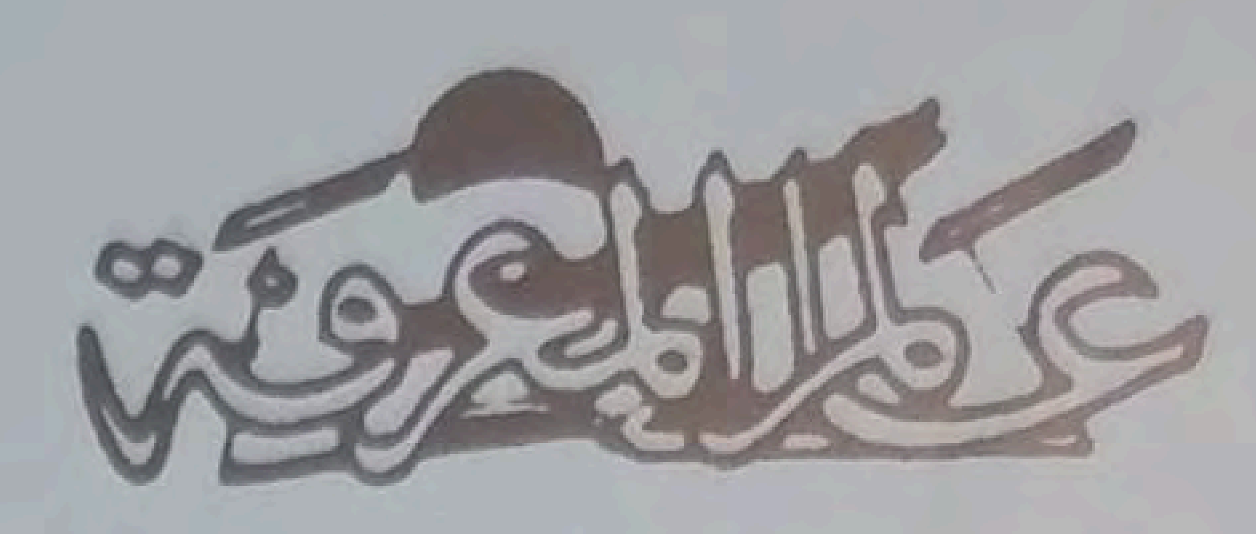
نماذج من وصفه

لعل من المفيد إيراد نماذج عن اسلوب النابلسي وطريقته في الوصف ، ومنهجه في الكتابة ، وفيما يلي نقتطف بعض كلامه عن أبواب المسجد النبوي بالمدينة (ص ٣٤٦) :

« وذكر السمهودي أيضا عن الحافظ الذهبي قال إن القبلة كانت في شمال المسجد فلما حولت بقي مكان حايط القبلة الأولى مكان أهل الصفة انتهي ، قلت وهو الآن مكان الطواشية الخدام في الحرم الشريف والحجرة المطهرة ، قال السمهودي وفي الصحيح وسنن أبي داود أن أبا بكر رضي الله عنه لم يزد في مسجد رسول الله ﷺ شيئا ، قال أهل السيرة لانشغاله بالفتح ثانيا وفي الصحيح والسنن أيضا أن عمر رضي الله عنه زاد فيه وبناه على بنائه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا ، ونقل إن زيادة عمر رضي الله عنه كانت في جهة الشمال نحو ثلاثين ذراعا » .

ويصف قلعة معان (في جنوب الأردن) بقوله (ص ٤٨٥) :

« ثم لم نزل سايرين حتى طلع صباح يوم الأربعاء الثامن والسبعين وثلاثمائة وهو اليوم الرابع والعشرين من المحرم فأشرفنا على قلعة معان وعلى بساتينها ودورها وبيوتها الحسان ، وهناك آبار ماء كثيرة ، ومياه غزيرة ، فجاء أهل القلعة،وباعوا على الحجاج من المأكل والفواكه وعلف الدواب وما هو بغية المحتاج » . □



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

أغسطس ١٩٩٠ م

التلوث

مشكلة العصر

تأليف

الدكتور أحمد مدحت إسلام



الكتاب ١٥٢

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

على هامش قول على قول

خُذها يا أحوصُ ، فهيَ لك

بقلم : حسن سعيد الكرمي

الجواري طبقة من طبقات المجتمع في الدولة العربية الإسلامية القديمة ، وكن من جملة الإماء والموالي والقينات والمغنيات والسراري والخدم والمولدات . وكانت الجواري في أول الأمر من السبي ، ثم صرن من الجلب والشراء . وكان الأثرياء والأمراء والخلفاء يقتنون منهن ما كانوا يقدرون عليه . وكانوا يتهادون الجواري ، أو يشترونهن بمئات الألوف من الدراهم ، أو بالألوف من الدنانير ، للجارية الواحدة ، وذلك بحسب جمالها أو حذقها بالغناء أو معرفتها بالشعر . وكثير من الجواري كن شاعرات ، مثل عِنان جارية الناطفي ، ودنانير جارية يحيي بن خالد البرمكي . والجواري مختلفات ، بين تركية ورومية وأرمنية وحبشية وغيرها ، وكان لهن شأن في الدولة ، كما جرى مع ذات الخال والرشيد ، وشجرة الدر في مصر ، كما كان لهن شأن مع الشعراء ، كشأن سلامة مع الأحوص ، وجوهر مع مطيع بن إياس ، وشأن في تاريخ الشعر والأدب والغناء ، وكان لهن دور في تلطيف جو العيش ، وفي تهذيب الأذواق ، وإرهاف الإحساس ، بفضل دماثة الخلق ، ولين الجانب ، وحسن المحضر ، وجمال الجسم ، ورقة المشاعر .

وكان في الكوفة رجل اسمه ابن رامين ، كان صاحب قيان وجوار ، واشتهر من بين جواريه ، ثلاث جوار هن : سلامة الزرقاء ، وسعدة ، وربيحة .

أما سلامة الزرقاء فأصلها من الحجاز ، وكانت مغنية حاذقة جميلة ظريفة تقول الشعر . وقال عنها سهيل بن عبدالرحمن بن عوف لما اشتراها : ما رأيت خصالا أربعا اجتمعن في امرأة مثلها : حسن وجهها ، وحسن غنائها ، وحسن شعرها ، وحذقها فيه . وكانت في الأصل في المدينة ، قبل أن تكون في الكوفة ، وقد قرأت القرآن ، وروت الأشعار ، وقالت الشعر ، وغنت به ، وكان الشاعران : عبدالرحمن بن حسان والأحوص بن محمد ، يختلفان إليها ، يرويان الشعر وينشدانه إياها . وكانت تميل إلى الأحوص ، وصَدَّت عن عبدالرحمن ، فقال لها :

أرى الإقبالَ منكِ علىٰ خليلي ... وَمَالي في حديثِكما نَصِيبُ

فقالت له :

لأنَّ الله عَلَّقَهُ فؤادي ... فحازَ الحُبَّ دونَكم الحبيبُ

وقال الأحوص لعبدالرحمن :

خليلي لا تَلُمْهَا في هواها ... ألَذ العيشِ ما تَهوَى القلوبُ

فحقد عبدالرحمن بن حسان على الأحوص ، ثم إنه خرج من المدينة إلى يزيد بن عبدالملك في الشام ومدحه ، فأكرمه يزيد ، وأعطاه . فلما أراد الانصراف من عند يزيد قال : يا أمير المؤمنين ، عندي نصيحة . قال ما هي ؟ قال : جارية خلفتها في المدينة ، من أجمل الناس وأكملهم و أعقلهم ، ولا تصلح أن تكون إلا لأمير المؤمنين ومن سماره . وقصد عبدالرحمن من هذه النصيحة أن يفرق بين الأحوص وسلامة . فأرسل يزيد إلى سلامة واشتراها ، وحُمِلَتْ إليه ، فأعجب بها ، وفضّلها على جميع من عنده من الجواري .

وعاد عبدالرحمن إلى المدينة ، ومر بالأحوص وهو قاعد على باب داره مهموما ، وأراد أن يزيده همًّا على همّ ، فقال له :

يا مبتلِي بالحبِّ مفدوحاً	لاقى من الحبِّ تباريحا
ألجمَهُ الحبُّ فما ينتهي	إلاّ بكأس الشوقِ مصْبوحا
وصار ما يُعجِبُهُ مغلقاً	عنه وما يكره مفتوحا
قد حازَها مَنْ أصْبحتْ عنده	ينال منها الروح والريحا
خليفة الله فَسَلِ الهوَى	وعزِّ قلباً منك مجْروحا

فأمسك الأحوص عن جوابه . وبعد أيام أراد شابان من بني أمية الوفادة إلى يزيد في دمشق . فأتاهما الأحوص ليحملا له كتابا إلى سلامة ، وقال فيه :

سَلاَمَ ذكركِ ملصقٌ بلساني	وعلى هواكِ تعُودني أحزاني
مالي أراكِ في المنام مطيعةً	وإذا انتبهت لججتِ في العصيانِ
أبداً محبُّكِ ممسكٌ بفؤاده	يخشى اللّجاجة منكِ في الهجرانِ
إنْ كنت عاتبة فإني معتبٌ	بعد الإساءة فاقبلِي إحساني
لا تقتلِي رجلا يراكِ لما به	مِثْلَ الشرابِ لغُلّةِ الظمآنِ
ولقد أقول لقاطنين مِنَ أهْلِنا	كانا على خلفي من الإخوانِ
يا صاحبيّ على فؤادي جمرةٌ	وَبرَى الهوَى جسمي كما تريَانِ
لا أستطيعُ الصَّبْرَ عنها إنها	من مهجتي نَزَلَتْ بكلِّ مَكَانِ

ولكن الأحوص لم يستطع صبراً ، فخرج إلى يزيد مادحا ، فقربه يزيد ، وأكرمه ، ولما كان الأحوص في القصر دست سلاّمة خادما وأعطته مالا على أن يُدخلَ الأحوص إليها ، فأخبر الخادم يزيد بن عبدالملك بذلك ، فقال له يزيد : امض برسالتها وافعل كما أمرَتْكَ ، فأدخل الخادم الأحوص إليها ، وجلس يزيد بحيث يراهما ويسمعهما . فلما رأت سلامة الأحوص بكت إليه ، وبكى إليها ، وجعل كل واحد يشكو إلى صاحبه شدة الشوق ، وظلا يتحدثان حتى السحر من غير ريبة ، ويزيد يرى ويسمع ، حتى إذا هم الأحوص بالخروج والتوديع قال :

أمسَى فؤادىَ في همٍّ وبلبالِ	من حبِّ من لم أزل منه على بالِ

فقالت :

صحا المحبون بعد النأي إذ يئسوا	وقد يئستُ وما أصحو على حالِ

فقال :

من كانَ يسلو بيأس من أخي ثقة	فما لِسَلاّمَةَ أمسيتُ بالسَّالي

فقالت :

واللهِ واللهِ لا أنساك يا سكني	حتى تفارقَ مني الروحُ أوْصَالي

فقال :

والله ما خابَ من أمْسَي وأنتِ له	ياقرةَ العين في أهلِ وفيَ مالِ

ثم ودعها وخرج . فأخذه يزيد ، ودعا بسلامة ، وقال لهما : أخبراني عما كان جرى بينكما في ليلتكما ، وأصدقاني . فأخبراه ، ولم يخرما حرفا ، ولا غيَّرَا شيئا ، فقال يزيد للأحوص : أتحبها يا أحوص ؟ قال : إي والله يا أمير المؤمنين :

حُبّاً شديداً تليداً غير مطرّف	بين الجوانح مثل النّار يضطرمُ

ثم التفت يزيد إلى سلامّة ، وسألها : أتحبينه ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين :

حُبّاً شديداً جَرَى كالروحِ في جسدي	فهل يُفرِّقُ بينَ الروحِ والجسدِ

فقال يزيد : خذها يا أحوص ، فهي لك . □



قصة بقلم : فؤاد التكرلي*

(إنني أفكر بمصيري ، كما أفكر بمصيره ، وإنني لأرى أننا جميعا ، لسنا إلا أشباحا لا حقائق) .

سوفوكليس / مسرحية « اياس »

أرجو المعذرة ياسيدي الطبيب ، لكنني أتذكر جيدا أنني أخبرتك أكثر من مرة بأن زوجي لم يأخذ ، ذلك المساء ، دواء لم يجربه من قبل ، أو شيئا غير معروف لدينا . لقد تذكر بعيد العشاء ، نعم ، بالضبط بعيد العشاء ، أنه نسي أن يتناول حبة الصباح من دواء الضغط ، ذلك « التينورمين » المعتاد الذي لاشك أنك تعرفه . وكان قبله ـ سبحان الله ـ قد شكا من صداع خفيف ، حدث هذا بعد انصراف ابننا عبدالرزاق برفقة حفيدنا العزيز سرمد مباشرة . ولقد أجبته حالا . لاتنس أنني بعد معايشة استمرت ثلاثين سنة أصبحت أعلم بأحواله الصحية من نفسه هو . أجبته في الحال ياسيدي ، بأن تراكضه ذاك ، مع حفيدنا العزيز سرمد ، في الحديقة تحت شمس العصر ، هو الذي سبب له هذا النوع من الصداع . فسخر مني ، كما يمكنك أن تتصور . يتكلم ويسخر ، ويطلق نكاته في غيرالوقت المناسب . أعاد علينا عدة نكات ، مللت سماعها أنا وابني ، لكن الحفيد شجعه على الاستمرار . حين كان موظفا غير مرموق في قسم الذاتية بوزارة العدلية ، في ذلك الزمن الغابر ، عمل على كسر شوكة ملاحظ التحرير ، حين نقل الموظف الصغير الذي يحرر له الكتب الرسمية ، فجاء الملاحظ يتوسل ويتوسط ويعلن هزيمته وكان الانتصار العظيم . قلت لابني : إن هذه الحكاية تأكل وتشرب معنا منذ ثلاثين سنة ، وان بمقدور أبيه الحاج عبدالسلام أن يبقيها على المائدة ثلاثين سنة أخرى . أجابني ساخرا : من أستاذة التاريخ التي تحصي السنين فقط ، ولا تهتم بتفسير الأحداث وبقائها . وهكذا مضى العشاء . تسأل عمن تكون أستاذة التاريخ ؟ إنها أنا ياسيدي الطبيب ، ألا تعلم ؟ أنا أستاذة متخصصة في التاريخ ، وقد مارست التدريس أكثر من خمس وعشرين سنة بلا جدوى ، ولكن ، مالي أدور وأستدير حول ماجرى ، ولا أقدمه إليك كما هو ؟ أأريد شيئا آخر لا أعرفه ؟

لم يعثر بعد العشاء مباشرة على حبة الاسبرين

* كاتب روائي من القطر العربي العراقي



التي أرادها لصداع رأسه ، فقمت وجلبتها له بكل اهتمام ، وأفصحت له ، مرة أخرى ، عن رأيي بأسباب الوجع الذي ينتابه ، لكنه لم يجبني . كلا ، كلا ، لم يكن قد تناول بعد حبة « التنيورمين » . قلت لك ذلك منذ البداية . استراح قليلا من ألم رأسه بعد حبة الاسبرين تلك ، واسترخى على كرسيه العريض أمام التلفاز . أجل ، هو يستمتع بمشاهدة العديد من المناهج الغريبة التي تعرض علينا ، لكنه لايجلس قريبا من الشاشة الصغيرة . لماذا تتصوره يفعل ذلك ؟ إنه يكتفي بوضع نظارته السميكة ويرتاح على الكرسي البعيد . ثم لم يحدث شيء آنذاك . وأنا أسترسل هكذا في الحديث معك . لأضعك في تدرج زمني للحوادث . تخيل ، ياسيدي الطبيب ، شيخا في السابعة والستين ، تعشى عشاء خفيفا ، برفقة زوجته وابنه وحفيده ، ثم جلس مرتاحا في مكانه المختار أمام التلفاز . لاشيء زائداً أو ناقصاً في هذا الوضع ، كلا ، لم يقل لي شيئا آخر ملفتا للنظر سوى أنه نسي حبة « التينورمين » ، وأن الأحرى به أن يتناولها الآن ، فوافقته على ذلك . أن تتأخر أفضل من أن تهمل . وجلبت له الحبة الزاهية اللون ، فابتلعها . ثم جلسنا نتحدث قليلا ، عمّ ؟ شؤون عائلية تافهة؛ زوجة ابننا عبدالرزاق وشؤونها معنا ومعه ، المصروفات والغلاء ، هذا هو كل شيء ، لم يشك من تعب أو من أي شيء آخر غير معتاد قط ياسيدي . أراد أن ينام فقط ، فشجعته على ذلك . هل ترى في الأمر مايريب ؟ ظننت أن هذا هو أحسن مابوسعي أن أفعله ، فالساعة جاوزت العاشرة مساء ، وليس في الجلوس أمام التلفاز مايريح شيخاً ذا ضغط الدم المرتفع . قام بمفرده وانصرف ، لم أصحبه إلى غرفة النوم ، لم أفعل ذلك ، ولا أدري لماذا ، تركته يغتسل كالعادة ثم يمضي إلى فراشه . ماكان هناك موجب للقلق ياسيدي الطبيب ، فلم أشعر لذلك بأي قلق عليه . صحيح ، أنه كان صامتا وهو يقوم ويغتسل ويقصد غرفته ، إلا أن هذا الأمر لايمكن أن يفسر بأنه غير مألوف ، وحتى لو كان كذلك فإنني لم أنتبه إليه أنا في حينه ..

بقيت قاعدة في مكاني ، أشاهد ماكان يعرض علينا ، ثم قمت فخفضت صوت التلفاز ، لئلا أزعجه في منامه ، فقد لاحظت أنه أبقى باب غرفة النوم مفتوحا ، أنت ترى الآن حالنا في السكن ياسيدي الطبيب ، فالصالة وتلفازنا ملاصقان للغرفة ، ومن كان نومه خفيفا فلابد أن يزعجه ويقلقه صوت التلفاز المرتفع .

لكنني كنت واثقة أن الحاج عبدالسلام لايشكو من الأرق ولا من ضعف الأعصاب ، فلا أكثر من أن يتقلب في فراشه مرتين أو ثلاثاً حتى يبدأ بعد ذلك بالشخير . حينذاك ، اعتدت أنا أيضا أن أغرق في لجة النوم . عادة لاتفسير لها ، مارسناها راضين سنين طويلة تحت سقف واحد .

وهكذا ياسيدي الطبيب ، وبسبب الباب المفتوح ، استطعت أن أسمع شخيره يعلو على صوت التلفاز المنخفض ، فاسترخيت في مكاني ، أحاول أن أقضي بعض الوقت في مشاهدة ماكان يعرض علينا . ثم هل نمت في



مقعدي ، أو غفوت غفوة قصيرة ، أو سهوت عن نفسي ، أو أخذتني الصور ، أو ماذا ، لا أدري تماما ، غير أني قفزت فجأة كمن أوقظ من نومه ، أو كمن لدغته أفعى ، أو أصيب بوخزة دبوس محمى ، فلقد حدث شيء غريب جدا في ذلك الصمت الذي كان يحيط بنا . لم يكن صمتا كاملا ، بل صمتاً متوازناً ، نعم هذه هي الكلمة ، صمت متوازن متواصل ؛ الشخير من جهة الغرفة تقابله غمغمة التلفاز ، وأنا بينهما ، ثم انقطع الشخير ، فاختل الصمت على حين غرة،وملكني فزع شديد مجهول الأساس ، وركضت إليه ، إلى زوجي العزيز ، كان راقدا ، كما رأيته ياسيدي الطبيب ، يحيط به سكون غاية في الغرابة ، وتبدو على محياه الشاحب ، الجامد ، القصي ، أنه كيان لايمت لهذه الدنيا بسبب . ناديته ، ولمسته ، وحاولت إيقاظه ، دون جدوى ، وكنت مسلوبة الروح هلعة . وجئتم بعد ذلك ، جئتم كلكم ، واجتمعنا حوله وارتباكنا يتناقص ويتزايد حسب أشخاصنا ، أنت وابننا وأنا ، لكن الروع والأسى العميق ، كانا من نصيبي ، قلت محتارا : إنه يشبه النيام ، إلا أنه نوع من النوم لم تره من قبل في البشر ، فقلبه ينبض ببطء ، ببطء . والحياة في جسده لم تتوقف ، لكنها لاتسير . وكل هذه هي أقوال وأقوال ، قد يكون لها معنى لديك ، لكنها كانت لديَّ ذات معنى واحد مقيت هو أن زوجي يتجه نحو الموت .

وجئنا ، كما تعلم ، بأخصائيين في شتى الأصناف الطبية والعلمية وأجروا عليه الفحوص والتحاليل كما يجب ، ثم اتفقوا ، لسوء الحظ ، على أنهم حائرون مثلك ومثلنا . ونصحتنا أخيرا أن نبذل عناية خاصة بجسده ، وأن نتشبث بما بقي منه . ننظفه ونقلبه بين آونة وأخرى ، ونغذيه بتلك الإبر والأنابيب المطاطية . وهكذا كان ، لكن ذلك الوجود الغريب ، كان يذوي رويدا رويدا ، وكنت أحس بذلك وأنا أمارس تلك العمليات التي نصحتنا بها ، ولم يخطر لي بأنه لا فائدة من ذلك له أو لنا . كنت أحارب بإصرار تلك الفكرة اللعينة التي كانت تحاصرني ، وتريد أن تعشعش في عقلي . كل ماتعملون سدى ، والأفضل له وللجميع أن يموت وينتهي . وأستطيع أن أقسم بأن تلك الفكرة لم تساورني قط ، بل لعلها ساورتك أنت ياسيدي الطبيب ، فحين خابرتك في تلك الساعة المتأخرة من الليل ظننت أنني أحمل إليك نبأ مشؤوما .

كنت بمفردي في البيت معه ، جالسة في الصالة ، حائرة بنفسي بعد أنهيت تنظيفه وتقليبه ، وكان باب الغرفة مفتوحاًمرة أخرى وكنت تعبة . تركني ابني ليعود إلى بيته وعائلته ، فهو منذ عشرة أيام معي ، وقد أعياه كل شيء مثلي ، وكنت أتطلع في نواحي الصالة ، بدت لي قطع الأثاث كابية حزينة . والتلفاز أخرس أسود الشاشة ، وفي لحظات الوحشة تلك ، حين كنت على الطرف الآخر من الحياة ، أعادتني تنهيدة منخفضة من غرفة النوم إلى مايشبه الصحوة ، وكان علي أن أفهم معنى الشخير الرتيب الذي تصاعد شيئا فشيئا ثم أخذ يشتد بعد ذلك ويقوى ، فقفزت راكضة إليه .

والآن ياسيدي الطبيب حين يخرج من نطاق علمنا موقف ما ، أو حالة ما ، فإن علينا أن نستمع دون أسئلة أو نصائح . دعني أقول لك ، لأول مرة ، بأنني في سني هذه ، بمثابة والدتك ، أحكي لك بحزن وحنان حوادث تاريخ لم أتخصص فيه ولم أدرسه ، من أجل أن ننتهي بتفاهم بين العلم الذي لديك والتجربة المريرة التي عشتها .

عاد زوجي إلينا ، نائما نومته الأولى التي بدأها منذ عشرة أيام ، وعاد شخيره المألوف يملأ الغرفة . وكنت واقفة عند رأسه أتطلع بذهول إلى الوجه الملتحي ، أكتم بصعوبة صرخة فرح عظيم .

واتصلت بكم ، أخبركم بما يجري لي ، ثم

رجعت إلى جانبه ، أقلب النظر فيه ، وأصغي إلى أصوات جسده التي تعودت عليها منه ، وما كان بحدود صبري أن أبقيه على حاله ياسيدي الطبيب ، فلم يكفني الشخير لأصدق عودة الحياة إليه ، ولا الحمرة الخفيفة جدا في الوجنات الغائرة ، لذلك همست باسمه عدة مرات ، ثم ضغطت على كتفه برفق ، فتوقف الشخير وصدر عنه صوت مخنوق ، ثم فتح بعد ذلك ، عينيه ، كان الضوء خافتا من حولنا ، فلم يرني أول الأمر ، بقي محدقا في السقف بجمود ، يالله ! أي جمود كان ؟ ناديته ، فاستدار بنظره نحوي ، ياللجمود العجيب . كانت عيناه اللامعتان ، قاسيتين غامضتين ، لم يجبني ، ولم يبد عليه أنه فهمني أو تعرف علي .

كنت في محنة كبيرة حين أتيتم ، امتلأ البيت حبورا ، فرحتم به وقبلتموه وفحصتموه ، وشخصتم ضعفه الشديد وحاجته للغذاء . لكن أحدا منكم لم ير نظراته إلينا ، ولا خطر لكم أن تسألوا عن سر هذا الصمت الذي يتلبسه .

كان الأمر لديكم طبيعياً ، لا غبار عليه ، وكان الأمر لدى خطيراً مشؤوماً، فالحاج عبدالسلام رفيق عمري ، ذلك الإنسان الرقيق السمح الأنيس ، لايعرف مثل هذا الصمت العميق الشبيه بصمت منتصف الليل ، ولا بمقدوره مهما بذل ياسيدي الطبيب، مهما بذل ، أن يقسو بنظراته هكذا ، وأن يخفي في مكان ما ، من رأسه ، حقدا تشعر به على الرغم من أنفك .

وماكان بوسعي أن أصدق ، ولم يمض من الوقت مايكفي ، فقد كنا في اليوم الثالث من صحوته أو يقظته أو عودته ، سمها ماشئت . ماكان بوسعي ولا بوسعك أن تصدق ، غير أن ذلك لم يكن مما يمكن إخفاؤه طويلا ، حتى لو أراد ذلك ، وهو لم يرده . فمنذ أن استرجع بعض قواه ، واستطاع أن يجلس في فراشه ، وأن يرفض بإشارات قاطعة أن تحلق له لحيته البيضاء ، حدست بأنني يجب أن أتهيأ لمفاجأة جديدة .

أنتم لم تكترثوا لصمته المتشكك المستطيل ، ولم تعرف ياسيدي الطبيب لماذا لم تكترث لا أنت ولا ابني ، على الرغم من أنني كررت عليكم ، أتذكر جيدا ، بأن نظراته منقلبة ، وأن في الأمر سرا . إنه لايتحدث قط ، ولقد أشعرني بشكل غامض ، أنه لايرى فيّ زميلته في الحياة . لم تكترثوا إذن ، ولم يبال أحد أن أكون بمفردي أواجه تلك الواقعة الملغزة .

كنت تأتي لزيارتنا يوميا ياسيدي الطبيب ، وكان يدعك تفحصه باستمرار ، كأن الأمر لايعنيه ، ولم يهمك أنك لاتسمع منه كلمة أو نأمة . قلت : إن كل شيء يأتي في حينه ، وأن علينا أن نترك لجسمه استعادة صحته أولا .

وهكذا تركتموني ذلك المساء ، بعد أيام سبعة ، وأنتم غاية في الرضا والاطمئنان بدون سبب ، كنا بمفردنا والساعة قد جاوزت العاشرة بقليل ، وكنت بعد أن رأيته راقدا بهدوء قد اعتقدت أن هذا الوقت هو الأنسب لغسل صحون العشاء وترتيب مطبخي ، لكي أرتاح قليلا قبل النوم .

لقد خيل إلي ، ياسيدي الطبيب ، أنني لم أتأخر لإتمام عملي البيتي أكثر من ساعة ، عدت بعدها إليه .

سمعت حينما دخلت الصالة أصواتا مريبة ، في غرفة النوم ، فأسرعت إليه دون تردد ، كانت الغرفة معتمة خافتة النور ، لكنني رأيت بوضوح مكانه في السرير خاليا ، سقط قلبي في الحال ، وانهدت قواي ، لاأدري لماذا أفزعتني فكرة أن يكون قادرا على الحركة أو القيام . وفي لحظة حيرتي تلك ، خاطبني الشبح : يا أمة الله .

كان ظلا غريبا بجوار النافذة ، مفرط الطول بعمامته الداكنه وجبته وحزامه وعباءته المطرزة .

جمدت في مكاني ، مذهولة مرتجفة . كلا ، كلا ، ياسيدي الطبيب ، لم أخف كما يمكن أن

تحمن كنت مبهوتة مرتبكة ، يمكني القلق على زوجي وما حل به ، لذلك عاد إلي روعي حين تعرفت عليه في السحنة الغاضبة والرأس الملفوف بالمنشفة الزرقاء ، ورداء النوم ، والحزام الذي لم يكن غير ذلك الأنبوب المطاطي الذي استعملناه في تغذيته . هتفت باسمه : ياحاج عبدالسلام ، ماذا تعمل بنا وبنفسك ؟ فطرق الأرض بعنف عدة مرات بذلك العمود الخشبي الذي رأيتموه ، وصاح بي : لاتجرئي على مخاطبتي بهذا الشكل يا أمة الله ، فأنا عالم بأنكم خدم أمير قرطبة « عبدالرحمن الداخل » ، لكنكم لن تقدروا على إطالة مدة سجني بينكم .

كان صوته - يا إلهي - قويا صافيا ، غريب اللهجة ، لم أسمعه منه قط من قبل ، ثم إنني من شدة ضيقي ، رددت عليه أناديه مرة أخرى باسمه ، فعاد أكثر غضبا وحقدا : أنا يامرأة ، أنا الحسين بن يحيى الأنصاري . لقد كان حقا أنني اتفقت مع ملك الفرنجة « شارلمان » على تسليمه « سرقسطة » ، وأن لي موعدا معه على ضفاف نهر « ايبرو » بعد أيام ، غير أن قراري استقر على عدم تسليمها يامرأة . لن أسلم سرقسطة للفرنجة ، لن أخون أهلي وأميري . دعوني إذن ، دعوني أنجز .

ولم يتم كلامه ، بل صرخ ياسيدي الطبيب ، صرخة عظيمة ، ثم هوى وهوى ، هوى مثل جبل على الأرض ، وتبعثرت أشياؤه هنا وهناك ، وحين ركعت قربه كان مايزال يتمتم بكلمات لم أفهمها ، ولم يبد عليه أنه كان يسمع ندائي وتوسلاتي إليه .

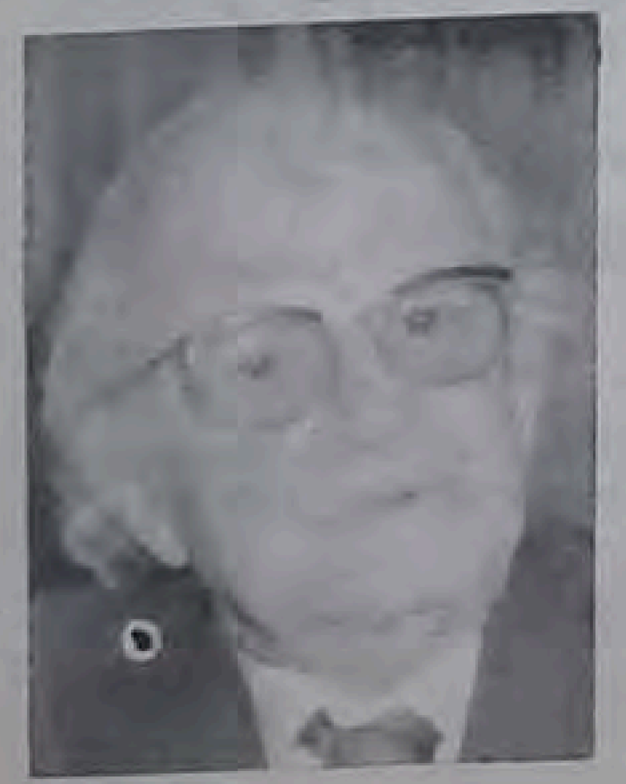
وجئتم مرة أخرى ، ياسيدي الطبيب ، ورأيتم ما بقي منه . كنت جررته بمشقة إلى السرير ، وأنا أصغي الى غمغماته تخفت وتخفت ، كأنها إشارات الوداع الأخير ، ثم تلاشت ، فاكتملت عودته الثانية . كلا ، لا أعني شيئا بالضبط ، فأنا لم أفهم شيئا كثيرا . هوذا أمامك تراه مثلما أراه ، جامدا منخفض النبض باردا . إنه لأمر مريب ، نعم ، هنالك من كان يدعى الحسين بن يحيى الأنصاري . رجل عاش أكثر من مائتين وألف عام في دولة الأندلس العربية ، ولعب دوراً ذا وجهين آنذاك ، فاتفق مع « شارلمان » ملك فرنسا على تسليم مدينة « سرقسطة » إليه ، ولكن ضميره عاد إليه في اللحظة الأخيرة ، فاغلق باب المدينة ، واستمات مع أهلها لمنع الجيوش الغازية من دخولها ، فأفشل بذلك خطة « شارلمان » في ضرب الدولة العربية الفتية في الأندلس .

ولكن ما نحن من ذلك كله ياسيدي الطبيب ؟ وكيف يتسنى لأحد ، لي أو لك أو للحاج عبدالسلام ، أن ينهض فيلوي يد الزمن ويصحح الأخطاء ؟

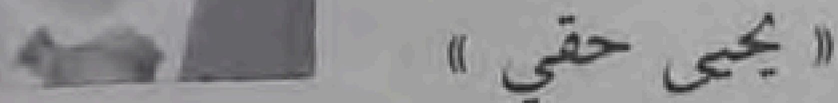
كلا ، البتة ، لم أحك له عن ذلك شيئا ، ولا أدري كيف يمكن أن يكون بوسعه أن يعمل ما عمل ، ولكن أهذا هو كل ماتفكر فيه ياسيدي ؟

وماذا سنعمل بما بقي لنا من زوجي العزيز الحاج عبدالسلام ؟ □

الفن والدولة



● ينبغي أن تكون الفنون بعيدة عن الدولة ، وأقصى ما يمكن أن تفعل الدولة أن تعطي جوائز . ولا ينبغي أن تصنع الدولة فيلما أو مسرحية ، بل تترك ذلك للإنتاج الفردي والحر .


« يحيى حقي »



أرقام

بقلم : محمود المراغي

خبز عام «٢٠٠٠»

على الرغم من أن الثورة الخضراء قد زحفت على كثير من بلدان العالم ، وعلى الرغم من أنها حققت إنجازات هائلة في العالم الثالث ، فإنها - كما يبدو - مازالت عازفة عن دخول الوطن العربي .

وكما كانت الأقطار العربية هي صاحبة الأرقام القياسية في تصدير النفط الخام ، وفي استيراد السلاح ، فقد كانت هي أيضا صاحبة الرقم القياسي في استيراد مجموعة من السلع الاستراتيجية ، وهي : الغذاء .

في عام ألفين

يقول تقرير حديث للبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة : إن الواردات الغذائية العربية كانت تزيد بنسبة ٦٪ سنويا ، منذ منتصف السبعينيات ؛ أي بما يزيد عن ضعف نسبة التزايد في السكان ، أو في الإنتاج الزراعي .

والنتيجة الرئيسة ، توقع يفيد : سوف يستورد العرب بماقيمته (٩٠) مليارا من الدولارات غذاء في عام (٢٠٠٠) .

أي أنه بينما يصل سكان الأقطار العربية نحو ٤٪ من سكان العالم ، فإنهم في ذلك العام المطل على القرن الواحد والعشرين سوف يستوردون ٢٦٪ من الصادرات العالمية لبند الغذاء .

وبمزيد من التأمل - طبقا للمصدر نفسه - سوف يكون متوسط نصيب الفرد الواحد من الواردات الغذائية ثلاثمائة دولار في العام ؛ أي نحو دولار في اليوم .

وبمقارنة ذلك المعدل بما نحن عليه ، نجد أن الرقم يقفز سريعا ، فهو مئة دولار للفرد العربي عام ١٩٩٠ ، وعشرة دولارات للفرد الافريقي ، وستة عشر دولارا للفرد الآسيوي في العام نفسه .

السؤال : ونحن نحتل هذه النسبة العالية عالميا ، هل ندخل إلى مجال التصدير للسلع الزراعية بالقدر نفسه ؟ وهل نستطيع أن نحقق التوازن ، ولو من خلال معدلات عالية على الطرفين : الاستيراد والتصدير ؟

الإجابة بالنفي ، فقد كانت وارداتنا الزراعية في منتصف الثمانينيات خمسة أمثال ونصف صادراتنا في العام نفسه ، والثغرة يتم تمويلها على حساب قطاعات أخرى .

الخبز أولا

يقول تقرير للجامعة العربية ؛ وهو التقرير الاقتصادي العربي الموحد : لقد ساء الموقف في أوائل الثمانينيات ، ثم عاد للتحسن في منتصف ذلك العقد ، ولكن ، بعد التحسن ، حسب أرقام ١٩٨٦ ، كانت مجموعة الغذاء تمثل ثلاثة أرباع مانستورده من سلع غذائية ، وكانت الحبوب تتصدر قائمة حساب الغذاء بنسبة ٥٦٪ تقريبا ، تليها اللحوم ١٤٪ ، ويليها البن والتبغ والشاي بنسبة ١٢٪ . وفي البند الأخير نحن الأكثر استهلاكا من أي منطقة في العالم . وبشكل عام فإن العرب يحتلون مركز الصدارة عالميا في الاعتماد غذائيا على الخارج . لم تحقق منطقة أخرى في العالم النسبة نفسها من الاعتماد ، والنسبة نفسها من التخلف في

الاعتماد على الذات .

إن أكبر الأسواق المستوردة تتوزع بين الأقطار الأكبر نسبيا (كمصر والجزائر والعراق) ، وبين الأقطار التي لاتلعب فيها الزراعة الدور الرئيس في الاقتصاد ، كدول مجلس التعاون .

ولكن حتى مع وصول الوطن العربي الى هذا الموقف فقد شهد العديد من المفارقات ؛ فنحن لانزرع أكثر من ثلث الأرض القابلة للزراعة ، ونحن لانستفيد من الموارد المائية بالقدر الكافي ، ونحن نمتلك طبقا لتقرير الجامعة العربية ٣٪ من أبقار العالم ، و ١٠٪ من أغنامه ، لكن إنتاجنا من اللحوم الحمراء لم يصل إلى ٢٪ من الإنتاج العالمي ، ونحن أيضا نملك شواطيء كثيرة ، لكن إنتاجنا من الأسماك لايتجاوز ١,٦٪ من إنتاج العالم .

هذه المفارقات تحكم الإنتاج الزراعي العربي ، وإن كانت هناك قطاعات أكثر تقدما ، وأكثر تحقيقا للاكتفاء الذاتي ، مثل : الخضراوات والفواكه والمحاصيل السكرية والبيض . تقدمنا في هذه المجالات لكن رغيف الخبز شيء آخر ، والصورة العامة ليست طيبة .

في الأسباب ، نلاحظ : ضعف الاستثمارات الموجهة لقطاع الزراعة ، ونلاحظ ، تخلف الفنون الإنتاجية المستخدمة ، فبينما لجأت دول العالم المتقدمة للميكنة شبه الكاملة في الزراعة ، فإننا نجد العامل الزراعي العربي مازال يعتمد على يده في معظم الأحوال ، ومازالت مناطق واسعة في وطننا العربي تنتظر الأمطار ، دون أن يجد ذلك تنظيما يوفر الأمن للري .

وإن علاقات الإنتاج ، وسياسات الإيجار والأسعار لاتوفر الحافز للمنتجين في كثير من الأقطار العربية أيضا .

العوامل كثيرة ، والنتيجة أننا في الزراعة ، أكثر من غيرها ، مازلنا نعتمد على المطر ، ومازالت مناطق واسعة تزرع كما كانت تزرع منذ آلاف السنين .

الخروج من المأزق

هل يمكن أن نخرج من هذا المأزق ؟

يقول الخبراء : نعم ممكن : يمكننا ، طبقا للتقرير الاقتصادي العربي الموحد ، أن نزيد مساحة الأرض المزروعة بالري إلى الضعف . والمطلوب : ترشيد الاستخدام والتحكم في مياه الري ، واستخدام المياه الجوفية المتاحة .

يمكننا أيضا ، التركيز على لقمة العيش : الخبز والقمح ، فتلك معادلة تستهلك وحدها نصف مانستورده من غذاء .

يمكننا أيضا ـ طبقا للتقرير السابق ـ أن نزيد إنتاج الأسماك ـ وهي بديل اللحوم ـ إلى ثلاثة أضعافه .

الإمكانيات واسعة ، والضرورات تدفعنا لفتح هذه المجالات ، وفي مقدمتها : تقنية أكثر تقدما .

والسؤال : هل يأتي الغذاء في مرتبة أدنى ، أو أننا يمكننا أن نرفع أيضا شعارا : «الاستقلال الغذائي» لا مفر .

فبديل ذلك المزيد من العجز في ميزان المدفوعات مع العالم الخارجي ، والمزيد من الاقتراض والتدهور لدى مجموعة عربية واسعة .

والبديل : مواجهة أخطار النقص في الإمدادات ، نتيجة لتقلب السوق العالمية ، وتحكم عدد من المراكز .

والأخطر أن يقودنا المأزق للمجاعة في بعض الأقطار ، وهي الحال التي وصلنا إليها فعلا خلال الثمانينيات حين نقصت الأمطار ، وساد الجفاف فترة من الوقت .

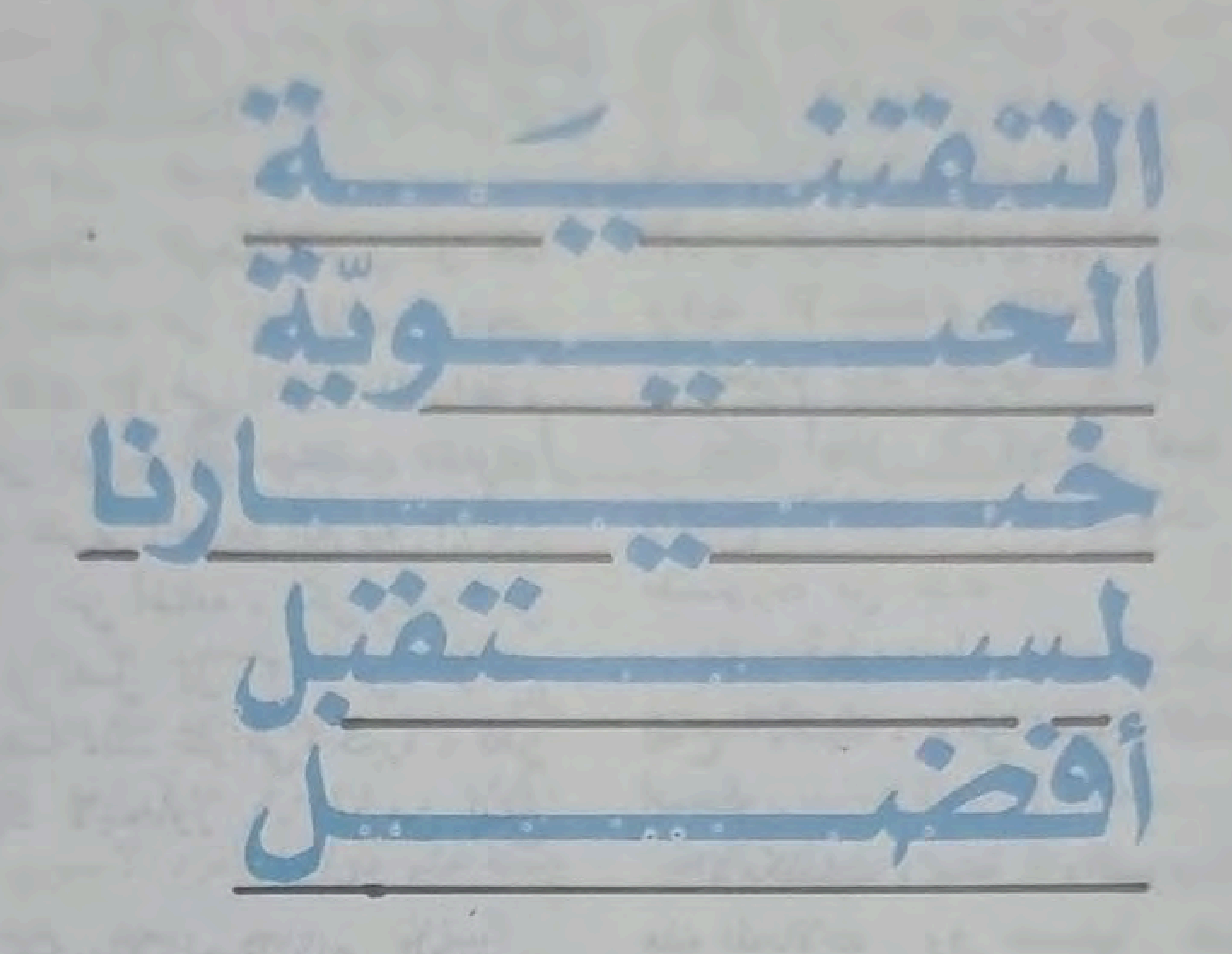
إن الخطر يتزايد أيضا مع تصحر يزحف على أطراف ، هنا وهناك .

إذن لامفر من الخروج من المأزق ، ودخول هذا العصر الذي سمعنا عنه طويلا : عصر الثورة الخضراء .

وربما تكون تلك الثورة هي الأولوية الأولى على قائمة العمل العربي المشترك . □

● لم أصبح رئيس وزراء صاحبة الجلالة ، لكي أصفّي الامبراطورية البريطانية .

تشرشل



التقنية الحيوية خيارنا لمستقبل أفضل

إعداد : الدكتور عبدالله سليم أبورويضة*

إذا كانت الدول المتقدمة ترصد مخصصات ضخمة للإنفاق على الأبحاث العلمية ، وابتكاراتها ، حتى تحسن مستوى إنتاجها ، وبالتالي توفر لشعوبها حياة أفضل ، فما أحوجنا في وطننا العربي إلى الاستفادة من هذه الإنجازات العلمية ، ومنها إنجازات التقنية الحيوية التي بلغت ، في الأونة الأخيرة ، مستوى متقدما بتطوراتها ، وتأثيراتها ، واحتمالاتها المستقبلية .

التقنية الحيوية اصطلاح مستحدث لعمليات التخمر الصناعي التي تقوم على التنمية والإكثار لخلايا حية لسلالات مختارة من الميكروبات كالبكتيريا والخمائر ، والفطريات ، والطحالب ، أو لأنسجة نباتية وحيوانية ، بغرض إنتاج مواد ذات أهمية غذائية ، أو زراعية ، أو طبية ، وكذلك توفير خدمات نافعة للإنسان ، كالطاقة أو الوقود ، وحماية البيئة ، واستخلاص المعادن وغيرها . يضاف إلى ذلك أنها تفتح آفاقا جديدة ، لخلق فرص عمل جديدة ، وتنويع مصادر الدخل القومي ، وما لذلك من آثار اجتماعية واقتصادية مهمة على المجتمع .

تطور التقنية الحيوية :

عرف الإنسان طريقه إلى التقنية الحيوية في أبسط صورها منذ أقدم العصور ، فقد استخدمها الأشوريون والبابليون والسومريون فى صناعة الجعة ، ثم جاء من بعدهم المصريون ،

* باحث فلسطيني يعمل في معهد الكويت للأبحاث العلمية

واستخدموا الخمائر في صناعة الخبز . ومنذ تلك العصور جرت العادة عند القدماء على استخدام أبسط أنواع التقنية الحيوية في حفظ اللبن ، وصناعة الجبن ، وصناعة النبيذ والجعة وغيرها .

وفي العصر الحديث مرت هذه الصناعة بمراحل تطور مختلفة ، ارتبطت بحقبات زمنية معينة ، تركت بصماتها وآثارها على طرق الانتاج ومعداته ، ونوعية المواد الأولية المستخدمة في الصناعة ، وحجم الإنتاج ونوعيته ، واستخدامات المواد الناتجة ، وغيرها . ويمكن تلخيص هذه المراحل أو الحقب في ما يلي :

- حقبة ما قبل عام ١٨٦٥ م التى كانت امتدادا لما جرى عليه الأقدمون من صناعات غذائية بدائية مستخدمين في ذلك تقنية حيوية مبسطة ، قائمة على عمليات التحويل الميكروبي لبعض المنتجات الزراعية الأولية ، من نباتية وحيوانية ، بغرض الحفظ ، وتحسين الطعم والنكهة ، أو تحسين البنية ، مثل صناعة الجبن ، والزبادي ، والخل ، والمخللات ، وبعض الأغذية المخمرة ، هذا بالإضافة إلى صناعة المشروبات الكحولية المختلفة .

- ارتبطت حقبة (١٨٦٥ - ١٩٤٠م) بالعالم الفرنسي باستير الذي كان أول من اكتشف الظواهر الحيوية « والفسيولوجية » التي تحدث في أثناء عملية التخمر الصناعي للسكر لإنتاج كحول الأيثانول بواسطة الخلايا الحية للخمائر . وقد كانت اكتشافات باستير ، ومن عاصره من العلماء الأوائل ، نقطة الانطلاق لاكتشافات متعددة مهمة ، أدت إلى معرفة كثير من الحقائق والأسرار عن الظواهر والعمليات الحيوية « الفسيولوجية » التي تجري داخل خلايا الكائنات الحية . وقد أسهمت هذه الاكتشافات في التطوير والتحسين للصناعات الغذائية القائمة آنذاك ، وأدت إلى نشوء صناعات جديدة ، كصناعة خميرة الخباز ، وحمض الستريك ، وكحول الأيثانول ، والبوتانول ، والأسيتون ، والجلسرين ، بالإضافة إلى معالجة مياه الصرف بواسطة الميكروبات الهوائية .

- تميزت حقبة (١٩٤٠ - ١٩٦٠) باكتشاف مواد جديدة ، لا تمت بصلة للمواد السابقة ، وهي المضادات الحيوية التي بدأت باكتشاف مادة البنسلين . وبعد ذلك تم اكتشاف العديد من المضادات الحيوية الأخرى ، والأمصال الفيروسية والبكتيرية . وقد أدت الحاجة إلى زيادة الإنتاج كمًّا ونوعا إلى اتباع طرق جديدة ، أكثر كفاءة في عملية الإنتاج ، كاتباع طريقة التخمر المغمور ، بدلا من طريقة التخمر السطحي التي كانت سائدة من قبل . كذلك جرى تطوير أوعية التخمر ووسائل التحكم فيها ، واستنبطت سلالات ميكروبية محسنة ، تنتج عشرات ، بل مئات أضعاف ما كانت تنتجه السلالات الأصلية . وقد واكب ذلك كله تقدم علمّي كبير في العلوم « البيولوجية » ، خاصة في ما يتعلق بالتركيب الدقيق للمادة الوراثية « الأحماض النووية » ، والبروتينات ، والأنزيمات ، وبطرق التمثيل الغذائي للميكروبات ، وبخاصة الصناعية منها ، مما ساعد على تهيئة واختيار أنسب الظروف التي تلائم النمو والتكاثر لهذه الميكروبات ، وبالتالي زيادة إنتاجها .

مصادر جديدة

- تعد حقبة (١٩٦٠ - ١٩٧٥) امتداداً طبيعيا للحقب السابقة ، فقد تتابعت الاكتشافات لأنواع جديدة من المضادات الحيوية والأمصال ، غير أن بروز بعض المشكلات العصرية ، مثل زيادة عدد السكان المطردة ، وتوقعات حدوث تفجر سكاني ، ومجاعات كبيرة في نهاية هذا القرن ، خاصة بسبب نقص البروتين ، وتفاقم مشكلة تلوث البيئة ، والنقص في موارد الطاقة ، وارتفاع أسعارها في بداية السبعينيات ، وانتشار الأوبئة والأمراض

المستعصية كالسرطان وغيرها . كل هذا دفع العديد من العلماء والباحثين ، خاصة في البلدان المتقدمة ، إلى البحث عن حلول لهذه المشكلات العصرية ، عن طريق تطويع التقنية الحيوية وأدواتها لخدمة هذه الأغراض . وقد أسفرت هذه الجهود عن تطوير صناعة بروتين أحادي الخلية باستخدام مواد أولية ، غير مألوفة ، مثل مشتقات النفط ، كالبرافينات العديدة ، والميثانول ، والغاز الطبيعي ، من أجل مواجهة نقص البروتين في العالم ، إذ يتميز هذا الناتج بارتفاع نسبة البروتين فيه (٦٠٪ - ٨٠٪) ، وارتفاع قيمته الحيوية التي تضاهي القيمة الحيوية للبروتين الحيواني (كازين) اللبن ، كذلك جرى تطوير صناعات مهمة أخرى ، كصناعة حمض الستريك من البرافينات العديدة ، وصناعة الأحماض الأمينية: الليسين ، والجلوتاميك ، وصناعة الفيتامينات المختلفة ، مثل فيتامينات المجموعة « ب » ، والبيتاكاروتين ، وفيتامين « ب ١٢ » وصناعة الأنزيمات المحللة للدهون ، والبروتينات والسكريات لأغراض مختلفة غذائية

● زيادة الإنتاج الزراعي وتحسينه أهم مجالات التقنية الحيوية

وصناعية . وصناعة انزيم الرينين المستخدم في صناعة الجبنة ، هذا بالإضافة إلى صناعة البوليمرات كالسكريات العديدة ، وغيرها . كما تم استثمار هذه التقنية في إيجاد مصادر جديدة للطاقة ، كالغاز البيولوجي من روث الماشية والفضلات الزراعية والصناعية ، ومادة الجازول من مواد أولية زراعية . أضف إلى ذلك استثمار هذه التقنية في استخلاص المعادن كاليورانيوم والنحاس بالطرق البيولوجية ، وفي حماية البيئة عن طريق معالجة مياه الصرف والمجاري في المناطق السكنية والصناعية . وعلى نطاق الزراعة تم التطوير والانتاج لمزارع بكتيرية نقية ، تستخدم لتثبيت النيتروجين الجوي ، وأخرى لمقاومة الأمراض والأوبئة التي تصيب النباتات وغيرها .

قفزة نوعية

- تميزت حقبة ما بعد عام ١٩٧٥م بقفزة نوعية كبيرة في التقنية الحيوية ومجالات تطبيقها ، فمن ناحية تم تحقيق تطورات نوعية مهمة على الجانب التقني في هذه الصناعة ، خاصة فيما يتعلق بوسائل الإنتاج ، مثل أوعية التخمر ، أجهزة التقليب والتحريك ، نظم قياس التغيرات الفسيولوجية والفيزيائية ومعدلات الأكسجين وثاني أكسيد الكربون داخل أوعية التخمر ، أضف إلى ذلك إدخال الحاسب الآلي ليحل محل الإنسان في التحكم في عمليات التخمر الصناعي . أما من الناحية البيولوجية فقد جرى تطور كبير خلال السنوات القليلة الأخيرة في مجال الهندسة الوراثية . خاصة في ما يتعلق بنقل الجينات (جزء من المادة الوراثية) DNA ، من كائن حي إلى كائن حي آخر ، بهدف تحسين إنتاجية هذا الكائن من المادة المرغوبة كمًا ونوعاً ، أو جعله ينتج هذه المادة إن لم يكن قادرا على إنتاجها من قبل ، كما هو الحال في نقل جينات إنتاج هرمون أنسولين الإنسان إلى أنواع مسالمة من البكتيريا ، بغرض إنتاج هذا الهرمون



● الخبز من أوائل الصناعات التى استخدمت التقنية الحيوية

بكميات كافية ، واستخدامه لعلاج مرض السكر عند الإنسان . الأمر نفسه جرى بخصوص إنتاج بروتين الأنترفيرون ، بغرض استخدامه لعلاج بعض أنواع السرطان ، كما تم استثمار التقنية الحيوية والهندسة الوراثية لإنتاج مركبات جديدة ، كالأمصال ومضادات الجراثيم المسماة « monoclonal antibodies » ، ومركبات التشخيص لبعض الأمراض المسماة « monoclonal diagnostic tests » ، المستخدمة في تشخيص أمراض الدم الوراثية في جنين الإنسان ، وتشخيص العوامل الوراثية للسلالات الميكروبية كالسالمونيلا وغيرها . هذا ولا يقصر دور التقنية الحيوية والهندسة الوراثية على ماعرضناه من تطبيقات ، بل إن هناك العديد من البحوث التي تجري الآن لتطبيق التقنية الحيوية والهندسة الوراثية على نطاق واسع في مجال الزراعة بهدف تحسين الإنتاجية ، ومقاومة الأمراض ، وزيادة قدرة تحمل النباتات للظروف غير الملائمة كالملوحة العالية ، والجفاف ، وغيرها ، ولتحسين القيمة الغذائية للمحاصيل الزراعية . كما يجري إكثار الأنسجة النباتية لمحاصيل مختارة ، بغرض إنتاج الكتلة الحيوية «Biomass » ، والطاقة أو الوقود .

مزايا التقنية الحيوية :

من أهم العوامل التي ساعدت على التقدم والتطور السريع الذي حظيت به هذه الصناعة ، والذي جعل من عملية الاستثمار فيها عملية اقتصادية مجزية ، هوما تتمتع به من مزايا أهمها :

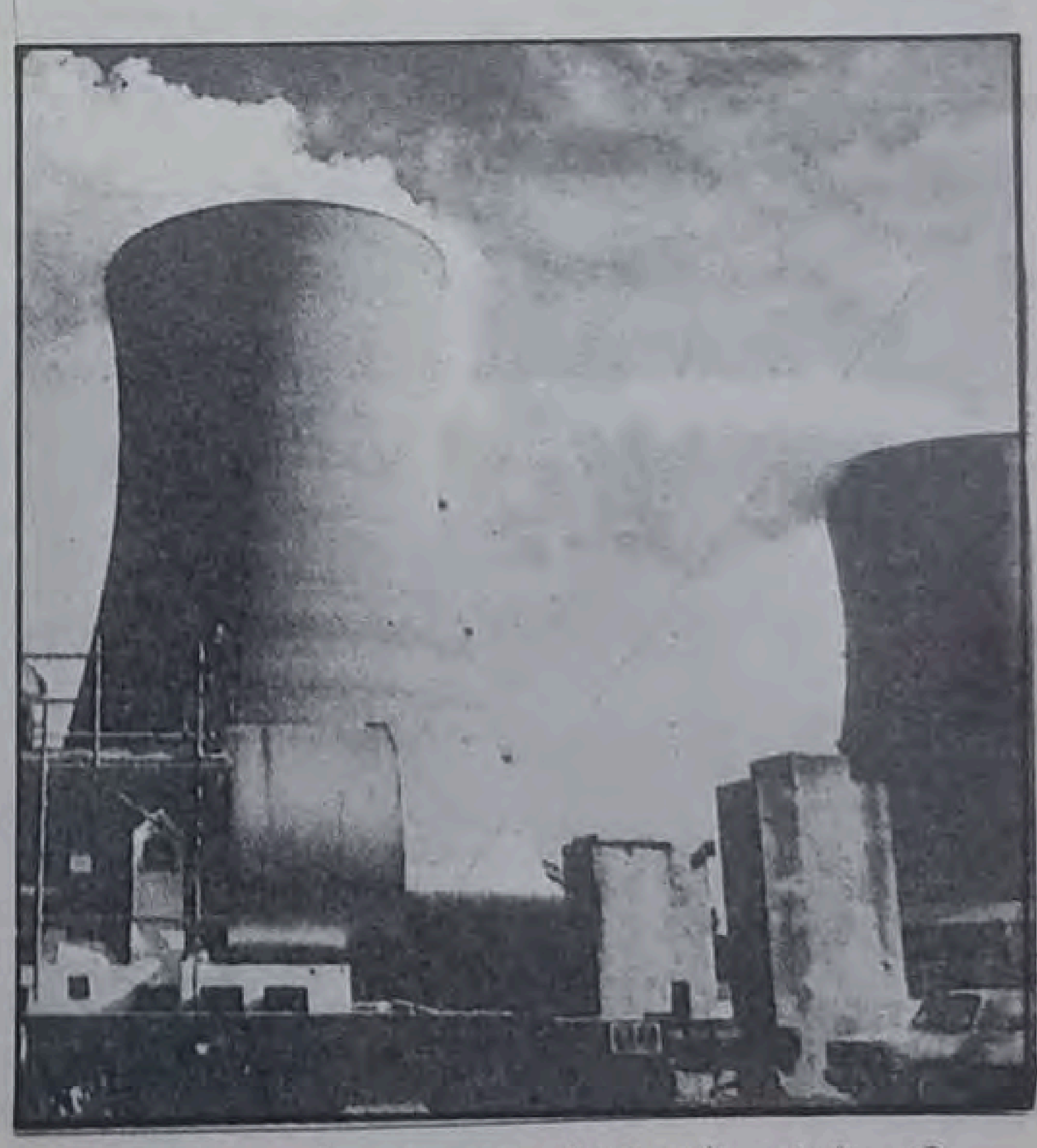
- الوفرة والتنوع في مصادر المواد الأولية المستخدمة كمصدر للطاقة ، وعنصر الكربون ، والمواد الضرورية للنمو والتكاثر للكائنات المستخدمة في هذه الصناعة ، مثل (مخلفات الزراعة والصناعات الغذائية ، ومشتقات النفط كالبرافينات العديدة ، والميثانول ، والمواد السكرية والنشوية) .
- سرعة نمو الكائنات الحية المستخدمة في هذه الصناعة ، وسهولة إجراء تغييرات وراثية عليها بالطرق الكلاسيكية (طفرات) ، أو بالطرق الحديثة للهندسة الوراثية .

- سهولة التحكم في عمليات الإنتاج ، بعيدا عن التقلبات الجوية والبيئية المختلفة ، بالإضافة إلى إمكانية التغيير والتعديل لطرق الإنتاج وظروفه ، بما يتناسب مع الاحتياجات المطلوبة ، كتعدد المنتجات ، وتجانسها ، وجودتها .

- لا تحتاج مثل هذه الصناعة إلى مساحات واسعة من الأرض لإنشائها ، كما لا تصاحب إنشاءها مشاكل بيئية مزعجة ، كما هو الحال في الصناعات الكيميائية أو غيرها من الصناعات التي تصاحبها مشكلة التخلص من الفضلات .

- إقبال المستهلك على منتجات هذه الصناعة ، وتفضيله لها ، لكونها منتجات بيولوجية أو طبيعية .

وتعد الولايات المتحدة وبلدان غرب أوربا واليابان من البلدان الرائدة ، سواء في مجالات البحث العلمي ، أو في الصناعات القائمة على التقنية الحيوية . وللتدليل على ذلك ، وعلى الأهمية التي تعيرها هذه البلدان ومؤسساتها الصناعية والعلمية لهذه الصناعة ولتطويرها ، نذكر أن حجم الإنفاق السنوي على البحث والتطوير في مجال التقنية الحيوية قد بلغ ، في مطلع هذا العقد ٥٥٠ مليون دولار في الولايات المتحدة ، مقابل ٣٥٠ مليون دولار أنفقتها بلدان السوق الأوربية المشتركة في الوقت نفسه . هذا من جانب ، ومن جانب آخر فقد شهدت البلدان الصناعية ، منذ منتصف السبعينيات ، حركة غير عادية في إنشاء مراكز البحث العلمي ، وشركات الإنتاج في مجال التقنية الحيوية والهندسة الوراثية . وعلى سبيل المثال فقد بلغ عدد المراكز البحثية التي تم تأسيسها لهذا الغرض في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ، في السنوات القليلة الأخيرة (حتى عام ١٩٨٢) ، ما يضاهي ١٣٢ مركزا . وقدرت قيمة الاستثمارات في مجال الهندسة الوراثية حتى العام نفسه ما قيمته أكثر من بليون دولار . والجدول (١) يوضح الأهمية الاقتصادية لمنتجات التقنية الحيوية كأحد مصادر الدخل القومي المهمة من خلال حجم المبيعات لبعض منتجات التقنية الحيوية عام ١٩٨٣



●صناعات التقنية الحيوية تساهم في حماية البيئة .

الوطن العربي والتقنية الحيوية :

تتسارع عملية التقدم والتطور في مجال التقنية الحيوية بشكل ملحوظ في البلدان الصناعية ، ويساعد على ذلك التطورات الحديثة في مجال الهندسة الوراثية ، وما أحدثته من قفزة نوعية هائلة في هذه الصناعة ، ستكون لها آثارها وبصماتها على مجرى التطور الصناعي والزراعي في العالم ، في نهاية هذا القرن ، والقرون القادمة . ليس هذا فحسب ، بل إن هذا التطور ستكون له آثاره الاجتماعية والاقتصادية في خلق فرص عمل جديدة ، وتنويع مصادر الدخل القومي بصفة عامة . والسر وراء هذا التقدم والتطور السريع في البلدان الصناعية يكمن في التعاضد القائم بين البحث العلمي من جانب والاستثمار (الصناعة) من جانب آخر ، إذ يغذي كل منهما الآخر ، فالبحث يغذي الصناعة بالابتكارات الجديدة ، والأخيرة تغذي البحث العلمي بما يحتاجه من دعم وتشجيع يجعلانه باستمرار مهيأ قادرا على الإبداع والتجديد .

جدول (١) منتجات التقنية الحيوية

المنتجات	حجم الإنتاج السنوي (١٠٠٠ طن)	القيمة (مليون دولار)
وقود إيثانول «جازول»	٦٣٠٠٠	٣٦٣٦
عصير الفركتوز	٣٩٥٠	١٥٨٠
مضادات حيوية	-	٨٥٠٠
حامض الستريك	٣٠٠	٤٨٠
حامض الجلوتاميك	٣٢٠	٥٥٠
خميرة الخباز**	-	٨٨٠
أنزيمات	-	٤٠٠
أمصال حيوية**	-	٣٣٠
حامض الليسين	٤٠	١٦٠

* المصدر: A . G . Hacking . 1987 . Economic Aspects of Biotechnology . Cambridge University press . p . 16—17

** تقديرات عام ١٩٨١ .

وإذا ما نظرنا إلى وضعنا في الأقطار العربية بصفة عامة ، فإننا نجد أن شأننا شأن معظم البلدان النامية ، ينقصنا الكثير في مجال التقنية الحيوية ، سواء من ناحية توفير مراكز البحث العلمي المتخصصة في هذا المجال ، أو من ناحية الاستثمار في هذا القطاع من الصناعة . وحتى لا يفوتنا ركب التقدم في هذا المضمار الحيوي فإن علينا أن نستفيد من تجارب الآخرين ، وأن نتبنى هذه الصناعة ، ونشجع البحث العلمي ، والاستثمار فيها ، بما يتناسب مع ظروف بيئتنا ومواردنا البشرية والمادية ، من أجل تحقيق اكتفائنا الذاتي من منتجات هذه الصناعة ، من غذاء ودواء ومنتجات صناعية مختلفة وخدمات نافعة .

ومما يبعث على التفاؤل أن بعض الأقطار العربية قد تنبهت إلى أهمية دفع عملية التقدم العلمي ، والتنمية الصناعية والزراعية فيها ، فبادرت بتأسيس المعاهد ومراكز البحث العلمي ، وبعض الصناعات «البيولوجية» كنقطة انطلاق على المسار الصحيح تجاه تطويع هذه الصناعة ، لخدمة مصالحنا ، وتلبية احتياجاتنا . فقد أنشأت دولة الكويت معهد الكويت للأبحاث العلمية الذي يضم تحت لوائه دائرة خاصة بالتقنية الحيوية .

وهناك عدة أقطار عربية اهتمت أيضا بالتقنية الحيوية لتنمية مواردها البشرية والاقتصادية ، مثل مصر ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، والأردن وسوريا والجزائر وغيرها ، سواء في مجال البحث العلمي ، والاستثمار في صناعات «بيولوجية» ناشئة في مجال الصناعات الغذائية ، وصناعة الأدوية ، وفي حماية البيئة . وعلى الرغم من هذه الجهود فإنه لا زال أمامنا الكثير يجب أن نقوم به من أجل أقلمة هذه الصناعة وتطبيعها ، لتتناسب مع ظروف بيئتنا ومواردنا البشرية والمادية عن طريق توسيع قاعدة البحث العلمي في هذا المجال وتشجيعه ، بالإضافة إلى الاستثمار في الصناعات التي أثبتت جدارتها أو هي في طريقها إلى ذلك .

توظيف العلم

ومن أهم مجالات الاستفادة من التقنية الحيوية في الوطن العربي نذكر ما يلي :

- إنتاج الغذاء عن طريق تطوير الصناعات الغذائية التقليدية ، وإضافة صناعات جديدة لها ، مثل خميرة الخباز ، وصناعة الأغذية المتخمرة ، بالإضافة إلى إنتاج مواد غذائية بديلة ، مثل بروتين أحادي الخلية ، لأغراض تغذية الإنسان ، وإنتاج الأحماض الأمينية ، وحمض الستريك ، والفيتامينات ، والأعلاف الغنية بالبروتين من نواتج الزراعة ومخلفاتها والصناعات الغذائية .

- إنتاج الأدوية والعقاقير الطبية ، كالمضادات الحيوية والأمصال البكتيرية والفيروسية ، والهرمونات ، وغيرها .

- تثبيت النيتروجين الجوي في النباتات ، ومقاومة أمراض النبات ، والظروف غير المناسبة كالجفاف والملوحة العالية ، وتحسين الصفات الوراثية للنباتات والحيوانات ، بغرض زيادة الإنتاج .

- إكثار الأنسجة النباتية والحيوانية لأغراض مختلفة .

- إنتاج المذيبات العضوية ، والبوليمرات ، والأنزيمات ، لاستخدامها في أغراض صناعية مختلفة .

- حماية البيئة عن طريق معالجة مخلفات الصناعة والزراعة ، ومعالجة مياه الصرف والمجاري للمناطق السكنية والصناعية .

وأخيرا فإن الصناعة في العصر الحديث قد قفزت إلى قمة المؤثرات في تاريخ الحضارة ، وفي مصير البشرية ، على السواء ، وكان لها الفضل في نشأة الحضارة الإنسانية وتقدمها ، حتى أصبح من الجائز لنا أن نقول : إن تاريخ الإنسان هو في الواقع تاريخ تطور فكره وأدواته ، أو هو تاريخ التقنية بالمعنى الواسع الشامل . □



شعر :
محمد ابراهيم
أبـــوسنة

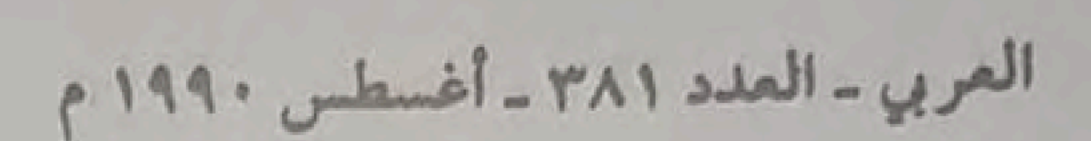


قواقع محشوةٌ بالصراخ
وحوت تثاءب
فابتلع البحر
جمجمةٌ في الفضاء
هلام على حافة الأفق
طير يرف على
أغصنٍ من دماء
وليلٌ طويل بغير نجوم
نفوس تلوّى
على نار أوجاعها في الخلاء
ملائكةٌ في شحوب المساء
تردد ألحانها
بين صمت القطيعة
والموت تحت سنابك هذا الجفاء
ذئاب تفر من الهول
تملأ ليل الفلاة بجمر العواء
عصور تسيل محملة
بالسياط التي حفرت
في الأخاديد فوق الظهور
وفوق الوجوه
خرائط غائرة للبكاء
زلازل تحتضن الأغنيات
بقايا كواكب تسقط
ريح تسافر مسكونة
بالعويل
ومجنونة بالخواء
بقايا رجال عراة
على ضفة النهر
يلتمسون التطّهر
يفتقدون ذكورتهم
في الزمان الذي
صاغه الانحناء
عظامُ قرى في المدىٰ
يحتويها الدخان الذي
يتصاعد في الأفق
من لهوات النساء اللواتي . .
اكتوْين بفقد الرجال
وفقد الرجاء
كهوف تشقق تصعد
في الليل كل الأفاعى
التي خدرتها الأغانى
لبضع مئات من السنوات
تهرول فيها الضفادع
فوق الحشائش
يهطل قلب السماء
مزامير ترحل بين الفصول
ترافق هذى القوافل
عبر البراري التي تتأوه
تحت جليد الشتاء
يتامى بلا ملجأ
أمم في الفجاج
تفتش عن نقطة
من ضياء
سديم من الموج
يعلو ويسقط
فوق المرايا التى تتكسر
بين الصخور
بغير انتهاء .
ظلام وماء
ظلام وماء



استطلاع : أنور الياسين
تصوير : فهد الكوح


جامعة
صنعاء
اشعاع
حضارة
من بلاد
التاريخ
العريق



ويبقى لليمن هذا السحر وهذا الجمال ، وهذه المكانة الخاصة في النفوس ، فهي واحدة من مهاد الحضارة في التاريخ ، وشعبها العربي العريق مضرب المثل في حلو المعشر ، وحسن الصحبة .

إلى صنعاء حيث الحكمة يمانية . وحيث القلوب الدافئة ، كانت رحلتنا إلى بلاد التاريخ والأساطير ، إلى بلاد سيف بن ذي يزن .

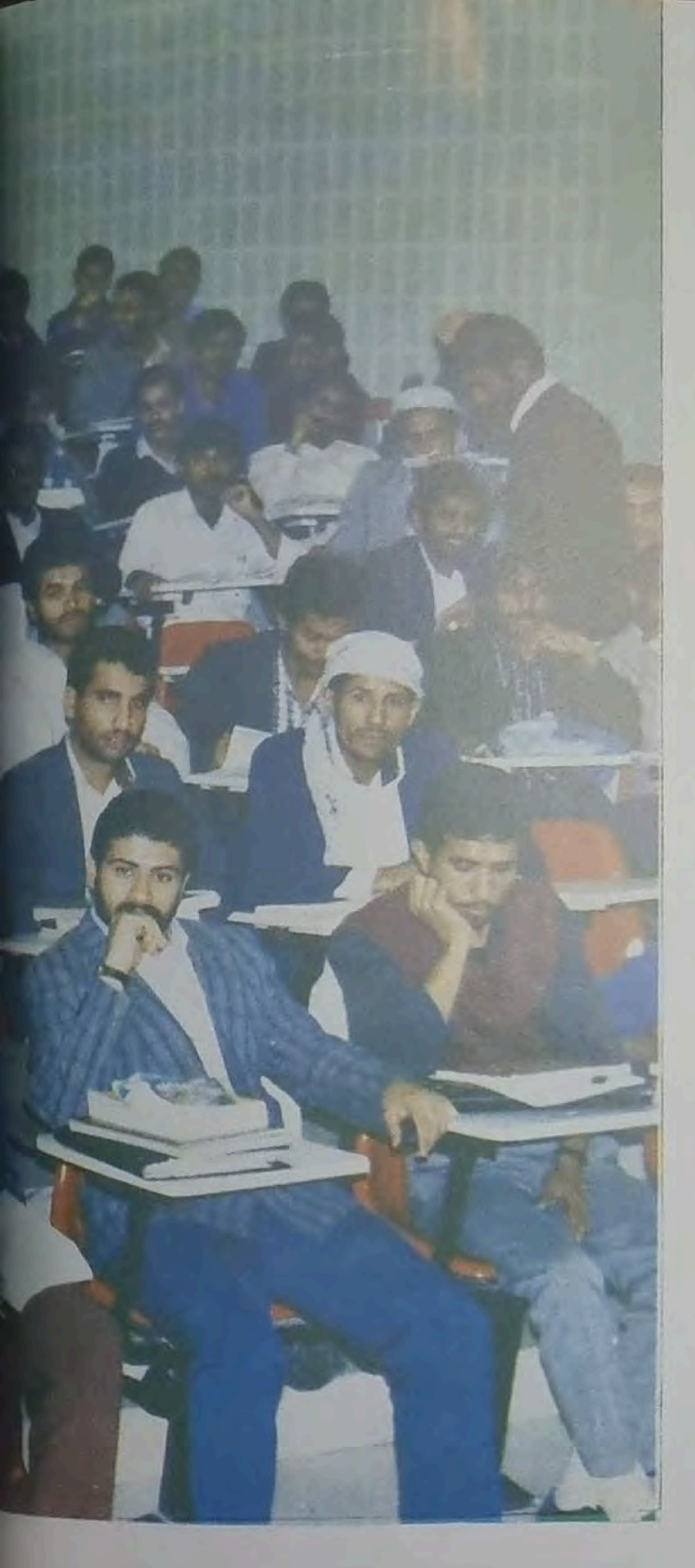
صنعاء أم المدن العربية ، وأقدم مدن العالم على الاطلاق ، يعود تاريخها إلى بدايات التجمع الانساني ، إلى حد أن كثيراً من المؤرخين يذهب إلى أنها تأسست مع قدوم سام بن نوح إليها .

وهي أيضا من أجمل مدن العالم عمارة ، وتقع بين جبل عيبان من الغرب وجبل نقم من الشرق ، وهي ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي ٢١٥٠ متراً تقريبا ، ممتدة على سهل منبسط بين الجبلين .

صنعاء في كل ركن من أركانها بقايا تاريخ قديم ، وشواهد على العراقة . حول صنعاء ما زالت بقايا سورها الشهير الذي يرجع تاريخه إلى عصور ما قبل الاسلام ، وما زالت إلى اليوم بقايا من بواباته السبع « كباب اليمن » ، وبقايا قصر غمدان الذي تروي الكتب عنه ، أنه كان يتكون من عشرين طابقا ، ويعود تاريخه الى حضارة ما قبل الاسلام . إلى صنعاء شددنا الرحال.

حضارة سادت

أقام اليمنيون منذ فجر التاريخ حضارة راقية ، وقد ازدهرت تلك الحضارة في مناطق



الوديان من مشرق اليمن ، وكانت دولة سبأ هي أقدم الدول اليمنية القديمة ، وأخلدها ذكراً ، ولقد ارتبطت بها معظم الرموز التاريخية اليمنية القديمة ، مثل حضارة سبأ ، وسد مأرب ، ومنها تسلسلت أنساب قبائل حمير وكهلان ، وإليها ينتمي أهل اليمن جميعاً ، وبلقيس هي ملكة سبأ التي ذكر القرآن الكريم قصتها كاملة مع سليمان عليه السلام .

ومنذ القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن



طلبة كلية الطب في أحد الفصول الدراسية .

الأول الميلادي ودول اليمن المتعاقبة تسيطر على التجارة في منطقة البحر الأحمر ، وبحر العرب ، وشبه الجزيرة العربية . ولقد ظلت اليمن منطقة ازدهار تجاري ، وإليها كانت تسير قوافل التجارة العربية في رحلات منتظمة ، ولكن الرخاء لا يدوم طويلاً ، ففي الربع الأول من القرن السادس الميلادي غزا الأحباش اليمن واحتلوها ، وبقوا فيها نصف قرن ثم احتلها الفرس وبقوا فيها حتى ظهور الاسلام ، وقد

دفعت اليمن ثمن موقعها المتميز وحضارتها العريقة ، فقد توالى عليها نفوذ الدول الاسلامية المختلفة كالمماليك والأيوبيين ، والأتراك ، وفي العصر الحديث تعرضت اليمن لتجربة بالغة القسوة تمثلت في حكم انعزالي استمر مطبقاً عليها طويلا حتى كسرت طوق العزلة بثورتها الرائدة في السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وهي الثورة التي مهدت لقيام ثورة الرابع عشر من اكتوبر ١٩٦٣ لإجلاء الاستعمار البريطاني عن

جنوبها الذي انتصر في عام ١٩٦٧ .

ولقد كان ثمن فترة العزلة باهظاً ، فقد كان العالم خلال تلك الفترة يسير بخطا واسعة نحو آفاق من التقدم ، وكانت المعارف الانسانية تتراكم خلال حقبة الخمسينيات والستينيات بشكل مكثف ، حتى وصل العالم في ثورته العلمية إلى قفزة نوعية مميزة خلال السبعينيات . ومنذ بدء الثورة واليمن يمضي في مسار طويل لتحقيق تنمية المجتمع ، واللحاق بالركب ، وبدأ منذ السبعينيات في استكمال المؤسسات المدنية في المجتمع التي تسهم إسهاماً فعالاً اليوم في تحقيق خطط التنمية الطموحة .

هذه الخطط كثيرة ومتشعبة ، ولكن ليس كمثل الجامعة في أي دولة - خاصة دولنا في العالم الثالث - من يملك أن يقدم معياراً مهماً لأشكال هذه الطموحات التنموية وآفاقها . لذلك كانت وجهة بعثة « العربي » هذه المرة إلى - الجامعة - جامعة صنعاء .

عشرون عاماً من عمر الجامعة

تجاوز المفهوم العلمي للجامعة ، كونها مجرد قاعات درس وأماكن محاضرات لتلقي العلم وتخريج أفواج داخل محيط المجتمع الذي توجد فيه ، لتصبح منارة تسهم بدور فعال في تغير البيئة المحيطة بها ، وتتعامل مع مشكلات المجتمع المحيط بها ، تعاملا علمياً يحقق خطط التنمية .

ولقد أنشئت الجامعة في العام الدراسي ١٩٧١/٧٠ ، وبدأت بمبنى صغير ما زال قائما حتى الآن ، وخلال عشرين عاما تطورت الجامعة وازدهرت ، وانطلقت في تشييد مبانٍ ومنشآت جامعية بجهود أهل اليمن ومساعدة الأشقاء العرب .

في مكتب مدير الجامعة التقينا بالاستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح مدير جامعة صنعاء ، وسألناه عن رؤيته لجامعة صنعاء وهي تخطو في عقد التسعينيات نحو أبواب القرن الحادي والعشرين .

قال الدكتور عبد العزيز المقالح : كانت البدايات صعبة عند إنشاء الجامعة ، وقد استغرقنا سنوات طويلة في استكمال البنية الأساس التي تمثلت في استكمال المنشآت والمعامل والمرافق اللازمة للجامعة ، ولا ننسى هنا فضل دولة الكويت التي ساهمت بدعم كبير للجامعة ، تمثل في منشآت أقامتها كهدية للشعب اليمني ، وتكفلت برواتب أعضاء هيئة التدريس المتعاقد معهم من الخارج ، ونستطيع القول الآن والحمد لله قد أصبح لدينا كيان مادي متكامل ، ونحن ننظر للتسعينيات وللتغير العالمي الضخم الذي يحدث من حولنا ، على أنه سباق معرفي في الدرجة الاولى ، ولذا فعلى العرب - ونحن منهم - أن يهيئوا أنفسهم ، وأن يخرجوا من حالة الركود ، لأن الآخرين - والآخرين هنا هم كل العالم - لن ينتظروا حتى نصلح من أمورنا ، ونستعد للمواكبة . والمؤسف أن هناك بعضاً من دول العالم الثالث قد أصبحت لديها قدرة واضحة على اللحاق بالعالم الصناعي ، الأمر الذي سيجعل الأقطار العربية وحدها في وضع لا تحسد عليه . والنهوض العام للوطن العربي لا يمكن أن يتم على مستوى قطري أو اقليمي ، بل يجب أن يكون على مستوى الوطن العربي كله ، ويجب أن يكون مبتدئا من المدرسة الابتدائية ويستمر حتى الجامعة ، لكي نضع تخطيطاً علمياً واضحاً يحدد رؤيتنا ، وموقفنا من السباق المعرفي المتعاظم من حولنا ، وكيفية كسر الدائرة التي ندور فيها ، لكي نلحق بالركب العالمي .

أطر للتنمية

تضم جامعة صنعاء حاليا ٣٥ ألف طالب وطالبة ، وعلى الرغم من كبر عدد الطلبة النسبي ، فإن جهاز الدولة ما زال قادراً على استيعاب الخريجين منهم ، وذلك يمثل جزءاً من خطط التنمية التي تعتمد على تحديث الإدارة ، وتطويرها والتوسع فيها . وبخاصة أن بعض القطاعات قد بدأ تطويرها من نقطة الصفر ،



● الاجتماع التاريخي الأول المشترك لجامعتي دولة الوحدة ، وقد عقد بجامعة صنعاء ، وضم مدير جامعة عدن الدكتور محمد العمودي ، ومدير جامعة صنعاء الدكتور عبدالعزيز المقالح .



● وطالبات كلية الطب والعلوم الصحية يستذكرن دروسهن .



● وأسفل طلبة قسم الهندسة ينفذون أحد مشروعات التخرج .

فعلى سبيل المثال عند قيام الثورة لم يكن على تراب اليمن سوى أربعة مستشفيات (في مستوى المستوصفات الأولية) وحتى عام ١٩٨٨ أمكن بناء ٣٩ مستشفى بسعة خمسة آلاف سرير ، وعلى صعيد التعليم كان عدد المدارس في العام ٦٣/٦٢ (٩١٩ مدرسة ابتدائية و ٣ مدارس اعدادية) ، ولا توجد أي مدارس للمرحلة الثانوية ، وفي العام ١٩٨٩/٨٨ بلغ عدد المدارس الابتدائية ٦٨٧٣ مدرسة ، وبلغ عدد المدارس الاعدادية ١١٢٧ مدرسة ، و المدارس الثانوية ٣٣٢ مدرسة .

وهكذا على مستوى جميع القطاعات في اليمن هناك انجازات وطفرات حقيقية ، وبالتالي فإن تحقيق الاستمرار في هذه الانجازات يتطلب أعداداً من خريجي الجامعة لتسيير عجلة التنمية ، ومن المتوقع أن يتزايد الاقبال على الدراسة في الجامعة ، خلال السنوات الثلاث القادمة ، وعلى الرغم من أن عدد الطلاب حتى الآن في الحدود المعقولة ، إلا أن هناك أصواتا داخل حرم الجامعة تنبه لأهمية التخطيط لإعداد المقبولين وفقاً لحاجة المجتمع حتى لا يتراكم عدد الخريجين في تخصصات لا يستوعبها المجتمع .

يعلق نائب مدير الجامعة د . أبو بكر القرفي «على الرغم من أن المؤسسات ما تزال قادرة على استيعاب الخريجين من مختلف التخصصات ، لكن على المدى القريب سوف يجد هؤلاء الخريجون أنفسهم في قائمة الفائض عن الحاجة ، ولذلك فإن الدولة من خلال المجلس الأعلى للجامعة ومن خلال المجلس الأعلى للتخطيط ، تقوم بدراسة الحالة قبل أن تستفحل ، وسوف يبدأ من العام الدراسي القادم الحاق عدد من الحاصلين على الثانوية العامة في المعاهد الفنية المتوسطة (نظام العامين) لإعداد القاعدة المطلوبة من الفنيين والمتخصصين الذين يحتاج اليهم المجتمع ، وتحرص مؤسسات الدولة الصناعية والانتاجية والخدمية ، على استمرار توافرهم في سوق العمل » .

مسيرة تطور

ولدت جامعة صنعاء كما قلنا في نوفمبر ١٩٧٠ ، وقد بدأت بكليتين للتربية والشريعة ، وفي العام الجامعي التالي ١٩٧٢/٧١ تم تعديل اسم كلية التربية لتصبح كلية الآداب والعلوم التربوية ، وفي العام الجامعي ١٩٧٣ انقسمت هذه الكلية إلى ثلاث كليات هي : كلية الآداب ، وكلية التربية ، وكلية العلوم ، وفي عام ١٩٧٦/٧٥ أصبحت الجامعة تضم خمس كليات هي : كلية الشريعة والقانون ، وكلية الآداب ، وكلية العلوم ، وكلية التربية ، وكلية التجارة والاقتصاد .

ومنذ عام ١٩٨٢ بدأ التركيز على انشاء الكليات العلمية حيث تم افتتاح كلية الطب والعلوم الصحية ، وفي عام ١٩٨٤/٨٣ تم افتتاح كلية الهندسة ، وفي عام ١٩٨٤ تم افتتاح كلية الزراعة ، كما أنشيء مركز للغات في عام ١٩٨٤/٨٣ ، الذي يعد وحدة تعليمية وعلمية مستقلة ، ويتولى تدريس مقررات اللغات بما فيها اللغة العربية ، وقد سعت الجامعة منذ البداية إلى فتح فروع لكلية التربية في مختلف المحافظات ، بادئة بفرع كلية التربية فرع (محافظة تعز) الذي افتتح في العام الجامعي ١٩٨٦/٨٥ ويعدُّ نواة لانشاء جامعة جديدة في هذه المحافظة ، كما تم افتتاح فرع لكلية التربية في محافظة الحديدة عام ١٩٨٧ ، وفرع آخر في (محافظة أب) عام ١٩٨٨ ، وفرع لكلية التربية ايضاً في (محافظة حجة) عام ١٩٨٩ .

وقد واكب هذه الرحلة ، تطورات ضخمة في المجال العمراني حيث تم إنشاء مبانٍ لكليات الشريعة والقانون والاقتصاد والتجارة بالاضافة إلى المرافق الأخرى مثل المكتبة المركزية ، والادارة العامة ، وصالات المحاضرات ، وكلية



● على رأسه الطير وفي فمه القات وفي حزامه الجنبية ، ولكن كل هذا لم يمنعه من دخول الجامعة



● دروس تطبيقية في كلية الهندسة ، أحدث كليات جامعة صنعاء .

الطب ومعاملها ، وكلية العلوم ومختبراتها . وعلى الرغم من هذا التوسع فهو ما زال دون الطموح المطلوب ، فتعداد سكان (الشطر الشمالي) من الجمهورية اليمنية يقارب عشرة ملايين نسمة وجامعة واحدة لا تكفي خاصة إذا أدركنا أهمية دور الجامعة الحضاري وعلاقتها بالمجتمع . يقول مدير الجامعة د . عبد العزيز المقالح : كانت علاقة جامعة صنعاء بالمجتمع - وإلى وقت قريب - محدودة إن لم تكن مقطوعة ، وفي السنوات الأخيرة وبعد انشاء الكليات العلمية (الطب ، والهندسة ، والزراعة) بدأت الصلة بين الجامعة والمجتمع تأخذ طابعا يومياً من خلال المهام العلمية لهذه الكليات ، مما شجع الكليات النظرية على اقامة الندوات والأنشطة الثقافية المختلفة ، كما أن الدولة في السنوات الأخيرة بدأت تستعين بعدد كبير من اساتذة الجامعة لوضع الدراسات لعدد من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية ، وبدأ الطلاب أنفسهم يشاركون في أبحاث دورية عن واقع المجتمع اليمني ، ودفع عملية التغير به في كثير من المجالات ، وجملة القول نستطيع أن نؤكد بأن العلاقة بين الجامعة والمجتمع هي علاقة اشعاع وتنوير ، وهي علاقة مفيدة لكلا الطرفين ، وهي تزداد حيوية عاماً بعد آخر .

مجلس للتعليم العالي يتولى تنسيق العلاقة وتنظيمها بين الجامعتين لتحقيق الوحدة والتكامل المنشودين ، ووضع سياسات التعليم العالي والبحوث ، وتوحيد اللوائح والنظم في الجامعتين ، بما يلبي احتياجات اليمن الواحد ، وفق برنامج محدد ، وهي لا شك خطوة متقدمة لإعادة لحمة توحيد الثقافة ، وهي بالمناسبة إحدى الخطوات التي تقوم بها جميع المؤسسات في الشطرين لتحقيق الهدف المشترك ، وهو الوحدة اليمنية .

الكتاب الجامعي ، وقضايا أُخرى

كل أسرة في اليمن تطمح أن يكون لديها ابن أو بنت في الجامعة ، والشهادة ليست مظهراً اجتماعياً تحرص عليه جميع العائلات فحسب ، بل ولإيمانهم أيضاً أن لا فرصة أمام الانسان اليمني غير التعليم ، واليمنيون محبون للثقافة تراثاً وتاريخاً .

تقول الطالبة جميلة شوكت من قسم الفلسفة بكلية الآداب : إن نظام الساعات المكتبية في الكلية يحقق الكثير من طموحاتنا ويوفر لنا مناخا أكاديمياً ، ولكن المشكلة تكمن في أن الكتاب الجامعي ليس متوافراً بالكمية المطلوبة ، فهناك وحدة لطباعة الكتب يتم دعمها من إدارة الجامعة ، لكن الكمية الموزعة قليلة مقارنة بعدد الطلبة ، ولهذا يقوم الاساتذة بتوزيع مذكرات مطبوعة لا تلبي الحاجة والغرض ، فنحن نحتاج الى مراجع مختلفة حتى نستطيع أن نخرج من قوقعة التلمذة إلى مجال البحث وإبداء الرأي .

لكن الذي يؤرقني وأنا طالبة في قسم الفلسفة ـ تقول الطالبة جميلة شوكت ـ هو ماذا سوف أعمل بعد أن أتخرج ؟ إلى الآن لم أقرر لكن في الغالب سوف أتجه الى مجال الدراسات العليا .

ولقد سمعت مثل ذلك من العديد من طلبة جامعة صنعاء ، الكل لديه رغبة في مواصلة التعليم العالي ، وإن كان لدى الجامعة الآن



نعم إنه اليمن السعيد

الوحدة اليمنية التي أصبحت حقيقة ساطعة في ٢٢ (مايو) أيار ١٩٩٠ م كنا قد لمسنا إرهاصاتها في كل مكان زرناه في جولتنا، فهي محور الحديث في كل لقاء وفي كل مجلس ، فقد تصادف وصولنا لزيارة جامعة صنعاء مع قيام حدث تربوي مثير ، هو الاجتماع المشترك بين الدكتور عبد العزيز المقالح مدير جامعة صنعاء ، والدكتور محمد سعيد العمودي رئيس جامعة عدن . حيث عقدا في الفترة من ١٥ الى ١٨ يناير ١٩٩٠ اجتماعات مشتركة ، واتفقا على تشكيل

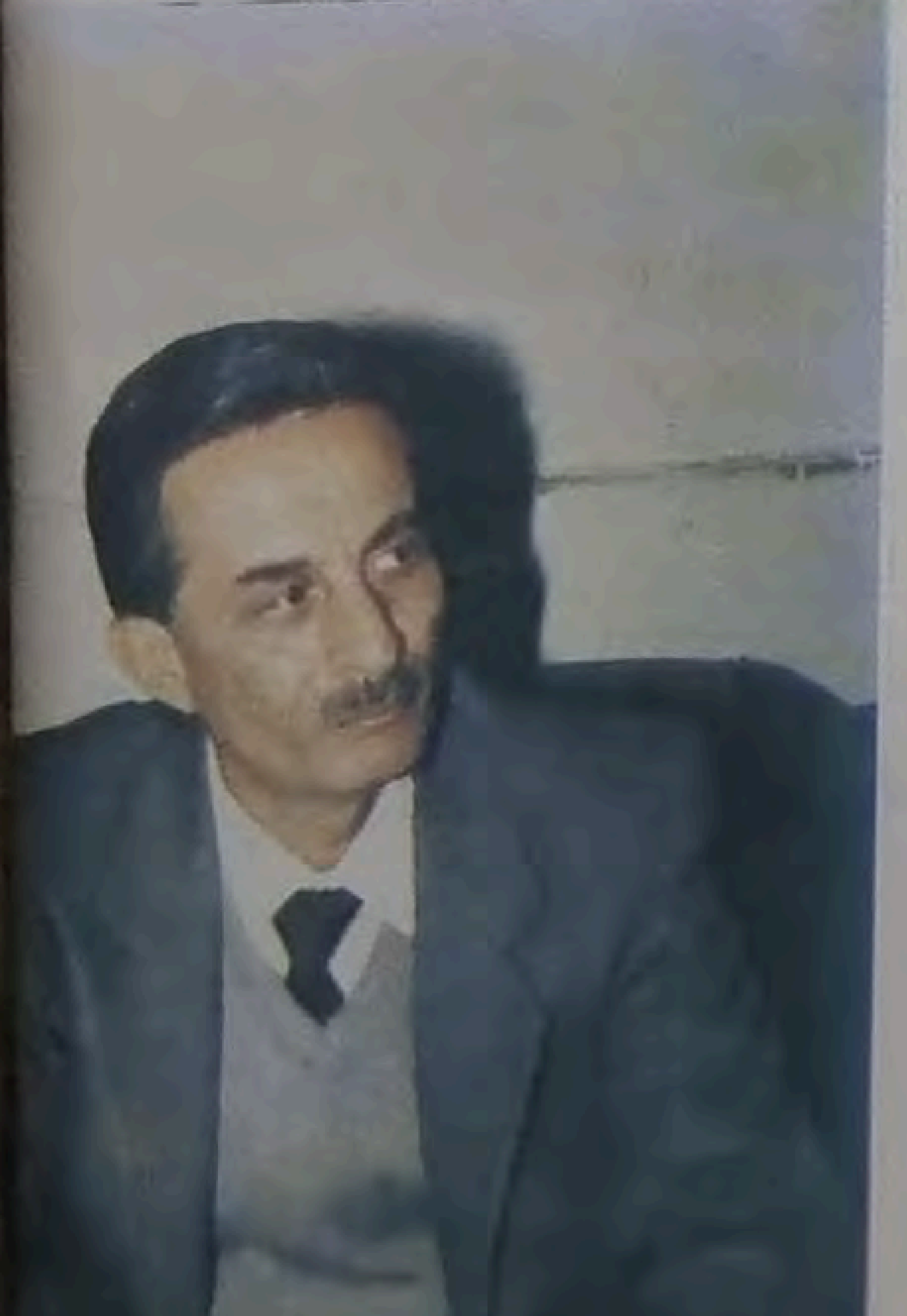
امكانية لقبول بعض الطلبة وابتعاث بعض آخر إلى الخارج ، لكنها ستكون واحدة من المشكلات التي ستظهر في القريب العاجل ، إذا لم توضع شروط تقنن العملية ، وتضع لها خطة وفق متطلبات الجامعة من أعضاء هيئة التدريس ، وتوافر الكتب ومواءمة كل ذلك لاحتياجات التنمية في اليمن .

● مدير جامعة صنعاء الدكتور عبدالعزيز المقالح

أما المشكلة الاخرى التي يعاني منها طلبة جامعة صنعاء فهي (الفاتشه) أو النقاب ، فالمجتمع لا زال ينظر إلى هذه القضية بمنظار مختلف ، ويتشدد في السماح للفتاة بكشف الوجه أمام المجتمع ، فأنت تجد الكليات ـ على الرغم من أن التعليم مشترك ـ منقسمة إلى مجتمع رجال ومجتمع نساء ، ونادراً ما تكشف الفتاة عن وجهها ، وقد تقبل الفتيات الحديث مع زملائهن الطلبة لكن من وراء النقاب ، وهي مشكلة تتعرض لها أكثر طالبات كلية الطب والهندسة في دروسهن وفي حياتهن العملية ، ومن القضايا الاجتماعية المهمة ، رفض احد المستشفيات في صنعاء قبول بعض الطبيبات اللواتي تقدمن للعمل فيه لكونهن منقبات .


● عميد كلية الطب الدكتور عبدالله الحريبي

ويقول الطالب أحمد الشاجع من قسم علم النفس في كلية الآداب : إن التيارات الفكرية تتمتع بحرية نقابية في ممارسة نشاطها ، ولنا اتحاد للطلبة يرعى مصالحنا ، ويدافع عن حقوقنا ، ونمارس نشاطاتنا من خلاله ، أما بخصوص الكتاب الجامعي وسعره ، فيقول : إن هناك مكتبة للطالب تباع فيها الكتب بسعر التكلفة ، فالتعليم في الجامعة مجاني ، وكذلك هناك سكن جامعي للطالبات تقدم فيه جميع الخدمات بالمجان .


● عميد كلية التربية الدكتور علي هود باعباد

النشاط الطلابي

ويمارس طلبة جامعة صنعاء أنشطتهم المختلفة التي توفرها لهم الادارة العامة لرعاية الشباب في الجامعة ، فهناك مسرح جامعي ، يحدثنا عنه



● دار الحجر بوادي ظهر . واحدة من معالم مدينة صنعاء التاريخية

الطالب راجحي أحمد سعيد حيث يقول « إن المسرح الجامعي بدأ نشاطه مع بداية عام ١٩٧٤ إذ قدم العديد من المسرحيات ، مثل مسرحية رسالة الى سيف بن ذي يزن ، وهي من تأليف الدكتور عبد العزيز المقالح ، ومسرحية مجلس العدل لتوفيق الحكيم ، وتقوم إدارة الجامعة بتمويل المسرح » .

إلى جانب النشاط المسرحي هناك أنشطة عديدة أخرى مثل النشاط الموسيقي ، والنشاط الثقافي ، والأمسيات الشعرية والقصصية ، كما تقام المخيمات لجوالة الجامعة ، وتوجد جمعية الهلال الأحمر بالاضافة إلى الانشطة الرياضية بجميع أنواعها .

بين العربية والأجنبية

التعليم في جامعة صنعاء يتم باللغة العربية إلا في بعض الكليات ، عن هذا الموضوع يحدثنا عميد كلية العلوم د. علي جمعان الشكيل فيقول: إنه في السنتين الأولى والثانية يتم التدريس للطلبة باللغة العربية ، لكن بعد ذلك فإن جميع المواد تدرس باللغة الانجليزية ، وهذا الاسلوب متبع في كلية الهندسة والطب أيضا ، والتعليم يتم وفق الساعات المعتمدة ، وقد بدأنا التجربة منذ فترة قصيرة ، وهي تعتمد على إعطاء الطالب فرصة اختيار المواد التي يرغب في دراستها.وفقا للمتطلبات الجامعية ، وكذلك وفقا للتخصص ، كما أن الكلية تقدم برامج للدكتوراة والماجستير في أقسام الكيمياء ، والجيولوجيا ، والرياضيات ، وعلوم الحياة ، أما عن مستوى خريجي كلية العلوم ، فيقول : إنهم يفرضون أنفسهم على قطاع العمل ، فهم يتمتعون بروح الحماس وحب العمل ، ولديهم القدرة على تطبيق كل ما تلقوه بالكلية من مواد نظرية وعملية في أمور حياتهم .

● نائب مدير الجامعة ـ الدكتور أبو بكر القرني



هذا ما يؤكده أيضا عميد كلية التربية د . علي هود باعباد من أن خريج جامعة صنعاء لا يقل مستواه العلمي عن أي خريج من خريجي الجامعات العربية ، وهذا ما لمسناه من خلال الزيارات التي قمنا بها ، مع خريجين وطلبة من كلية التربية إلى بعض الجامعات العربية ، حيث إن المناهج لا تقل عما عندهم ، والاكتظاظ الذي نعانيه في الفصول الدراسية يعاني منه العديد من الجامعات العربية .

أما عن النظام المعمول به في الكلية ، فيما يتعلق بنظام التدريس ، يقول العميد : (نحن نعتمد نظام الفصلين الذي يجنبنا العديد من المشاكل التي قد تقع لو طبقنا نظام الساعات المعتمدة ، فهو نظام يصلح للجامعات الامريكية لكنه بالتأكيد لا يصلح للجامعات العربية ، نظراً لضعف الامكانات ، ولاختلاف طبيعة المجتمع) .

تصل أعباء عضو هيئة التدريس في بعض الكليات إلى تسع عشرة ساعة في الاسبوع ، فيما يقوم الاستاذ في الجامعات العربية الأخرى بالتدريس لاثنتي عشرة ساعة في المتوسط ، ولكن مشكلتنا ـ كما يقول العميد ـ تأتي من عدم الاستقرار على نظام واحد ، وهذا يشكل عبئا تعليمياً وعملياً لغياب وجود نظام وفلسفة متكاملة للنظام التعليمي ، بحيث نضع سياسات

مستقبلية للتطوير . فنحن في كلية التربية لدينا حوالي ٧ آلاف طالب وطالبة ، ونتوقع المزيد في العام القادم ، فهل كل هذه الأرقام سيتم استيعابها في اليمن ؟ هذا السؤال لا زال معلقاً ، لأن الإجابة عنه تحتاج منا أن نعيد النظر في خطط التنمية ، وهذا ليس متاحاً في الوقت الحاضر .

كما تقدم كلية التربية برامج تدريبية واسعة نحو إعداد المعلمين للمدارس الإعدادية والثانوية ، ورفع مستواهم أكاديمياً ، فالكلية أيضاً تعمل على دراسة الأوضاع التربوية الموجودة في المجتمع ، وتحاول أن تضع لها حلولاً تقضي على المشكلات الموجودة نتيجة ترسبات الماضي ، كما تضم أقساماً متنوعة تلبي احتياجات الطلبة ، فهناك قسم مناهج الدراسات الإسلامية والعربية ، وقسم مناهج الدراسات الاجتماعية وطرق تدريسها ، وقسم مناهج العلوم ، واللغة الانجليزية ، وأصول التربية ، وقسم تقنية التعليم الذي يقدم العديد من البرامج التعليمية ، ومن أحدثها البرامج التعليمية عن طريق التلفاز التي يقول عنه الاستاذ عبد الله القرا ، رئيس قسم تقنية التعليم ، وهو خبير في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : « إن التلفاز التعليمي أصبح ضرورية هذه الأيام في الجامعة ، وأصبح يسهل الكثير من البرامج الأكاديمية التي تسمح للطلبة أن يتعلموا من خلالها العديد من الأنشطة التي تكسبهم خبرة عالية ، تساعدهم في المستقبل في عملية التدريس في المدارس » .

استقلالية الجامعة

استقلالية الجامعة قضية مطروحة في الوطن العربي ، ووجهات النظر بين مؤيد لإعطاء الجامعة الاستقلالية الأكاديمية والادارية والمالية بعيداً عن أي ضغوط سياسية وادارية وبين معارض يقول : إنها مؤسسة تعمل من داخل



● كيميائية المستقبل باحثة في قسم المختبرات الطبية .

المجتمع وبالتالي فإنها يجب أن تتفاعل معه وتخضع لظروفه .

حول استقلالية الجامعة ومدى الحرية الأكاديمية التي يتمتع بها عضو هيئة التدريس في جامعة صنعاء يقول مستشار مدير الجامعة د . يحيى الشعيبي : إننا نستطيع القول إن الجامعة تمارس حداً لا بأس به من الاستقلالية العلمية والأكاديمية ، مثلها مثل بقية الجامعات العربية ، وأنه من الصعب في ظل ظروفنا أن تكون للجامعات العربية الاستقلالية الكاملة لا سيما أن هذه الجامعات جزء لا يتجزأ من مؤسسات

الدولة ، وميزانياتها ضمن الميزانية العامة للدولة ، وإلى أن تتمكن الجامعات العربية أو بعضها من إقامة علاقات وثيقة مع المواطنين القادرين على تلبية احتياجاتها المادية ، فحينئذ فقط يمكن لها أن تتحدث عن استقلالية أكاديمية ، وإدارية ، أما عن الحرية الأكاديمية في جامعة صنعاء فمرتبطة باستقلالية الجامعة ، وهو أمر لا يختلف عن أي جامعة في الوطن العربي ، فالأستاذ الجامعي حريته مكفولة تمكنه من إعداد بحوثه العلمية في مناخ ملائم ، ولا تعوقه أحيانا سوى الامكانيات المادية ، والادارة لا تتدخل من قريب أو من بعيد فيما يتعلق بحرية الرأي أو فرض كتاب محدد ، فكل أستاذ يدرس كتبه وأبحاثه في مجال تخصصه بحرية ، وفي إطار متطلبات المادة ، وما هو متعارف عليه في الوطن العربي .

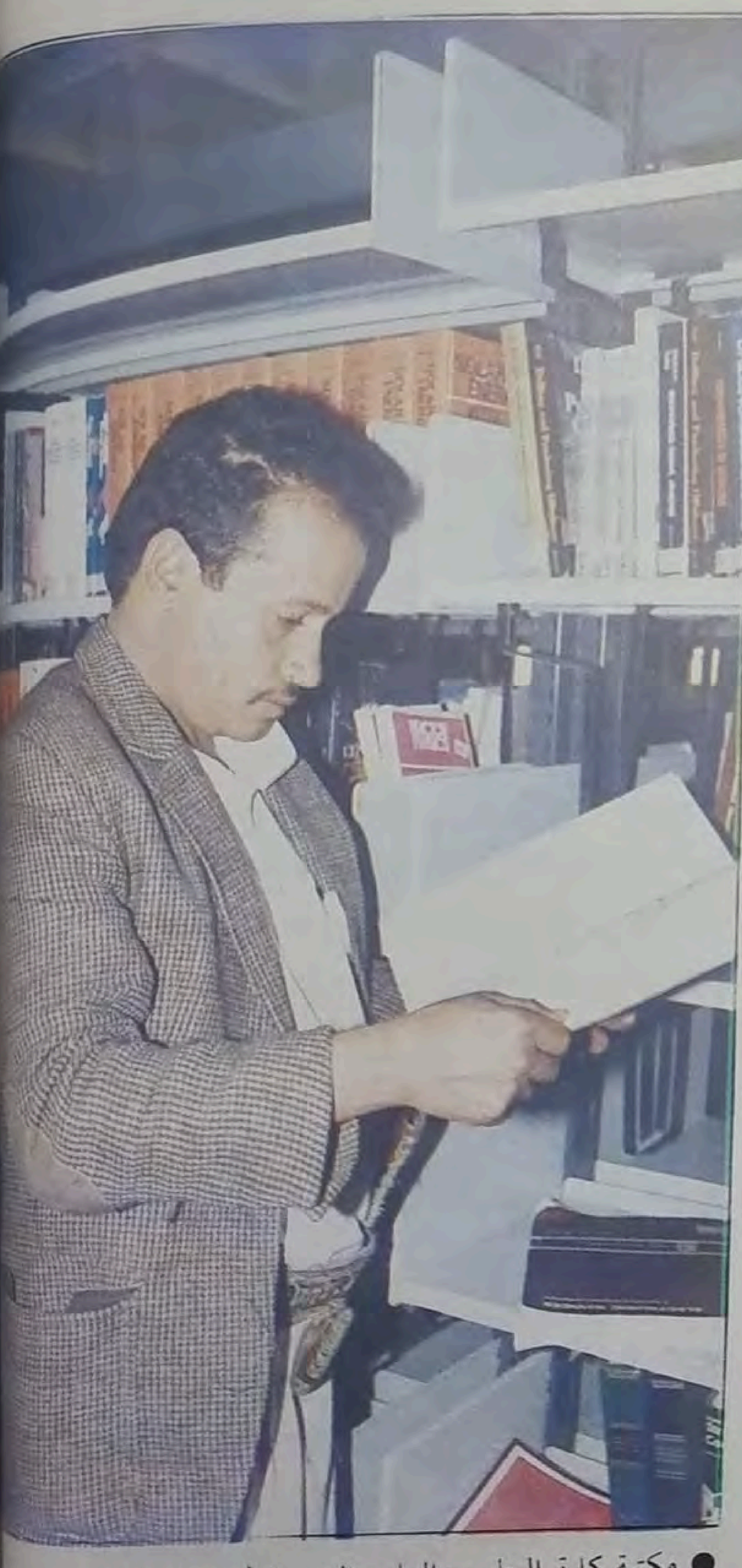
الإرادة والتحدي

من الكليات الحديثة « كلية الطب والعلوم الصحية » التي احتفلت في نهاية العام الماضي بتخريج الدفعة الاولى من الأطباء البشريين الذين بلغ عددهم ثلاثة وعشرين طبيباً وطبيبة ، كجزء من إعداد الكوادر الطبية اليمنية في بلد محدود الامكانيات مما يخلق تحدياً لقدرات الانسان اليمني على الخلق والابداع ، ومسايرة الركب الحضاري على مشارف القرن الواحد والعشرين .

يقول د . عبد الله الحريبي الذي سبق أن عمل مديراً للمستشفى الكويتي في صنعاء : إن الكلية تضم أربعة أقسام هي الطب البشري ، والمختبرات الطبية ، والتمريض العائلي ، والصيدلة .

ويبلغ عدد الطلبة المقبولين هذا العام حوالي ١٧٥٠ طالباً وطالبة في جميع الشعب والتخصصات .

وأن مدة الدراسة في الكلية لطلبة الطب



● مكتبة كلية الطب والعلوم الصحية أحدث مكتبات جامعة صنعاء .

البشري سبع سنوات مع سنة الامتياز ، أما مدة دراسة الصيدلة فهي خمس سنوات ، وفي المختبرات الطبية والتمريض أربع سنوات ونصف . والكلية أصبح لديها مبان حديثة جداً شيدت على نفقة سمو أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح ، وقد بلغت التكلفة الاجمالية للمشروع ٣٥ مليون دولار امريكي ،

والدراسة لم تنتظم حتى الآن بسبب ترتيبات البناء والتنظيم . سألنا عميد الكلية عن العلاقة بين الكلية والمجتمع ، فقال : إن العلاقة لما تتضح بعد ، فحتى هذه اللحظة العلاقة جيدة لكن في بدايتها ، ونحن نبني الجسور مع الجميع .

وأضاف العميد : لدينا الكثير من المشاكل مثل ضعف تجهيزات المكتبة ، وقلة الكتب المتوافرة كمراجع للطلبة ، وإن كنا قد بدأنا في عملية التزود هذه ، لكنها قد تستمر وقتاً طويلاً قبل أن تستكمل المكتبة احتياجاتها من المراجع .

الكلية بدأت في قبول طلبة الدراسات العليا ، وهذه سياسة تتبعها الجامعة لسد احتياجاتها من أعضاء هيئة التدريس . تحدثنا المعيدة بقسم المختبرات الطبية كلثوم السقاف ، فتقول : إن برنامج الدراسات العليا في الكلية يهيىء فرصة ذهبية لكي يحقق الطلاب جزءاً من طموحاتهم في التحصيل العالي ، كما أن فرص العمل كبيرة أمام خريج كلية الطب والعلوم الصحية ، أما الطالبة بكلية الطب نائلة محمد جباري فتقول : إنها كانت تفكر في السفر خارج اليمن لمواصلة التعليم في إحدى الجامعات الغربية ، لكن بمجرد قبولها في كلية الطب في جامعة صنعاء ألغت فكرة السفر ، نظراً للرعاية الأسرية التي تلقاها في الكلية ، والاهتمام الكبير الذي قلما نسمع أن الطلبة في الغرب يحصلون عليه كما تقول الطالبة . إن الاتجاه الذي تسير عليه جامعة صنعاء في تهيئة طاقات الطلبة في مجالات الطب والهندسة والعلوم والزراعة وغيرها ، من القطاعات العلمية التي سوف تشكل في النهاية ثروة قومية ، تستطيع بها اليمن أن تواجه تحديات المستقبل ، سواء في التنمية أو في النهوض من مخلفات التنمية العشوائية التي عانى منها اليمن في السنوات العشر السابقة .


إن مخرجات هذه الكليات في النهاية هي التي ستقرر أين يقف اليمن في مواجهة عنصر أساسي وهو التقدم ، من هنا تقف جامعة صنعاء رمزاً للتحدي في مواجهة التخلف . وكما يذكر د . عبدالعزيز المقالح : إن الجامعة تعاني من معوقات كثيرة ، وهي معوقات مادية بالدرجة الاولى ، وبتعبير أوضح ما تزال الجامعة بعد توسعها الكبير ، وإنشاء كليات الهندسة والزراعة والطب وافتتاح مبانيها الجديدة ، وإنشاء فروع لكلية التربية في أربع محافظات ، ما تزال يرصد لها الميزانية المحدودة السابقة نفسها دون النظر إلى هذه التوسعات الجديدة ، مما خلق حالة من العجز في كثير من المجالات ، وأهمها مجال البحث العلمي ، ودعوة العدد الكافي من الأساتذة الزائرين واستقبالهم ، ومن تأخر صدور بعض المجلات الاكاديمية العلمية المتخصصة ، وهذا المعوق الأساسي الوحيد يتسبب في الكثير من الإشكاليات العلمية التي تحد من طموحات الكليات في محاولة تطوير الجهد العلمي للجامعة .

لم يزل المشوار طويلاً

وما زال المشوار طويلاً أمام جامعة صنعاء ، وعلى الرغم من كل الوجوه المشرقة لها ، ودورها الحضاري في المجتمع اليمني ، فإن هذا الدور لا يقف عند حدود ، ولا ينتهي بنهاية ، ولكن يتطور مع تطور المجتمع وتعدد احتياجاته .


من صنعاء جمعنا أوراقنا وحقائبنا لنعود ، وكل ما حولنا يشهد على إرادة إنسان اليمن لدفع التنمية وتطوير مجتمعه ، والجامعة هي واحدة من مؤسسات عديدة تعمل وتتعاون معا من أجل حفر موقع جميل يستحقه إنسان اليمن تحت شمس العالم المعاصر المليء بالمتغيرات الذي لا يحفل بالضعفاء .

وعند المغادرة أحاطتنا قلوب أبناء الحضارة العريقة بالدفء والرعاية وتذكرنا لقاءنا عند الوصول ، وعند الوداع همسوا بحكمتهم إلينا : « صراع العالم اليوم صراع معرفي » ، وما أصدقها من حكمة تلقيناها من صنعاء . □



في الكويت الصيف يصبح أمتع

استطلاع : ريـــم الكيلاني
تصوير : طالب الحسيني



تملك الكويت واحدا من أطول السواحل الممتدة على ضفاف الخليج العربي، وهناك يجد الناس المكان الأفضل لقضاء أوقات مليئة بالمتعة والراحة في الشتاء وفي صيف الكويت الطويل.

ولم يكن شاطىء الخليج بما يجمع بين القديم والحديث هو المكان الوحيد الذي يقضي فيه الناس أوقات فراغهم، فهناك مرافق كثيرة هيأتها دولة الكويت لكل فئات المجتمع، بدءا بالأندية الرياضية ومراكز الشباب وحدائق الأطفال، حتى المقاهي الشعبية، والمدينة الترفيهية، والمنتجعات السياحية، ولم ينته الأمر عند هذا الحد، فمازال هناك الكثير الذي تخطط له الكويت.

قديما، لم تكن المجتمعات تعير اهتماما كبيرا لقضية الترفيه، بحسبانها مسألة كمالية، يمارسها الفرد أولا حسب رغبته أو قدرته، لكنها اليوم تحولت إلى قضية أساس، تفرضها متغيرات العصر، فتخرج بالفرد من ذلك الضغط الهائل الذي تسببه مشاغل الحياة الحديثة، بما فيها من مشاكل وانفعالات، لتمنحه كمّا معقولا من الهدوء والاستجمام.

وقد وجهت دولة الكويت اهتمامها لهذا الأمر، فكلفت العديد من مؤسساتها الحكومية والأهلية لترجمة هذه الاهتمامات الى واقع ملموس، فإلى جانب ما تقدمه وزارة الشئون الاجتماعية والعمل، ووزارة التربية والهيئة العامة للزراعة من خدمات في هذا المجال، أنفقت الدولة ما يقارب ٤٥٠ مليون دينار كويتي، أي حوالي ١٥٠٠ مليون دولار، لتشييد المنشآت الترفيهية في الكويت، وأوكلت مهمة إدارتها، والإشراف على مرافقها إلى شركة المشروعات السياحية.



● فيلكا حيث الهدوء والجمال والتاريخ

ما تفعله شمس؟

(شمس) هو الاسم المختصر لشركة المشروعات السياحية الكويتية، ومع أن اسمها المكون من الأحرف الأولى للشركة فإنه يذكرنا بالحر اللاهب، لكن المسئولين عن الشركة استخدموه رمزاً لجعل صيف الكويت الوهاج محتملا مقبولا.

توجهنا إلى «شمس» لزيارتها وللاطلاع على ما تديره من مرافق أقيمت من أجل هذه المهمة الصعبة، لكنها ليست مستحيلة.

هناك، على شاطىء الخليج العربي كانت البداية، حيث المرحلة الأولى من مشروع الواجهة البحرية الذي يمتد حوالي عشرين كيلو مترا، من السالمية الى بنيد القار، والذي استمر العمل فيه أكثر من اثني عشر عاما، وتم إنجازه عام ١٩٨٣، بواجهة تجمع بين الواقع والخيال، فيها الكثير الذي يستحق أن تراه، والكثير الذي يمكنك أن تفعله بين البحر والحدائق الكثيرة المنتشرة، على بقع منسقة بشكل هندسي، وفيه من الجمال والخضرة مالا تتوقع أن تراه في بيئة صحراوية كالكويت. من هناك كانت انطلاقتنا، وكانت الشمس تتوسط كبد السماء، وتجعل الجو شديد الحرارة، لكن الواجهة البحرية لم تخل من روادها الذين انتشروا في كل مكان، يمارسون نشاطهم وهواياتهم، موزعين على الشواطيء وبين الألعاب.

ومع أنني كنت في مهمة عمل، فقد كنت أشعر بأنني أمارس رياضة ممتعة وأنا أسير فوق تلك الممرات التي خصصت لرياضة المشي، مع أنني لم أمارس هذه الرياضة منذ زمن ليس قصيراً، ومن هذه الممرات كنت أرقب الأطفال وهم يفترشون رمال الشاطيء، ويبنون قصورهم الرملية التي حولت شاطيء الواجهة البحرية الى مدينة من رمال.

وواصلت سيري على شاطيء الواجهة البحرية، أشارك الجميع يومهم الذي لم تفسده



● خريطة الكويت موضح عليها الأماكن السياحية

حرارة الشمس، ولاح لي وجه خيل إليّ أنني أعرفه، فاقتربت أكثر، فإذا بها صديقة الطفولة التي لم ألتق بها منذ زمن طويل، حييتها بحرارة شديدة، ووقفنا معا نسترجع القديم ونسأل عن الحاضر، سرنا معا، وقد أخذنا حديث الذكريات، حتى وصلنا الى مبنى حديث الإنشاء، وقفت أمامه مجموعة من اليخوت بشكل منظم، ووجدت نفسي مع صديقتي نتقمص روح المغامرين، ونبدأ بالبحث والسؤال، وكأننا مازلنا تلميذتين مشاغبتين.

صعدنا معا إلى ذلك المبنى الذي يشرف على حوض اليخوت، وقد كتب عند المدخل «نادي اليخوت». يبلغ عدد أعضائه حتى نهاية عام ١٩٨٩ (٢٣١) عضوا، هم أصحاب القوارب واليخوت الموجودة في المرفأ الذي خصص لها، وصمم بطريقة خاصة، ليوفر للسفن الحماية والأمان من التيارات المائية. كما توفر إدارة النادي مضختي بنزين وديزل لاستعمال الأعضاء أصحاب اليخوت.

وقفت مع صديقتي نبحث عن قارب يأخذنا في رحلة بحرية، ولكننا فوجئنا بجمع كبير من الناس يتجه نحو قارب متوسط الحجم، زين بالرسوم والأعلام. وعندما سألت أحدهم عن وجهة هذا القارب أجاب: إنه يأخذك في رحلة من مرفأ اليخوت حتى أبراج الكويت، ثم يعود بك.

صعدنا وسط الزحام، وقمنا برحلة طالما حلمنا بها. وبعد أن عدنا ودعت صديقتي عند المرفأ، وعدت للسير وحدي مرة أخرى.

حديقة وسط البحر

سرت من شاطيء الواجهة البحرية الى جزيرة خضراء وسط البحر، وصلت إليها عبر ممر اسمنتي طويل. كان القطار الذي يتجول بالرواد داخل الجزيرة الصناعية ينتظر المسافرين عند المدخل، فقررنا أنا وزميلي المصور، وقد أتعبنا السير الطويل، أن نركب مع الراكبين للقيام بجولة في الجزيرة الخضراء بالقطار، ومن

القاطرة التي تقلنا كانت معالم الجزيرة تتضح أكثر بتصميمها الهندسي الرائع الذي جعل من هذا المكان منتزها ممتعا في الصيف والشتاء، للصغار والكبار، ولكل الذين جاءوا يبحثون عن المتعة على الرغم من حرارة الصيف.

وبين مرتفعات ومنخفضات كان يقطعها القطار، كان صوت هدير الماء وصرخات الأطفال يصلنا مختلطا ببعض النسمات التي حركها مرور القطار فأثار رائحة الورد وعبق الزهور.

عدنا أدراجنا عبر الممر الاسمنتي الى شاطيء الواجهة البحرية، باحثين عن اكتشاف جديد. كان اتجاهنا هذه المرة إلى مجمع أحواض السباحة، وكانت رائحة الماء تبعث فينا رغبة بالسباحة والغطس، فقاومناها لأننا نؤدي عملا رسميا، منعنا أن نشارك الجميع متعتهم. كان السباحون يمارسون رياضتهم، موزعين على خمسة أحواض، الأول أولمبي المقاييس، وهو الحوض الرئيس، وآخر للغوص، يليه حوض للمبتدئين، وحوضان للأطفال.

السيد ابراهيم الهارون، مدير إدارة مجموعة الأنشطة الترويحية بشركة المشروعات السياحية، قصدناه للحديث، لكنه وجه لنا دعوة لإكمال جولتنا بين مرافق «شمس» الأخرى، قبل الخوض في التفاصيل. لم نبتعد كثيرا، فأولى الدعوات كانت الى الحدائق التي تشرف عليها الشركة، وهي ثلاث: الشعب والصباحية وجليب الشيوخ، ولأننا في مقر الشركة الملاصق لحديقة الشعب فقد بدأت الجولة من هناك.

يمكنك معرفة مساحة الحديقة منذ اللحظة التي تدخل فيها من البوابة. فمن أعلى درجات السلم تجول بنظرك في أبعادها المترامية، فلا تكاد تصل إلى نقطة النهاية، فمساحة الحديقة تصل إلى ما يقارب ٨٧٠٠٩م٢. عند الهبوط على درجات السلم، تقلك عربة يجرها حصان «البوني»، أو كما يطلق عليها في بلدان أخرى «الحنطور»، ليتجول بك في أجزاء الحديقة التي يكاد يغطي العشب الأخضر كل جزء منها بأشكال متباينة، تضفي على المكان جمالا، إذ اتخذ العشب أشكالا عديدة، كنقش الأسماء والتواريخ على الأرض بتهذيب الأعشاب وقصها.

وقد علق السيد الهارون قائلا: هنا يجد أغلب أفراد رواد المنتزه ما ينشدونه من التسلية والراحة بأسعار زهيدة جدا، وفي متناول الجميع، ليخرجوا أنفسهم من دائرة الرتابة والملل اللذين تفرضهما مشاغل الحياة اليومية، فالحديقة تشهد إقبالا كبيرا من الناس، وقد بلغ عدد رواد حديقة الشعب وحدها في عام ١٩٨٩ ما يقارب ١٧٠,٠٠٠ زائر.

ومازال البحث مستمرا

ومن حديقة الشعب اتجهنا إلى نادي الشعب المواجه لها، والذي يقطع الواجهة البحرية من الوسط، والحديقة والنادي في منطقة الشعب التي يحملان اسمها.

كان رواد النادي موزعين على الصالات المختلفة، بين متدرب يمارس العزف على آلة موسيقية وبين ممارس للرسم الزيتي، بينما جلست نساء يتعلمن الحياكة والتطريز وفن السيراميك، بإشراف مدربين متخصصين، بينما فضل بعض آخر من الناس قضاء صيفه متنقلا بين مسابح النادي المغطاة والمكشوفة، المزودة بكل احتياجات السباحين. ونادي الشعب ليس هو النادي الوحيد في الكويت الذي يفتح باب العضوية للراغبين بالاشتراك لممارسة هواياتهم، وقضاء وقت فراغهم في هذا الجو الأسري، بل هناك أربعة نواد أخرى في الكويت، تقدم الخدمات والأنشطة نفسها لأعضائها، وهي: بنيد القار، ورأس الأرض، والبدع، والمنقف.

وعاد السيد الهارون ليكمل:

من حق أي فرد في المجتمع التمتع باشتراك

سنوي عائلي في هذه الأندية، وهذا ليس مقصوراً على ناد واحد فحسب، بل يمكن للمشترك التردد على الأندية الخمسة المنتشرة في مختلف مناطق الكويت، والتمتع بكل النشاطات التي توفرها للأعضاء.

ويكمل السيد الهارون: لقد كانت هناك رغبة لدى عدد كبير من السيدات بتخصيص ناد لهن فقط، يمارسن فيه الأنشطة بعيدا عن عيون الرجال، وقد تم تخصيص نادي رأس الأرض لهن فقط ابتداء من ١ ـ ٢ ـ ١٩٨٨، وكأي تجربة جديدة، فقد حفلت بالايجابيات وبالسلبيات، ولكننا نستطيع القول بأنها تجربة حققت نجاحا ملحوظا، وقد بلغ عدد الأعضاء في السنة الأولى ٧٧٠ عضواً، وزاد العدد في العام التالي (١٩٨٩) إلى ١١٦٨ عضواً.

أحلى الجزر

واستكمالا لرحلتنا عبر مراكز الترفيه المتعددة المنتشرة على أرض الكويت، اتجهنا إلى مرفأ نادي رأس الأرض، التابع للمشروعات السياحية، استعداداً للانطلاق إلى فيلكا، المعروفة في الكويت بأنها أحلى الجزر. كان الجو على ظهر السفينة رائعا، وزادته جمالا حركة المركب، ومضى نحو فيلكا مخلفاً وراءه مدينة الكويت التي واصلت الابتعاد شيئا فشيئا بأضوائها المتلألئة، والتي أخذت تختفي كلما ابتعدت المسافة. وبينما كانت المدينة تبتعد، كان الغناء يرتفع على ظهر السفينة، إذ كان جميع الركاب يشاركون في حفل العشاء الغنائي الذي أقامته الشركة احتفاء بالناس. عندما وصلنا إلى



● يخوت «شمس» تستعد للانطلاق في رحلة بحرية



● أبناء الكويت على أحصنة المدينة الترفيهية .

فيلكا نقلتنا الحافلة الى المنتزه السياحي الذي أنشيء خصيصا لهؤلاء الذين جاءوا إلى فيلكا بحثا عن : الهدوء والجمال وشيء من التاريخ ، أجل لقد مر جيش الاسكندر الأكبر في غزوته الشرقية بفيلكا، وترك فيها آثارا تشهد بتاريخ يعود لأكثر من ٢٥٠٠ سنة مضت. ووقفنا عند مجمع الشاليهات نتأمل هندستها المتقنة، وترتيبها الذي حرصت من خلاله «شمس» على توفير كل ما قد يحتاجه الساكن من لوازم.

وبعد يوم حافل عدنا أدراجنا الى مدينة الكويت، لكن رحلة العودة كانت باليخت السريع الذي لا تستغرق رحلته أكثر من نصف ساعة. كان الجميع سعداء بالأوقات الممتعة التي قضوها بين البحر والشاطيء، وعادوا يغنون للبحر وللجمال وهم غاية في الفرح. سألت أحدهم عما إذا كان لديه فكرة أو اقتراح حول الجزيرة والشاليهات فأجاب : المكان جميل جدا، ولكن أسعار الشاليهات مرتفعة، وأعتقد أنها لا تناسب الجميع، فالصيف في الكويت طويل، وقد يحتاج بعض الناس تكرار الزيارة لكسر رتابة الصيف وحرارته، ولكن مع ارتفاع الأسعار قد يتردد الكثيرون في العودة مرة أخرى إلى «فيلكا».

وعلقت سيدة أخرى كانت تقف بجانبنا : يبدو أن الناس لا تقدر قيمة ما تقدمه الدولة من أجل إنجاح مشاريعها السياحية التي من شأنها إمتاع الناس، فقد كنا مع مجموعة من الأصدقاء نستأجر ستة شاليهات، ولا يخلو واحد منها من

● في الكويت الصيف يصبح أمتع

ومعالمها الكثيرة.

مدينة الكويت الترفيهية، في عوالمها العربي والدولي والمستقبلي، تجمع أغلب وسائل الترفيه وأجملها، فمن رحلة السندباد البحري إلى عربات جر الخيول العربية، إلى ألعاب الخوف والرعب، يمضي الوقت دون ملل أو ضجر أو شعور بالحر.

قضينا يوما جميلا، عدنا به إلى الطفولة القديمة، ثم ركبنا الحافلة لننتقل من شمال الكويت إلى أقصى جنوبها. مضينا بالحافلة التابعة «لشمس» إلى منتزه الخيران الذي شيد بعيدا عن ضجيج المدينة وزحامها، وبعيدا عن إرهاق العمل، وعلى بعد ١٠٠كيلو متر جنوب مدينة الكويت. ومع خطواتنا الأولى بعد أن تخطينا المدخل الرئيس بدأت معالم المكان تتضح، شاليهات مطلة على البحر، توحي إليك بالرقي والجمال والفخامة. حتى رواد هذا المكان كانت لهم طريقتهم الخاصة في قضاء أوقات فراغهم، فهم يجدون في السير تلك الرياضة الممتعة، وفي الجلوس في الشرفات حول أقداح الشاي والقهوة، أو في حديث الذكريات والأيام القديمة، لينتهي يومهم بعشاء فاخر على نغمات الموسيقا الهادئة. جهود «شمس» لم تنته، إنها تمتد حتى أقاصي حدود الكويت جنوبا في النويصيب، وغربا في السالمي، وشمالا في العبدلي، إذ تستقبلك الاستراحات وتودعك، مقدمة لكل مسافر ما قد يحتاجه في طريق السفر البري.

تقول سيدة كانت ترتشف كوبا من العصير البارد: المكان جميل هادىء، لكننا نود لو كانت هناك ألعاب شعبية ومسابقات خفيفة تزيد الجو متعة، وتضفي عليه لمسات من الماضي.

عدنا أخيرا إلى مقر «شمس»، نقطة الانطلاق، وكان لابد من لقاء مع السيد محمد السنعوسي، رئيس إدارة شركة المشروعات السياحية، لننقل إليه انطباعات الناس



● إذا كنت من هواة كرة السلة: فما عليك إلا الاتجاه لأندية الشباب الرياضية

عمليات التخريب التي يقوم بها بعض الرواد، عدا عن نقص أدوات المطبخ والكتابة على الجدران.

ومن بعيد، من خلف زجاج نافذة اليخت، بدت أبراج الكويت الثلاثة الشهيرة، وقد انتصبت في تناسق بديع، وكأنها خرجت من جوف الأرض لتناطح السحاب في شموخ، ولا عجب إن أصبحت هذه الأبراج رمزاً للكويت، مثلما أصبح برج ايفل رمزاً لباريس، ومثلما أصبح برج بيزا المائل رمزاً لإيطاليا.

المدينة الساحرة

إلى شمال العاصمة، في منطقة الدوحة، شيدت مدينة فنية كاملة بمساحتها الواسعة،

وشكواهم واقتراحاتهم حول مرافق «شمس». وعلق السيد السنعوسي على كل ما نقلناه إليه قائلا: الترفيه والترويح عن الناس أمران مهمان في الحياة العصرية، ودليل على رقي المجتمع، ولسنا وحدنا الذين نرعى حركة الترفيه في الكويت، فوزارة التربية بما تقدمه من أنشطة في الأندية الصيفية، وفترات النشاط الحر الذي تتيحه للطلاب في أثناء يومهم الدراسي ترويح، والبلدية وما تشيد من حدائق خضراء، وأرصفة نظيفة مشجرة، أو نصب تذكارية ترفيه، ووزارة الإعلام بما تقدم من عروض مسرحية وبرامج تلفازية وإذاعية ترفيه أيضا.

هذا عدا جهود الهيئة العامة للزراعة في تشجير المساحات الواسعة وتجميلها، مما يضفي على المكان رونقا خاصا.

وحول ما يقوله الناس عن كثرة المساحات الاسمنتية في الواجهة البحرية، وقلة الألعاب، وافتقار حديقة الشعب للمقاعد، والفروق الواضحة بين منتزهي الخيران وفيلكا يقول السيد السنعوسي: «هذه كلها اجتهادات ذوقية، أنا أتفق مع الناس أن كمية المنشآت الاسمنية كثيرة، لكن لابد أن هناك اعتبارات علمية، يعرفها المصمم والمهندس. وعلى أي حال فهي إحدى أجمل الواجهات البحرية الموجودة في العالم. أما المساحات المزروعة، فهي لخصوصية المكان ولطبيعة الجو في الكويت كافية تماما، فالواجهة البحرية، إلى جانب كونها منتزها لكل الناس، فهي تقدم لهم خدمات أخرى لمواقف السيارات، ومباني عديدة كمراكز الخدمة ومراكز المعلومات والمطاعم ونادي لليخوت. ولم تصمم لتكون مدينة ألعاب أو حديقة واسعة فحسب. أما في ما يتعلق بحديقة الشعب فنحن نخطط لجعلها حديقة ترفيهية، ومركزاً رياضيا وتجاريا، نقدم معه للرواد كل ما يحتاجونه في أثناء الوقت الذي يقضونه داخل الحديقة. وقد تم تقريبا الانتهاء من الدراسة، وسيجد طريقه إلى النور في خلال المدة القصيرة القادمة».

ويواصل السيد السنعوسي: ونحن في «شمس» على الرغم من كل ما نلقاه من هجوم نقول: يبقى إيمان الناس بضرورة الترفيه وتحملهم لمسئولية الحفاظ على كل ما يتوافر لهم من مرافق تسعدهم وتدخل البهجة على قلوبهم، ولعل هذا ما نعاني منه نحن، وكل جهاز يقدم للمواطنين خدمة سياحية أو ترفيهية، فالشواطيء لا تكون جميلة إلا بالمحافظة، والحدائق لا ينشر عبقها إلا إذا علمنا أبناءنا كيف يسقون الزهرة لا كيف يقطفونها.

الوجـه الآخـر

وكما أن شركة المشروعات السياحية وجدت لتؤدي دورها الترفيهي في المجتمع، فإن هناك مراكز متخصصة تتنوع أهدافها وتتباين، لتخدم فئات مختلفة من المجتمع، كل على حدة، فوزارة الشئون الاجتماعية والعمل تأخذ على عاتقها القيام بتقديم الترفيه والامتاع والتثقيف

● فرح ولعب ومتعة داخل حدائق الأطفال.



● قضاء وقت ممتع وسط الأقران أفضل من البقاء داخل المنزل

بإشرافها على حدائق الأطفال ومراكز الشباب والأندية الرياضية إلى جانب المقاهي الشعبية وجمعيات النفع العام، ويظهر واضحا ذلك الجزء الحيوي المهم من مجموعة الخدمات الكثيرة التي تقدمها الوزارة للمواطنين في الكويت.

كانت وجهتنا الأولى إلى حدائق الأطفال فقصدنا حديقة الشهيد علي النصار، الواقعة في منطقة الشامية، إحدى ضواحي مدينة الكويت. والتقينا بالسيدة مها العجيل، مسئولة الحديقة، وقد أخذتنا في جولة عبر أجزائها للتعرف على نشاطات الأطفال، ولرؤية الجهد المبذول هناك عن كثب، وقد بدا واضحا تنوع الأنشطة المتاحة في هذا المكان الذي يلتقي فيه الأطفال ليشارك بعضهم بعضا المتعة والتسلية والاستفادة من وقت الفراغ بشكل يناسب رغبات كل منهم.

تنوعت الأنشطة واختلفت من الرسم والموسيقا إلى ألعاب الشطرنج والبلياردو ونشاط المكتبة والصحافة والتدريب على أصول الإسعافات الأولية والتعرف على جهاز الحاسوب للاستفادة منه في حفظ المعلومات وعرض البرامج المساعدة على الدراسه وفي قسم آخر وقف بعض الأطفال يتابع إيقاع الرقصات الفلكلورية والألعاب الشعبية القديمة، بينما جلست طفلة ترسم وجه زميلتها بالخرز، وأخرى تداوي جراحا وهمية لطفلة مصابة. وخلف آلات الطباعة جلست مجموعة من الأمهات ليتعلمن شيئا يفيدهن. وأخريات كن



• مراكز الشباب هي المكان الأفضل الذي يجد فيه الشباب المتعة والفائدة

يتابعن باهتمام شرح المشرفة عن الحياكة. ومن بعيد وصلت إلى مسمعي دندنة أغنية قديمة تعزفها طفلة صغيرة على الأورغ.

وفي تعليق للسيدة مها قالت: تحرص الوزارة على تزويد هذه المراكز بالمشرفات المتخصصات، لتكون مكانا مناسبا لاستقبال الأطفال من الجنسين، (٤ - ١٠ ذكور، ٤ - ١٦ إناث)، كما تستقبل الأمهات لممارسة الأنشطة المختلفة، كتعلم الخياطة والتطريز والطباعة، وقد بلغ عدد أعضاء هذه المراكز عام ١٩٨٨ (٧٤٣٩) عضوا، منهم (٢٣١٧) من الذكور و(٥١٢٢) من الإناث. وينتقل الأطفال من الذكور بعد بلوغ أكثر من عشر سنوات إلى مركز الشباب التي تقدم لهم الخدمات نفسها في جو شبابي له خصوصية لاشك أنها مختلفة عن حدائق الأطفال والفتيات والسيدات.

اكتشاف الأبطال

تمنح الكويت الرياضة اهتماما خاصا، لما لها من فائدة على عقول الشباب وأجسامهم، وتحقيقا لهذا الاهتمام تقوم إدارة الشئون الرياضية في وزارة الشئون الاجتماعية والعمل بوضع السياسات والخطط الكفيلة بتنمية النشاط الأهلي، لما فيه من خدمة للمواطنين. وكذلك تتولى الادارة إنجاز الإجراءات اللازمة لتسجيل الهيئات الرياضية وإشهارها، والتعاون معها في ما يتعلق بتنظيم اللقاءات والدورات والاجتماعات، وإعداد الخطة السنوية لهذه الأندية، بغرض النهوض بالحركة الرياضية في الكويت، ورفع مستوى البطولة، ومسايرة الحركة الرياضية العالمية. وتتمثل الهيئات الرياضية في اللجنة الأولمبية، وهي أربعة عشر اتحادا وسبعة عشر ناديا. وقد بلغت قيمة الدعم المالي لهذه الأندية والاتحادات للعام المالي ٨٨/٨٩ مبلغ اثني عشر مليونا وثلاثمائة وأربعة وثمانين ألف دينار كويتي، وتمثل هذه المبالغ الإعانات السنوية ونفقات صيانة المنشآت ومكافآت المدربين ومصروفات الاشتراك في اللقاءات والدورات الرياضية. ويوفر كل ناد لأعضائه كل الإمكانيات ليمارسوا الألعاب



● يتنقلون من عا
إلى آخر داخل مدين
الكويت الترفيهية

الرياضية التي يفضلونها في جو تسوده الروح الرياضية العالية.

كانت لنا زيارة لنادي الكويت الرياضي، الواقع في منطقة كيفان، إحدى ضواحي مدينة الكويت. ملعب كرة القدم معد إعداداً جيداً وفيه مدرج ضخم . وهذا ما وقعت عليه عيناي عندما كنا نسير عبر ملاعب كرة الطائرة والسلة والتنس الأرضي ثم داخل صالات تنس الطاولة والاسكواش وسلاح الشيش وألعاب القوى والكاراتيه، والجودو، ومسابح الغوص والعوم وكرة الماء.

وصلنا إلى مكتب مدير النادي السيد علي الجسمي الذي استقبلنا بروح رياضية ثم قال : أعضاء النادي كثيرون، وهم جميعا يجدون هنا المتعة المفيدة التي يقضون معها وقتا طويلا خاصة في أيام الإجازات وأشهر الصيف..

مقهى من التاريخ

هناك أماكن أخرى في الكويت يقضي الناس فيها أوقات فراغهم بالمتعة والتسلية والمرح، فهناك النادي البحري الكويتي الذي يمارس فيه الأعضاء أنواعاً من الرياضة البحرية (كالتزلج على الماء وقيادة الزوارق الشراعية والسباحة بكل أنواعها . وهذه الرياضة يفوح منها عبق الماضي، لكنها ليست الشيء الوحيد المرتبط به، ففي الكويت مجموعة لا تقل عن عشرة مقاهٍ شعبية تنتشر في مناطق الكويت المختلفة، على ضفاف الخليج يجتمع فيها كثير من الناس ، في جو ودي ألفوه ، وكادوا يفتقدونه وسط الحياة العصرية الحديثة . وقد كانت فكرة إنشاء هذه المقاهي قديمة، لكنها لم تنفذ إلا في عام ١٩٧٧ كنموذج مصغر للكويت القديمة وكان إقبال الناس الشديد عليها دافعا لإنشاء كثير غيرها، فكان أول مقهى في منطقة القبلة، ثم تلاه مقهى الشرق، ثم السالمية، أبو حليفة، والصليبيخات، وديوانية الرعيل الأول المخصصة لكبار السن التي تقع داخل السوق الكبير في مدينة الكويت .

عزيزي القارئ، أنت مدعو معنا لقضاء صيف أكثر متعة هنا في الكويت □


صدر العدد الجديد
العربي الصغير
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
أغسطس
١٩٩٠
رئيس التحرير : د. محمد الرميحي
يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين
في هذا العدد
شهرة فخر النساء : مسلسل تاريخي .
همام والانتفاضة .
سلاح الشيش : تحقيق محلي .
دعوة مفتوحة لزيارة الرياض .
عثمان البهلوان : مسلسل .
الفأر الذي تزوج : قصة .
تونة وكيكو : مغامرة في منتصف الليل .
اضافة للأبواب الثابتة
اسلاميات
كمبيوتر
٨ صفحات لأخيك الصغير واختك الصغيرة
دائرة معارف العربي الصغير
نتيجة مسابقة العدد ٥٢



أمينة السعيد و أمينة شفيق

■ نحنُ صانعاتُ تحريرِ المرأةِ أساساً، وإنْ ساعدنا بعضُ الروّاد.

■ لقد حلَّ الاستهلاكُ والمالُ مكانَ العلمِ والعمَلِ في أولويّاتِ الجيلِ الحاليّ.

■ العمَل يشكّلُ المرأةَ، ويحقّقُ لها مظلّةَ أمان.

■ عددُ المشاركاتِ في مجاليَ العلمِ والعمَلِ ازداد في عقدِ الستينيّاتِ، ويتراجع في هذا العقدِ.

في عام ١٩٥٦، مع صدور أول دستور مصري بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، تقدمت أمينة السعيد، رئيس تحرير مجلة «حواء»، وعضو مجلس نقابة الصحفيين المصرية، إلى الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، تطالبه بإقرار الحقوق السياسية الكاملة للمرأة المصرية، حق الترشيح، وحق الانتخاب لكل المناصب النيابية، وقد أقرّت هذه الحقوق في ذلك العام.

وفي عام ١٩٦٦ قادت أمينة السعيد جمهرة من النساء المهتمات بالعمل العام، للتوجه إلى مجلس الأمة المصري، لمساندة مشروع حكومي، صادر من وزارة العدل لإلغاء بيت الطاعة، وأقر مجلس الأمة المشروع.

ومنذ بداية عملها الصحفي، في أواخر الثلاثينيات، تولت أمينة السعيد قيادة حركة نسائية، تطالب بإدخال تعديلات على قوانين الأسرة، حتى يكتمل تجانس الأسرة المصرية. زارت بلدانا من كل القارات، وتعرفت على شخصيات من كل الأجناس، إلا أنها لا تزال تحتفظ بقدر كبير من عواطفها للسيدة هدى شعراوي، مؤسسة أول اتحاد مصري للنساء، وأول اتحاد عام عربي للمرأة.

أجرت هذا الحوار معها أمينة شفيق المحررة بجريدة الأهرام، وهي تشغل في الوقت نفسه منصب سكرتير عام نقابة الصحفيين في مصر



*** من وجهة نظر الجيل الذي أنتمي إليه، وهو الجيل الذي اقتحم أبواب الجامعات خلال العقد الخمسيني، نرى أننا جيل أكثر نضالا من الأجيال السابقة لنا و اللاحقة، فنحن الجيل الذي عايش تطورات العقدين الخمسيني والستيني، ووقف مع كل إنجازاتها وانتكاساتها، متحملا تبعات الاثنين معا.**

- نعم أنت تمثلين جيلاً مناضلاً، لكنه نضال مختلف عن ذلك النضال الذي قاده جيلي، فأنا أنتمي إلى ذلك الجيل الذي هزّ أبواب الجامعات، وفتحها أمام المرأة المصرية أولا ثم العربية ثانيا، نحن أول من دخل الجامعة، وأول من تخرج فيها، وأول من التحق بالعمل المهني وشق الطريق فيه بين صفوف الرجال.

*** ونحن الجيل الذي فتح فروع العلم أمامه، ثم كل فروع العمل، إلا القليل منها؟**

- صحيح، ولكن لولا الهزة الأولى لما تتابعت الهزات، لقد ناضلتن ولكننا ناضلنا قبلكن، كما أننا قدمنا لكن كل المساندة المطلوبة.

*** أنتن حصلتن على مساندة رجال عظام، مثل أحمد لطفي السيد، وطه**

حسين، وقبلهما قاسم أمين، وسعد زغلول.

ـ هذا صحيح، لقد كانوا رجالا عظاما، واستمر تأثيرهم على مسيرة المرأة المصرية حتى يومنا هذا. إنني أعد فضل هؤلاء العظام ما يزال مستمراً على كل فتاة مصرية تدخل إلى المدرسة الابتدائية في أي قرية مصرية. إن فضلهم متواصل، لأنهم أحدثوا ثورة ليبرالية، هزت المجتمع، وأخرجت بناته إلى العلم والعمل.

*** ولكن هذه الثورة الليبرالية لم تخرج بالمرأة بالقدر الكافي إلى الحياة العامة، السياسية والاجتماعية.**

ـ من قال هذا، لقد خرجنا إلى العمل العام، شاركنا في المظاهرات، وشكلنا الاتحادات والنقابات، لقد قادتنا هدى شعراوي وغيرها، هل تنسين كل هذا؟! لكن العدد كان قليلا، وكان التطور يسير بخطوات لكنها لم تكن متسارعة، كدرجة تسارعها الآن، الآن أصبح الحجم أكبر، والعدد الكلي أضخم، حتى بالقياس إلى التعداد العام الوطني، ولكن لابد من أن تعترفي أن عدد النساء اللاتي يتصدين للعمل العام يقل وينكمش، في صفوف جيلي كانت نسبة المهتمات بالعمل العام إلى الحجم الكلي أعلى، والآن يصبح العكس صحيحا.





● هدى شعراوي ● طه حسين

القدرة على التحدي

*** ألا ترجعين ذلك إلى الظرف العام، وتأثيره على توجه الأجيال؟**

ـ ولماذا الظرف العام وحده وكذلك الظرف الخاص؟ أعلم أنك ستشيرين إلى الردة التي وقعنا فيها، والتي تؤثر على كل صغيرة وكبيرة في حياتنا، ولكن لابد من أن تعترفي أن لرواد أي عمل خاصية، قد تتحدد بقدرة عالية على التحدي، وبالتالي يتجسد حماسهم، فيلمعون بسرعة وبقوة.

*** أرى دائما الظرف العام عنصراً أساسياً وحيويا في تشكيل التوجه العام لأي مجموعة بشرية، مثلا خلال العقد الستيني زاد عدد المشاركات في العلم والعمل، وكذلك عدد اللاتي برزن على سطح الحياة السياسية والاجتماعية، أرجع ذلك إلى التوجه العام الذي خلقه الظرف العام، والذي يؤثر على كل واحدة منا، لم نكن رائدات، ولكننا كنا شديدات الحماس للحياة الوطنية بشكل عام، كان لدينا طموح مرتبط بالطموحات العامة المحيطة بنا، ومن هنا كان الاندفاع العام نحو الأبواب المفتوحة أمامنا.**

ـ هذا صحيح، ولكن افتقدتن خصائص الرواد الأول والتي تأتي في مقدمتها خاصية التحدي اليومي، كنا نعتمد على نداءات عامة عن تحرير المرأة، تبناها لطفي السيد، وقاسم أمين، وطه حسين، ولكننا كنا نحن صانعات هذا التحرير، من خلال التحدى اليومي الذي ذكرته لك، لذلك تأتي الظرف الخاص عنصراً حيوياً جداً.

جيل الشقاء والردة

*** ماذا عن جيلنا الراهن؟**

ـ الآن جاء جيل الشقاء والردة الذي يريد الزوج

الغنى الذي يوفر كل شيء، جيل لايريد العمل، أسميه جيل الشقاء والردة، لأنه شقي حقيقة. هنا يلعب الظرف العام دوره كاملا، أشعر بتراجع في القيم العامة، وبخاصة تلك المتعلقة بقيمة العمل والعلم، فقد استبدلت هذه القيم العظيمة بقيم المال والاستهلاك، فأصبحنا في نكبة حقيقية.

*** ألا ترجعين ذلك إلى الظرف العام في المقام الأول؟**

- نعم.

*** إذا ما أردنا العودة إلى القيم الجادة التي هي قيم العلم والعمل، لابد من أن نعدل الظرف العام حتى يعتدل ناتجه ونبته.**

- أتفق معك في هذه النقطة، ولكنني أختلف إذا ما حصرتها في الظرف العام وحده عنصر تغيير كامل، أرى أن على الرائدات والرواد أن يشنوا هجومهم على كل عناصر الشقاء والردة، حتى تتوافق الظروف العامة مع جهد الرواد والرائدات، إذا توافقت الجهود التحمت النتائج، وبات التغيير والتقدم في سباق مع الزمن.

العمل كفاح مستمر

هل ستحتفظ تلك القيم الجادة في ما يخص قيمتي العلم والعمل بالمضامين التى تربى عليها جيل الرائدات نفسها؟ هل سيكون العلم من أجل تعلية مدارك المرأة، وسيكون العمل لمجرد تحقيق دخل إضافي للأسرة؟ ألا ترين أن تعليم المرأة، ثم انخراطها في العمل، اكتسبا مضامين جديدة في مجتمع يعاني من أزمة اقتصادية عامة شاملة؟

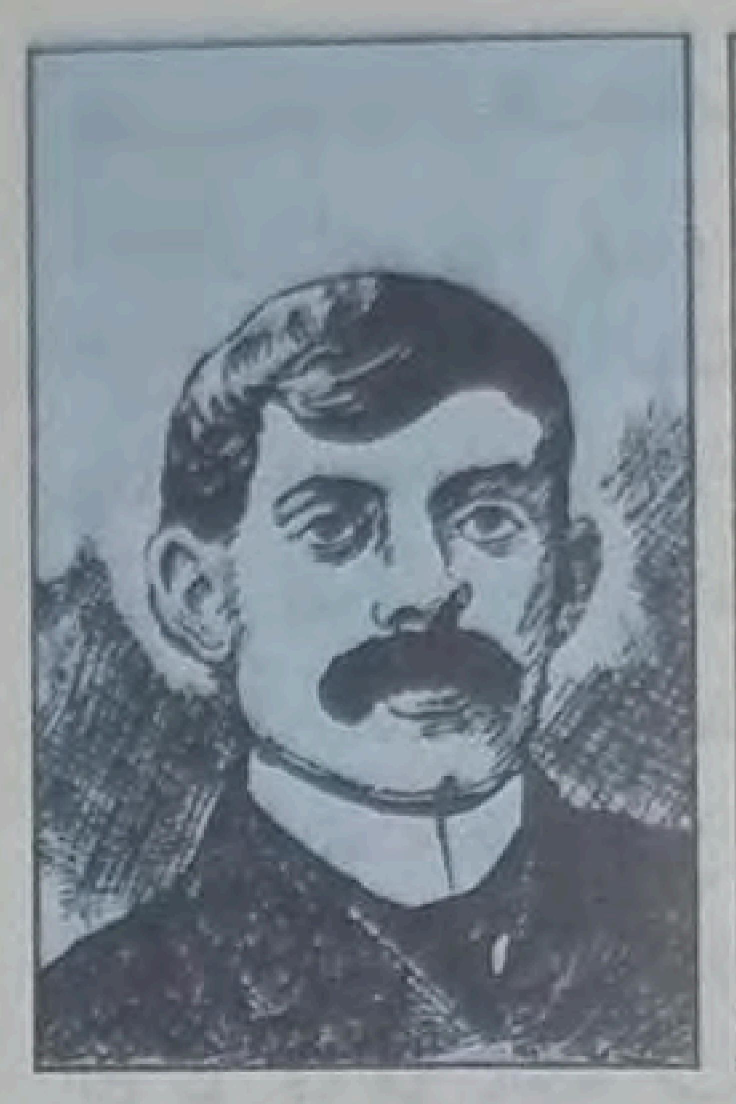
- لن نختلف كثيرا على العلم، لأن التحاق الإناث بكل فروع العلم فتح أمامهن كل فروع المعرفة والتخصصات، أما عمل المرأة فإنني أرى فيه أحد عناصر مكونات شخصية المرأة ونضجها. يضع العلم أساس تطور الإنسان، ثم يشكل العمل شخصيته ومداركه العامة والوطنية، وهذا العمل يمثل عندي عملية كفاح مستمرة.

يشكل العمل المرأة، ويحقق لها مظلة أمان لاحدود لها، فهو أولا يحقق لها دخلا تضعه في إنفاق أسرتها، وبذلك يرتفع مستوى الأطفال الاقتصادي ثم يصبح العمل بعد ذلك سندا إنسانيا للمرأة، فإذا طلقت استطاعت الحفاظ على حياتها، وإذا ترملت استطاعت الحفاظ على حياتها، وإذا مرض زوجها أو عجز عن العمل استطاعت الحفاظ على أسرتها، وفي إطار الأزمة الاقتصادية الحالية أصبح عمل المرأة ضرورة، فالأسرة العربية لم يعد يكفيها راتب واحد وهو راتب الزوج.

*** لاشك أن عمل المرأة أصبح ضرورة وطنية، لأن الجهد الإنتاجي المنظم للمرأة بات ضرورة تحتمها مواجهة التخلف، لأن بقاء غالبية النساء، في أي وطن، مستهلكات فقط، يحد القدرات الانتاجية لهذا المجتمع أو ذاك. لقد استطاعت البلدان المتقدمة الصناعية أن تعبر مرحلة التخلف، لأنها لم تشد صناعة حديثة وزراعة متطورة فحسب، وإنما لأنها استطاعت أن تتفوق بعدد المنتجين على حساب عدد المستهلكين، فشدت أعداداً كبيرة من النساء إلى العمل الإنتاجي الصناعي والزراعي المنظم، ثم**

■ يمكن للزوج أو للأب أن يلعب دورا سلبيا أو إيجابيا في حياة المرأة.







● أحمد لطفي السيد ● قاسم أمين

الخدمي . في بعض هذه الدول يرتفع عدد المنتجين إلى أن يتجاوز ٥٠٪ من التعداد العام ، وتشكل النساء العاملات النصف تقريبا من هذه النسبة ، لذلك تنخفض نسبة الإعالة للفرد الواحد ، وتزداد إنتاجية المجتمع . ونتيجة لارتفاع مستوى المعيشة قد يرتفع الاستهلاك وهو مرتفع بالفعل ، لكنه مستوى استهلاكي إنساني صحي ، يستند على قاعدة إنتاجية جيدة متنوعة .

ـ هذه إضافة ، لكنني أؤكد أكثر على أهمية العمل بالنسبة للمرأة ، لأنني أهتم كثيراً بالنساء من زاوية مصلحتهن العامة على الرغم من أنني لا أفصل بين مصلحتهن هذه ومصلحة الوطن .

اسألوني

*** ستبلغين العام الثمانين من عمرك المديد ، في يوم ٢٠ يونيو عام ١٩٩٠ ، فأنت من مواليد عام ١٩١٠ ، من هذه السنين الثمانين قضيت ٤٦ عاماً تحررين باب : «اسألوني» في مجلة المصور ، وحتى عندما كنت رئيسا لمجلس إدارة مؤسسة دار الهلال ، وكنت مسئولة عن كتابة المقال السياسي الافتتاحي للمجلة ، لم تتخلفي أسبوعا واحدا عن تحرير باب : «اسألوني» ، وكنت ولا تزالين ، تستمدين المادة التحريرية للباب من مئات الرسائل التي تصلك يوميا من مصر ومن الأقطار العربية . كم نسبة رسائل النساء إلى رسائل الرجال؟**

ـ ربما الثلث ، وفي بعض الأحيان النصف ، إن الرسائل التي تصلني يحررها نساء ورجال آباء وأزواج ، وفي بعض الأحيان يحررها شباب عاديون لم يتزوجوا ، ولم يكونوا أسراً ، وتعبر رسائل الشباب عن الأزمة الاقتصادية ، وما يترتب عليها من عدم قدرتهم على الزواج وتكوين أسرهم .

ولكنني لابد أن أسجل أن رسائل النساء كثيرا ما تعبر عن مرارة ، وهي أقل شجاعة ، أشعر أن المرأة تعيش في مذلة ، وهي دائما تطالبني بألا أذكر اسمها ، خوفا من العقاب أو الفضيحة ، ويتكرر المطلب نفسه من الرجال ، ولكن لمجرد تجنب الدعاية أو الضجيج .

وجهة نظري هي أن المذلة التي تعيشها المرأة العربية ، وكذلك الفشل الذي يلحق بها ، مردهما إلى الأب العربي والزوج العربي . لاحظت دائما أن النساء العربيات الناجحات استطعن تحقيق ما حققته ، لأنهن بنات لآباء قدموا لهن «الدفعة» الأولى ، ولأنهن زوجات لأزواج قدموا لهن المساندة في الحياة العملية ، فالأب والزوج هما سبب الفشل وسبب النجاح .

الشكل والمضمون

*** ألا ترين أن أحد أسباب فشل المرأة ، في وطننا العربي ، يكمن في أن الرائدات لم يستطعن القيام بدور قائد في المجتمع ، مثلا بعد قاسم أمين ولطفي السيد ، هل استطاعت بنات**

جيل الرائدات أن يقدمن فكرا جديدا، يكسب المزيد من الآباء والأزواج وحتى النساء لقضية تحرير المرأة؟

إن إهمال هذه القضية هو الذي جعلها تتراجع، وقد يعود سبب التراجع إلى المستوى الشخصي، إلى الأب أو الزوج، أو إليهما معا، وعلى المستوى الاجتماعي العام، فلا بد من الاعتراف بأن سبب هذا التراجع يعود إلى الرائدات من جيلك، وإلى المناضلات من جيلي، فقد حقق كل من جيلك وجيلي بعض النجاح، والتقيا، وأصبحنا متفرجات إلى أن حدثت الردة، وبدأنا البكاء والعويل، لقد شاركنا في صنع الردة، لأن جيل الرائدات توقف عن التحدي، وجيل المناضلات أوقف نضاله، لقد استسلمنا وفرحنا ورجعنا بالشكل دون المضمون.

وزيرة تحت السلاح!

*** ما رأيك في تولي المرأة العاملة منصب وزيرة للشئون الاجتماعية، أو أن تتولى امرأة وزارة واحدة محددة، بحيث يكون لدينا دائما وزيرة واحدة في وزارة واحدة وفي وزارة الشئون الاجتماعية؟**

- أراه انتصاراً للمرأة، ولكنه ليس انتصاراً حقيقياً.

فالانتصار الحقيقي يتحقق عندما تتولى إحدى المدرسات وزارة التربية والتعليم، وعندما تتولى إعلامية وزارة الاعلام، وعندما تتولى طبيبة وزارة الصحة، بمعنى أن تخرج المرأة حسب التعبير الذي تستخدمه «من تحت السلاح»، وتتولى منصبا وزاريا يكمل مجرى حياتها المهني. تبدأ طبيبة وتنتهي وزيرة صحة، وهكذا.

لقد كان الانتصار الحقيقي للمرأة العربية في مصر يوم أن تولت سامية صادق منصب رئيس للتلفاز المصري، ويوم أن توليت أنا الصحفية التي بدأت حياتها المهنية محررة في دار الهلال، وكاتبة لباب اجتماعي هو «اسألوني» فمنصب رئيس لمجلس إدارة دار صحيفة تصدر ١٣ مطبوعاً، هذا هو الانتصار الحقيقي الذي تحققه المرأة العاملة عبر سني نضالها المهني التي هي مجرى حياتها، ولكننا في بعض الأحيان نتصور أن كل ما هو ناجح صحيح. الشيء الناجح قد ينجح فترة، لكن الصحيح هو الصحيح الدائم الحق.

لكن لابد أن نسجل أن هذا الانتصار قد يكون مقبولا في البداية، لكنه لابد أن يخضع للتطور، ولما هو لصالح الوطن والمرأة.

*** هذا صحيح، فوصول المرأة الى مراكز صنع القرار السياسي والتنفيذي انتصار عظيم لها، ولكن أليس من الأفضل أن تستند هذه المناصب على قاعدة من النساء العاملات، المنتشرات في كل موضع، وفي كل مرفق؟ بمعنى أنني افضل ـ لو خيرت ـ أن أجد المرأة العاملة تخترق المواقع الإدارية والتنفيذية الدنيا والوسطى بإعداد تتناسب مع عدد سني عملها وعددها ونسبتها إلى عدد القوى العاملة.**

- أفضل وجود عدد من وكيلات الوزارة والمديرات العموميات في عدة مؤسسات وعدد من الوزارات، على وجود وزيرة في وزارة الشئون الاجتماعية والتأمينات، لأن وجود أعداد من النساء العاملات في تلك المواقع التنفيذية سيدفع بهن إلى المواقع الوزارية الطبيعية التي يصبح الوصول إليها بسبب الكفاءة والخبرة وليس لمجرد كون المعينة فيها امرأة.

اكملت بالسؤال: ألا تعدين هذه الخبرات التي مرت بها المرأة المصرية

دروسا مفيدة للمرأة العربية في كل قطر؟

- نعم ويمكن استخلاص التجارب التالية:

أولا: لابد من الاهتمام بالقاعدة العامة التي تتحرك على أساسها المرأة، فقضية المرأة لايمكن أن تحل إذا ما توافرت الفرص الكاملة لرموزها، وإنما عندما تتحقق الفرص الكاملة لجموع النساء.

ثانيا: إن اتساع هذه القاعدة وصعودها إلى مراكز القرار السياسي والتنفيذي تعد الانتصار الحقيقي للمرأة.

*** في مصر، وعلى الرغم من الردة لابد وأن نعمل من أجل تحقيق التمثيل العددي للمرأة في تلك المراكز بعد أن اكتفينا مدة طويلة بالتمثيل الرمزي.**

- كل ذلك صحيح، ولكن ينقصه حقيقة أن نبدأ مرحلة تحدٍّ جديدة، لفتح معارك جديدة، تتلاءم أهدافها مع حجم التحديات الوطنية والقومية العامة، فلم نعد في حاجة اليوم إلى المطالبة بحق التعليم والعمل فحسب، وإنما لابد أن نرفع شعار المشاركة الكاملة، فنحن نمثل نصف المجموعة الإنسانية العربية، في كل قطر عربي، تمثل المرأة نصف التعداد، لقد آن الأوان لكي نشارك في كل المؤسسات، فلم يعد يكفي أن نستهلك نصف ما يستهلكه الوطن، وإنما لابد أن نطالب بالمشاركة في صنع نصف خبراته، وهو شعار عادل، يحملنا مسئوليات كبيرة، سواء كنا من جيل الرائدات أو من جيل المناضلات، فالمهم أن تتضافر الجهود، من أجل إنقاذ المرأة، حتى تنقذ صورة الوطن ومستقبله.

*** هل تتصورين إمكانية البدء في شن الهجوم على الرغم من حجم التضحيات المتوقعة؟**

أظن، نعم. □



قراءة نقدية في أعمال إسماعيل قادري

هاجسٌ للحرب وهاجسٌ للمقاومة

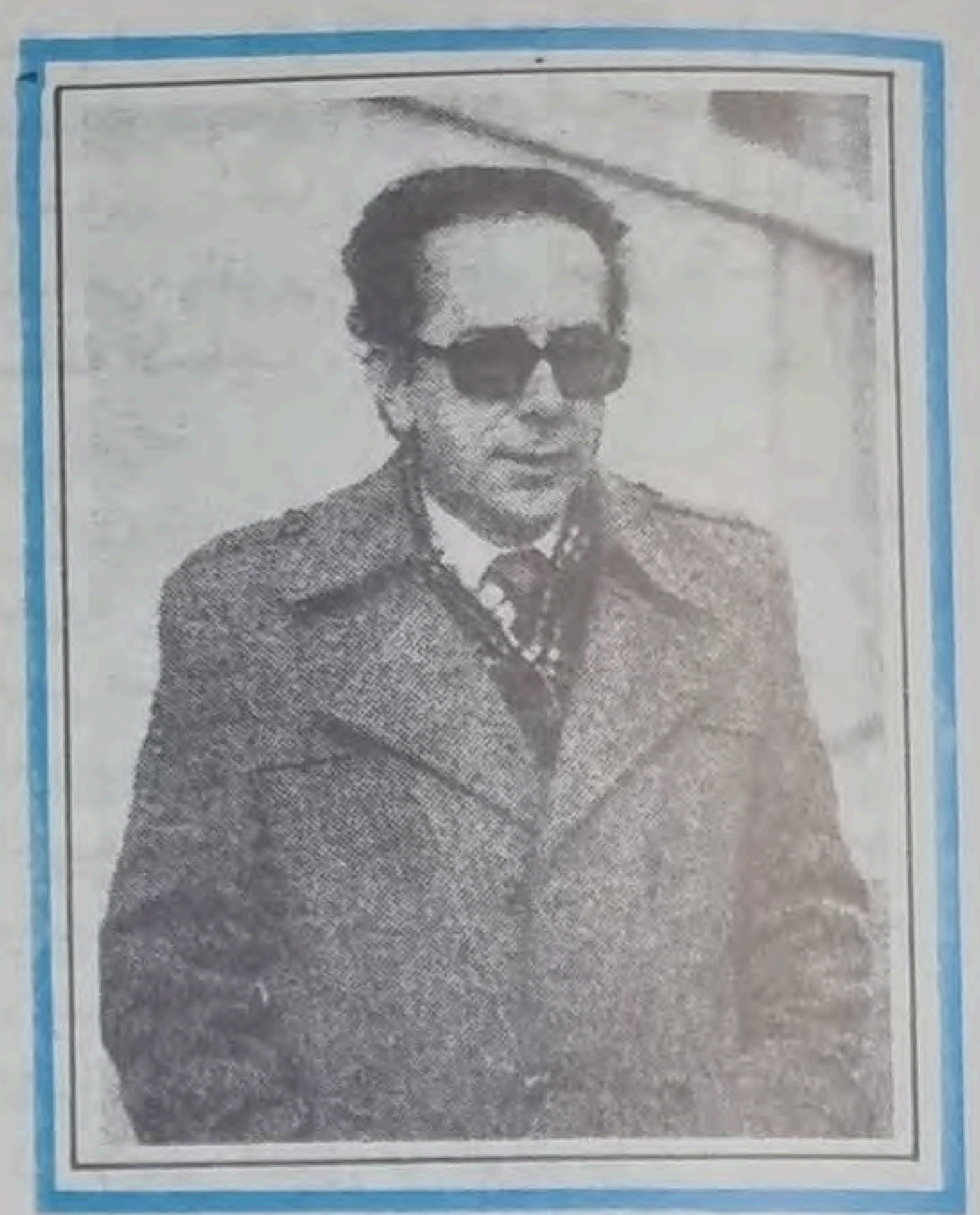
بقلم : وليد أبو بكر

على الرغم من أن البانيا ، مساحة وسكاناً ، من صغرى البلدان الأوربية ، فإن اسم أديبها ، اسماعيل قادري ، يتكرر طرحه كل عام ، في أثناء الترشيحات لنيل جائزة نوبل في الآداب .

فما مميزات أدب هذا الأديب ؟ وما موضوعاته الأثيرة ؟

قد تكون رواية « قصة مدينة الحجر » هي أحب الأعمال الى قلب مؤلفها ، الشاعر الكاتب الألباني المعروف اسماعيل قادري ، لأنها الرواية التي اغترفت من ذكريات الطفولة التي عاشها الكاتب ، وسط آلام الحرب العالمية الثانية ، وهي تحط على المدينة الصغيرة الحبيبة إلى قلبه التي استباحتها مرة بعد أخرى الجيوش المتحاربة ، فتناوب عليها المحاربون الايطاليون واليونانيون والالمان ، في سلسلة من الاحتلال ، والاحتلال المضاد . وكانت المدينة ومن فيها على وجه الخصوص ، ضحايا حقيقيين لها .

مع ذلك ، قد لا تكون هذه الرواية التي نشرت عام ١٩٧١ ، أهم أعمال الكاتب الوحيد الذي عرف على المستوى العالمي بين كتاب بلاده . كما أنها لم تكن الرواية التي قدمته إلى العالم (بعد شعره) ، وإن كانت قادرة ، ككل أعماله الأخرى ، أن تكشف عن هاجسه وهو يكتب ، وفي ذهنه أمران : أولهما هاجس الحروب التي تعرضت لها بلاده ، منذ الاحتلال التركي الطويل ، حتى الحرب العالمية الاخيرة . والامر الثاني هاجس الصمود والمقاومة في زمن الاحتلال ، من أجل البناء في المستقبل . وقد ظل هذان الهاجسان يشغلان حيزا أساسا من أعمال الكاتب الروائية ، سواء أخذ مادته الروائية من أحداث عاصرها ، أو رجع إلى أحداث معروفة في التاريخ ، وأعاد صياغتها روائيا . وفي كل الحالات ، كان الواقع الذي يعيشه مجتمعه ، هو المحرك الأساس لعمله الروائي ، ومن هذا الواقع خرج الكاتب بكل مقولاته التى أراد أن يعبر عنها في كتاباته ، بعد أن اعطاها قوة المعاصرة المؤثرة ، وغير المنفصلة عن الواقع التراثي في الوقت نفسه .



● اسماعيل قادري

وإذا كانت (قصة مدينة الحجر) لاتنم عن الخصوصية التي تميز بها أسلوب الكاتب ، في روايات سبقتها ، وروايات جاءت بعدها ، فإن ملامح هذه الخصوصية لاتغيب عنها ، خاصة في بساطة السرد الروائي ، وتحليل الواقع الاجتماعي ، وقناعاته الغيبية ، وتلمس روح الوحدة والمقاومة ، على الرغم من قسوة الظروف . لكن كل هذه السمات جاءت موزعة في الرواية ، محكومة بتزاحم ذكريات طفل ، (كان الكاتب في الثالثة من عمره حين بدأت الحرب) ، حتى يرسم لوحة واسعة التفاصيل لمدينة تستباح مرة بعد أخرى .

هي في ظاهرها مدينة حجرية ، تبدو مثل جدار صدفي ، يحيط بما في داخلها ، لكن الداخل لحم حي ، والحرب حين تجيء تحرق هذا اللحم الحي ، أو تشرده خارج قوقعته الحجرية ، والراوي صبي ، يرى ويتفاعل ؛ يخاف ويغضب ، يتحرك ويختفي ، ويحلم بالقوة ، ثم يقرر أن يصبح جزءا من شعب يقاوم .

الرواية مكتوبة بأسلوب واقعي مباشر ، غريب عن أسلوب الكاتب في أعماله الأخرى ، وكأن هدفه الأساس كان أن يتقن تفاصيل الصورة ، كما وعتها ذاكرته ، لدرجة أن الإحساس بتكامل هذه التفاصيل مجتمعه لا يكون كبيرا ، خاصة حين تكون السلبية هي ردة الفعل تجاه الاحتلال ، في معظم أحداث الرواية ، فالمجتمع يبقى متفرجا إلى حد بعيد ، وهو يعيش قناعاته وغيبياته ؛ يؤمن بالرصد والسحر ، ويقتل الصبية التي تقع في الحب حتى إن جاء ذلك في لحظة ضعف إنسانية . داخل ملجأ غير محصن ، تقذفه الطائرات بحممها القاتلة ، لدرجة أن الحياة الإنسانية داخل هذه المدينة الحجرية ، تبدو منفصلة عن الحرب التي تستبيحها ، وتحمل معها ما يحطم القناعات والتماسك ، حتى على المستوى الاجتماعي ، حين تفتح البيوت العامة التي يرتادها بعض شباب المدينة ، فينتهي متعاونا مع كل محتل ، ثم ينهيه المؤلف ، مقتولا على أيدي المقاومة التي برزت آثارها الواقعية متأخرة جدا ، وكأنها مرتبطة بنمو وعي الراوي ، المرتبط بسنه .

الوفاء « بالبيسا »

لكن الأسطورة تعود لتمتلك حياتها المستمرة بقوة في رواية أخرى للكاتب ، نشرها عام ١٩٨٠ بعنوان : « من أعاد دورونتين » ، وحقق فيها قفزة فنية كبيرة ، على مستوى البناء ، ومستوى اللغة ، ومستوى القراءة أيضا .

هذه الأسطورة تولد من وسط التراث ، وتنمو ، وتحمل فكرها المعاصر ، على الرغم من كل الصراعات التي تدور حولها ، وضدها على وجه الخصوص في زمن الأحداث في الرواية كما في الزمن الحالي الذى توحي به الرواية أيضا .

الرواية تحافظ على الأسلوب الساخر الذي يعد من خصوصيات الكاتب ، كما تعتمد وجهة النظر السلبية التي تروي ، لكنها تتحول هذه

المرة ، في اللحظة الحاسمة ، لتتبنى ماطبع عليه المجتمع من قناعات ، تصلح أن تكون أساسا يستند إليه ، ويوظفه من أجل المستقبل ، وهو يتمثل بتقليد الوفاء بالوعد « البيسا » ، حتى وإن حاول الموت أن يحول دون تحقيقه .

وتعني « البيسا » أن يعد الإنسان بالقيام بشيء ، وسوف يكون عارا كبيرا عليه ، وعلى عائلته ، إذا لم يفعل . إنها نوع من الالتزام الذي لايجوز التخلي عنه ، مهما كانت العقبات . والعقبة في الرواية هي موت من وعد ، ومع ذلك فإن محصلة الرواية تجعل صاحب الوعد لايفي به وحسب ، وإنما يعيد صياغة « البيسا » ، لتصبح نوعا من المبدأ المتجدد الذي يؤمن به المجتمع ويلتزم به .

وإذا كانت هذه الرواية لاتذهب إلى الحرب لاختيار مادتها ، كما تفعل الروايات الأخرى ، فإن الحرب هي التي تخلق الأحداث فيها عن بعد ، وهي حرب قديمة ، كان جيش العدو فيها مصابا بالطاعون ، لذلك حمل العدوى من لم يمت في الحرب ، ومات بعدها .

أما احداث الرواية فهي تغوص في أعماق المجتمع ، لتخرج منه بخلاصة فكره الإيجابي ، حتى تؤكده ، وسط صراع الأفكار التي جاءت إلى المجتمع من خارجه ، وهي تاريخيا حول الصراع الذي كان يدور بعنف بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الارثوذوكسية ، وهو صراع لايهم المجتمع ، لذلك يؤكد فكرته التي ولدت فيه ، ويحولها إلى قناعة خاصة ، تعلو فوق كل الصراعات وتبدأ انتشارها السريع .

ومن أجل إبراز هذه الفكرة ، لجأ الكاتب إلى التعمق في التقاليد ، والأعراف ، والقناعات ، والصراعات التي تقوم بينها ، ولم يكتف بتصوير ذلك ، كما فعل في روايته الأخرى (خاصة في موضوع استخدام السحر) ، وإنما وظفها لإعلاء شأن الفكرة ، وتنقيتها ، حتى تتحول إلى نوع من الإيمان ، أفرزه المجتمع نفسه ، وصار ممكنا أن يستمر فيه . وكل ذلك وضعه الكاتب في إطار حكاية بسيطة ، سهلة في أسلوبها ، مليئة بالتشويق ، لكنها توصل مقولتها بقوة مدوية ، فتفاجيء القاريء بالعمق الذي يكمن تحت بساطة الأسلوب ، وبذلك تقدم له مستوى آخر من القراءة .

دورونتين شابة جميلة في بلدها ، من عائلة معروفة ، يتمنى كل الشباب أن تكون لهم ، بمن فيهم ضابط المخفر ، لكن قدر الشابة كان أن تتزوج غريبة ، في مكان بعيد جدا ، مما أحزن الجميع ، خاصة والدتها التي لم توافق إلا حين وعد واحد من إخوة الفتاة التسعة ، وهو « قسطنطين » ، بأن يعيدها إلى والدتها حين تشتاق إليها ، وبذلك التزم « بالبيسا » التقليدية التي لايمكن التخلي عن الوفاء بها .

لكن الإخوة التسعة ماتوا في الحرب والطاعون خلال بضعة أيام ، ففقد المنزل كل رجاله ، وتحول إلى خراب ، تعيش فيه أم حزينة ، تبكي أولادها ، وتحن إلى ابنتها البعيدة . وحين تطرق البنت باب المنزل في الليل ، وتسأل عن الذي أعادها تقول : إنه « قسطنطين » ، وتصر على ذلك ، وتمرض هي وأمها وتموتان ، ويبقى أمر العودة سرا يكتنفه كثير من الغموض . وكان يمكن للمسألة أن تمر ، لولا ما نشرته من أقاويل صارت حديث الناس ، حول قيام الأخ الذي مات من قبره ، حتى يفي بوعده . لكن هذه الاقاويل تشكل خطرا كبيرا ، يمكن استغلاله في الصراع الديني القائم ، ولذلك يكلف الضابط بمتابعة القضية ، والكشف عن الرجل الذي أعاد الفتاة ، حسما لهذه الأقاويل .

حين يبدأ الضابط عمله ، تكون لديه قناعة ، تهزه من الداخل ، هي أن الفتاة التي أحبها ، عادت مع عشيق . وكان يهمه أن يكشف عن هذا العشيق ، ويعاقبه . لكن قناعة الناس كانت مختلفة ، لأنهم تصوروا أن « البيسا » التي يؤمنون بها هي التي قادت الميت للوفاء بوعده ، وكان على

الضابط أن يحارب هذه الفكرة التي أخذت تنتشر وتجمع حولها الأنصار ، وتتحول بالتدريج إلى نوع من الأسطورة التي تروى شعرا ، وتروى غناء ونواحا في المناسبات الحزينة .

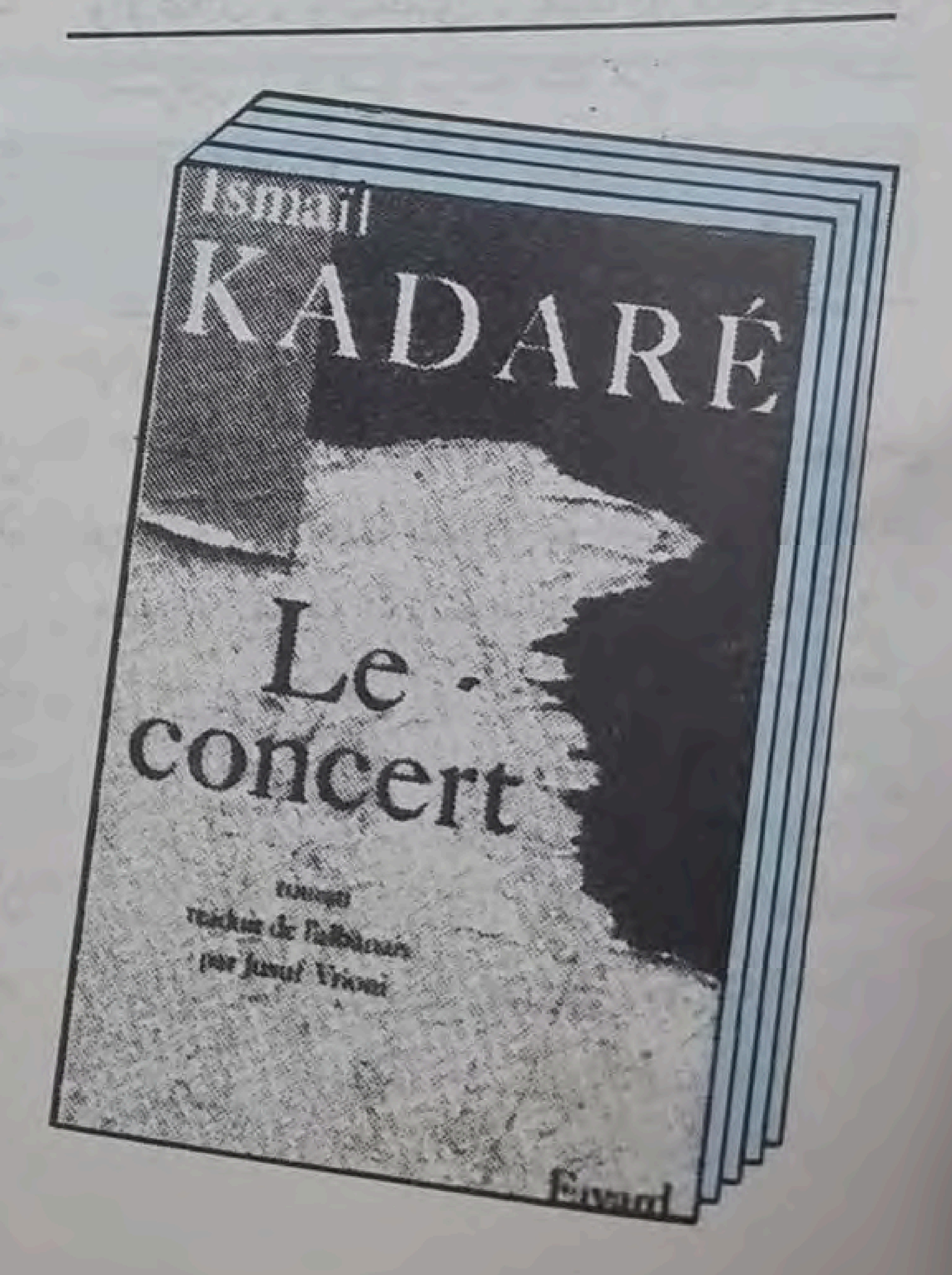
يبدأ الضابط من الفتاة قبل وفاتها ، فتؤكد له ما قالته لأمها ، فيشك بأن الشاب (الذي يغطيه التراب) زعم أنه أخوها ، فجاءت معه ، دون أن تتأكد من ملامحه في الليالي المتصلة التي قطعت فيها الطريق . ولأن الكنيسة تضغط عليه ، والقاضي يضغط عليه ، وحبه القديم يضغط ، والفكرة التي تنتشر تتحول إلى خطر ، فإنه يحاول بكل الطرق ، لكن محاولاته تقوده إلى التيه ، فكل الفنادق والمراكز والناس في الطرق ، لم تشاهد فارسا يعلوه الغبار ، يردف وراءه صبية . ومرض الفتاة وأمها ، وحجارة القبر التي تحركت ، زادا قناعات الناس . والرسل الذين جاءوا من طرف الزوج البعيد أكدوا أن الفتاة تركت لزوجها رسالة ، تؤكد أنها راحلة مع أخيها . ويستمر الغموض خلال الرواية ، وهي تبحث عن الفارس المجهول ، لكن دون أن تتجه إلى الخداع ، أو تدخل القاريء في شيء من الغيبية ، حتى وهي تتوسع ، لتوضح معنى « البيسا » وتعمقه ، وتحوله إلى فكر ، يحمله أصدقاء الأخ الميت ، ويلتفون حوله ، ويعملون على نشره ، خاصة حين يحاورهم الضابط ، بعد أن اتجه ذهنه إلى أن واحدا من هؤلاء الأصدقاء هو الذي وفي بوعد صديقه ، وإن كان ذلك لايفسر مرض الفتاة وأمها ووفاتهما .

مستوى جديد من الدهشة

وحين يتم اكتشاف الفارس العشيق ، لايكون الأمر مفاجئا ، فعلى الرغم من الغموض والتشويق لا يخطر بذهن القاريء أبدا أن الميت قام من قبره ، والفارس وجد مصابا بالحمى ، يخرف باسم فتاته ، وبالمغامرة التي قام بها . ولان بلاغ الضابط وصل إلى كل الناس ، فقد اكتشف الفارس ، واقتيد إلى الضابط ، واعترف ، ومع هذا الاعتراف يبدأ مستوى جديد من الدهشة ، لتصل الرواية إلى مستوى جديد في دلالتها النهائية .

قد يتساءل القاريء ، بعد وفاة الفتاة وأمها : ما الذى بقي من الحكاية ؟ لكن الرواية تفاجئه بالبحث عن الفارس ، بالتشويق الذي يفتح آفاقا جديدة . وعندما يعترف الفارس الغريب بما قام به ، ويصفه خطوة خطوة ، بما يتفق مع الأحداث السابقة ، يقفز تساؤ ل جديد : ماذا بقي أمام الرواية أن تقول ؟

إن قدرة الكاتب على أن يبدأ من جديد ، بعد ان أوحى بنهاية للأحداث هي إحدى سمات روايته ، وحين يرى الفارس الغريب ما حدث ، يضيف جديدا إلى أحداث الرواية ، ويفسر ما غمض منها : إنه بائع جوال ، التقى بها أمام منزلها ، مرة بعد مرة ، حتى أغراها بالرحيل معه ، ولأن وعد أخيها ما يزال في ذهنها ، كتبت رسالة سريعة إلى زوجها ، وطافت مع الفارس (الذي انتشلها من الملل) أياما وليالي رائعة . وفي الطريق عرفت مأساة أسرتها ، واتفقت مع الفارس أن تزعم أنها عادت مع أخيها (انقاذا



لسمعتها) ، وبعد أن وضعها أمام المنزل (وقد شاهدته والدتها) اتجه إلى المقبرة ، وحرك حجارة القبر للإيهام .

اعتراف الفارس يشكل النهاية الطبيعية التي يتوقعها القارىء ، وتتوقعها السلطات المدنية والدينية معا . ولو لم يعترف لكان من حق الضابط أن يرسله إلى التعذيب ، لكن المفاجأة كانت أنه فعل ، فأوحت الرواية بأن الغيرة هي التي تدفعه إلى ذلك ، وأن العذاب الذي تحمله في البحث يطالب بانتقام . لكن المحصلة لم تكن كذلك قط ، واليوم الموعود كان يحمل مفاجأة جديدة .

كان المسؤولون الدينيون والمدنيون (الذين ارتاحت خواطرهم) قد تجمعوا لسماع تقرير الضابط حول ما حدث . كان يومامشهودا ، لم يتسع فيه المكان الواسع لكل من حضر ، فصارت أحداثه تنقل من صف إلى آخر ، عن طريق رسل تشكلوا عفويا . وجاءت الصورة في لحظتها الحاسمة مذهلة . قال الضابط دون تردد : قسطنطين هو الذي أعاد دوروندين ، والفارس الغريب كذب ، خوفا من العقاب ، وحين عوقب قال الصدق : إنه لا يعرف الفتاة ، ولم يحملها معه ، وقد سمع قصتها ، فقال ما سمع .

لم تعد الفكرة تنتقل همساً ، صارت رسالة يتناقلها الناس بوضوح ، لم تعد « البيسا » عرفا ، صارت قناعة ، صارت مبدأ ، صارت واجبا على الإنسان أن يلتزم به ، حتى وإن كان ميتا .

و « البيسا » هي الفكر الذي ولد داخل المجتمع ، هي الفكر الأصيل الذي يجب أن يكون ثابتا أمام أي فكر يحاول زعزعته « البيسا » هي مقاومة هذا المجتمع للصراع الذي يدور حوله ، دون أن تكون له علاقة به ، لأنه صراع بين قوى خارجية ، داخل هذا المجتمع .

الحقيقة هي غير ما قاله الضابط ، لأن اعتراف الفارس الغريب كان حقيقيا ، وهو الأمر المنطقي المبرر ، في الحدث كله . فما الذي حدا بالضابط (الذى كان متحمسا في بحثه) إلى اختيار ما هو غير حقيقي ، ومواجهة مختلف القُوى التي عرفت غيره ، وكانت تنتظر أن تعلن ، حتى تطمئن إلى مواقعها ؟

إنها القيمة الحقيقية (للبيسا) التي اكتشفها الضابط خلال بحثه ، خاصة وهو يحتك بأصدقاء الأخ الذي مات . لقد اكتشف أنها وطنية ، تجمع الناس حولها ، وتصلح لمجتمع أفرزها ، أن تكون قناعة وشرفا ، كما تصلح بأن تكون فكرا اجتماعيا محليا ، يقف صامدا في وجه الأفكار المتصارعة . وقد أكدت وفاة الأخ قوة « البيسا » عرفاً اجتماعيا قابلا للتبني وللتطوير ، وأن المجتمع ، حين يموت فرد منه ، يظل قادرا على أن يفي بوعد قطعه على نفسه ، لأن « البيسا » تتحدى الموت نفسه .

وكان الضابط ، وهو يعلن الموقف الذي اختاره عن قناعة ، يعرف أنه سيتحدى قُوى مسيطرة ، لكنه كان واثقا من قوة من معه ، لأن الفكرة التي ولدت في المجتمع كبرت فيه ، وصارت جزءا من تراثه الشعبي ، ووجدت من يتبناها ، لذلك ملك الجرأة على الاختيار ، والإعلان ، والتحدي ، يقوده إلى ذلك إحساس بشرفين : أولهما تبرئة فتاة من بلده ، أحبها بعمق ، من تهمة الخيانة (وهي لم تكن ترغب في زواج الغربة أصلا) ، وثانيهما هو تأكيد هذه القيمة الوطنية التي تستحق أن تبقى ، مهما بذل لأجلها من ثمن .

وفكرة « البيسا » في الرواية أكبر حجما من وعد ، إنها تملك القدرة على التوسع ، لتحمل معنى « المقاومة الذاتية » التي يستطيع المجتمع أن يواجه بواسطتها أي قوى خارجية ضاغطة . وبهذا المعنى ، فإن المعنى الدلالي للرواية ككل ، لا يخرج عما طرح الكاتب في رواياته الأخرى ، حول فكرة المقاومة ، وإن اختلفت مادة هذه الرواية عن غيرها ، بغياب أحداث الحرب ،

حتى إن كانت الهاجس الذي حرك الاحداث الاجتماعية الاخرى .

الغوص في أعماق المجتمع

مادة الروايات الأخرى تكاد تكون جاهزة لدى الكاتب ، فقد دارت حول أحداث شاهدها ، أو قرأ عنها ، أو سمع ، أما في (مَنْ أعاد دورونتين) فقد احتاج إلى نظرة عميقة ، تغوص في أعماق المجتمع ، لتأخذ منه فكرة تعد معروفة فيه ، وتعيد تأكيدها ، لتصبح فكرة مستقبلية . وقد بنى روايته حول أحداث غاية في البساطة ، مال التشويق فيها إلى الشكل « البوليسي » ، حتى وصل إلى أفكار غاية في العمق والمعاصرة ، وبذلك استطاع أن يحقق قفزة جديدة في فنه الروائي ، مختلفا عما حققه في روايته الشهيرة : (جنرال الجيش الميت) ، لكنها تطاولها في العمق الذي تصل إليه من خلال بناء فني جديد ، يؤكد أن البساطة ليست نقيضا للعمق ، وأن حياة الناس اليومية ، وقناعاتهم المتوارثة ، يمكنها أن تشكل مادة أساسا لرواية ناجحة ، إذا أحسن الكاتب الفهم والاختيار والتعبير .

ولا شك أن اسماعيل قادري قد عايش مجتمعه جيدا ، بمعرفة تاريخه من ناحية ، ومعرفة دقائق علاقاته من ناحية أخرى ، وحين انطلق من هذه المعرفة المحلية استطاع أن يوصل حساسيته إلى العالم ، من خلال مجموعة من الأعمال ، فغير التي ذكرت له روايتان : (العرس) و (شتاء الوحدة الكبرى) ، وله دواوين شعرية : (أشعار الشباب - أحلام - القرن الذي أعيشه - بم تفكر هذه الجبال - مواضيع فنية مع الشمس - مختارات شعرية) ، وله دراسات نقدية عديدة ، ومجموعة من البحوث الاجتماعية .

لقد فهم اسماعيل قادري مجتمعه ، ففهم العالم جيدا ، وتواصل معه ، ومن خلال ابتسامته أطل عليه يقول :

هذا العالم صار كهلا
الشعر الأشعث يملأ وجهه
وهناك أمور كثيرة
لابد وأن يتم إنجازها
حتى تتم تنقيته من شوائبه
ليبعث خالص النقاء . □

تعداد سكاني في الكويت

● بلغ عدد سكان الكويت بموجب تعداد عام ١٩٨٩ ، مليونين و١٤ ألفا و١٣٥ نسمة ، منهم ٥٥٠ ألف كويتي يمثلون نسبة ٢٧,٣٪ من اجمالي عدد السكان ، والباقون من الوافدين .

وقال وزير الدولة السابق لشؤون مجلس الوزراء في الكويت راشد عبدالعزيز الراشد : « ان اجمالي قوة العمل في الكويت بالقطاعين الحكومي والخاص تبلغ ٨٥٣,٩٥٥ نسمة بنسبة ٤٢,٤٪ من اجمالي عدد السكان ، ويبلغ الكويتيون منهم ١١٥,٩٢٨ نسمة بنسبة ١٣,٦٪ من اجمالي قوة العمل . »



● راشد عبدالعزيز الراشد



شارب الرجل ولحيته

يدلان على نفسيته

بقلم : سمير عبده *

اختلف الباحثون منذ زمن قديم حول مظهر الإنسان وجوهره . أغلبيتهم أكدت أن هناك اختلافا كبيرا بين هذا وذاك ، وبعضهم ذهب إلى أنه لافرق بين الاثنين .

والسؤال هنا : هل بعض مظاهر الإنسان من لحية وشوارب لها معنى واعتبار في حياته ؟ وكيف نظر القدماء إلى هذا الأمر ؟

إذا كانت نظرية عالم النفس الايطالي (لمبروزو) ، حول (المجرم بالولادة) ، قد نقضت ، وأصبحت من «كلاسيكيات» علم النفس ، فإن هذا العلم أخذ كثيرا بنظرية الهيئة الجسمية وتزييناتها وما ترمي إليه من دلالات نفسية لصاحبها .

فكل سمة من سمات الرجل تكشف عن خاصية من خصائصه ، كأخلاقه ، ونواياه ، وأطماعه ، ومهنته ، ومركزه الاجتماعي . بيد أن بعض الناس يعد الشارب أهم خاصية تكشف عن صاحبها . فكما يكون الرجل تكون طريقته في حلق شاربه أو في إبقائه كما هو .

* كاتب وباحث من القطر العربي السوري .

وهذا الشارب وهذه اللحية يبدوان شيئين طبيعيين في الإنسان دون أن يعيرهما الانتباه ، وقد جعلهما بعض الناس ، أداة من أدوات فن الفراسة الذي يقصر على السمات والملامح ، بل إن (كرتشمر) يضع أساسا لمدرسته النفسية في الآتي (عندما نستطيع أن نجد العلاقة القانونية بين نماذج الجسم ونماذج النفس ، نكون قد وضعنا الأساس لعلم البنية والمزاج) . أما الطريق التي رسمها لأبحاثه فهي أن يقيس ويشاهد ، (فالشكل) و (الوظيفة) ليسا ضدين ، ولايوجد شيء في الجسم لانهتم به ، حتى أن كل شعرة في الجسد لها مغزى وأهمية كبيرة .

وإذا كان الشارب مفتاح الشخصية فإن أولئك الذين يحلقون شواربهم يخفون عنا كثيرا من نواحي شخصياتهم ، ويتركوننا في حيرة من أمرهم المخبوء ، حتى أن بعضهم ، عدَّ المرأة لغزاً لايفهم ، وطلسما لايحل ، لأنها خلقت بغير شارب أو لحية .

اللحى والشوارب منذ القدم

كان الرجل في قديم الزمن مسترسل شعرالرأس والشارب والذقن ، لأنه لم يكن يعرف الموسى ، فلما صلحت حاله وتقدم خطوات في سبيل تنعمه ورفاهيته ، أصلح من شأن شعره ، لكنه لم يجرؤ على مسه ، لأنه عده مقدساً ، يجب ألا يناله قص أو حلق .

وبقي الرجل متعلقا بهذه الأمور دون تغير في مجرى حياته ، ولا في التأثير على رقيه وتقدمه ، متطلعا إلى شعر الوجه ، ولاسيما اللحية بتبجيل واحترام ، إلى أن حدثت أحداث ، وتطورت أمور ، جعلت لكل شعب أو إنسان ميزة خاصة في إطلاق الشارب أو اللحية أو حلق أحدهما ، بل إن حروبا نشبت بسبب منهما . كما كان الشارب من ميزات الجندية لدى العديد من الناس . وتدخل في شأن الشارب أعظم الأباطرة والرؤساء ، حتى أن (شارلمان) كان أول من رأى أن يطلق السادة والأعيان شواربهم ، بينما يطلق الفلاحون والعامة لحاهم ، وربما كانت هذه هي العلامة الوحيدة التي ميزت بين الفريقين في تلك الأيام ، أما بطرس الأكبر فذهب إلى أبعد من ذلك ، فقد كان الروسيون يطلقون حول وجوههم وعلى صدورهم لحى كثيفة ، حتى ليتعذر على من يراهم ، أن يتبين من ملامحهم مايجيش برؤوسهم من أفكار ، ففرض القيصر ضرائب باهظة على اللحى ، وأعفى الشوارب من هذه الضريبة . وقيل : إنه خصص بعض الحلاقين ، ووضعهم على نواصي الشوارع . فيما إذا لم يستجب أصحاب اللحى للأمر .

اللحى والشوارب والحرب :

قد يستغرب بعض الناس من أن يكون للحى والشوارب علاقة بالحرب ، ولكن ما الحيلة ، فهكذا تقول صفحات التاريخ ، فقد ذكر المؤرخون حين تناولوا زمن الفينقيين أن هؤلاء أضاعوا استقلالهم ، ومكنوا العدو من بلادهم لكثرة المنازعات التي دارت بين مملكة صور ومملكة صيدا من جراء شعر اللحية ، فقد كان الإله (بعل) معبود الصوريين الباسط يديه لتحرق عليها القرابين البشرية التي تقدم،له شعر لحية طويـل ، على عكس الإله (دربل) رب الصيداويين الذي كان يماثله في الشكل والوضع ، لكنه يخالفه في أنه بلا لحية . فأرسلت حكومة صور تطلب من حكومة صيدا وجوب صب تمثال آخر للإله (دربل) صنو الإله (بعل) . تكون له لحية مسترسلة ، فرفضت حكومة صيدا وأهلها ، وأصرت مملكة صور على وجوب إطالة لحية الإله ، ونشبت الحرب البحرية بين الدولتين الشقيقتين .

ونقرأ في العصور الوسطى عن حرب (زيون) التي نشبت بين السلطنة التركية وبين جمهورية

البندقية ، أما سبب هذه الحرب الساخنة فهي أن (دوج) البندقية ، ويعنى هذا اللقب رئيسها ، نظر بعين الاستهزاء والسخرية إلى لحية السفير التركي ، فكتب هذا إلى سلطانه يخبره بهذا ، فما كان من السلطان إلا أن أعلن الحرب على جمهورية البندقية العتية .

الشوارب الحربية

الشوارب الحربية هي الشوارب التي يتخذها رجال الجيش ، وإذا عدنا إلى الصور الفوتغرافية الملتقطة للجيوش في أوائل هذا القرن فسنرى العجب من كثرة الشوارب،وأطوالها وأشكالها ، حتى أن أفراد الجيش الفرنسي ، لاسيما الفرسان منهم ، كانوا يفتخرون بطول شواربهم ، ويعيبون على الجنود الانجليز حلقها ، بل إن ضابطا فرنسيا أبصر يوما أحد جنوده حليق الشارب ، فحرمه من كل إجازة ، حتى ينبت شعر شاربه ، وأصدر أمرا حذر فيه سائر الجنود من الاقتداء برفيقهم الذي عد عمله تخنثا لايليق برجال الجيش .

وفي الحرب العالمية الثانية تطورت الأمور قليلا ، فأتاحت القيادات العليا للجيوش حرية إطالة شعراللحى والشوارب،أو حلقه أو حلق جزء منه . هذا ما جاء بشأن الشوارب الحربية في قرننا الحالي ، لكن لنعد مرة أخرى للوراء ، إلى عام ١٧٩٨ ، لنرى أن أول كتيبة بريطانية اتخذ أفرادها سمة إبقاء الشارب لهم كان في كتيبة (ورستر شير) ، ذلك أنه لم يكن جائزاً لواحد منهم أن يكون حليق الشارب . ومن ذلك التاريخ بقي تقليد الشوارب الحربية في الجيش الانجليزي .

والشارب الحربي له أشكال عديدة ، فالرقيب أو الشاويش حسب مصطلح بعض الأقطار العربية يمتاز بشارب حاد عنيف ، ينتهي بطرفين مدبّبين كأنهما رؤوس الحراب .

وفي الحرب إذا ما اتخذ ضابط شاربا له ، يعمد في هندسته له إلى ترك خط رقيق من الجلد بين الشارب وحافة الشفة العليا ، ولابد من تفريع الشارب فرعين ، ينتهيان بطرفين رقيقين مدببين يداعبان الوجنتين ، ولابد أن تتوسط الفرعين تحت أرنبة الأنف خصلة كثيفة من الشعر تدهن بالزيت وتمشط بأناقة . أما القادة فكانوا لايلقون بالا لشواربهم ، بل يتركونها تنمو كثيفة حيث تشاء وتنتهي مشعثة منفوشة على هواها ، ويحسب هؤلاء أن مثل هذه الشوارب تضفي عليهم مسحة من الحكمة والوقار ، وتكسبهم هيئة الأبوة والرئاسة .

الشوارب والمرأة :

ويعد الشارب القوي المقوس إلى أعلى من أبرز سمات الرجال الذين يريدون فتنة النساء ، وكثيرا ما أضل هذا الشارب المرأة التي لاتأخذ حذرها وحيطتها ، وهو ماكان عدة للرجل في اغتيال براءة المرأة وطهارتها ، حتى أن برنارد شو في قصته (الأسلحة والرجل) صور ضابطا بلغاريا يجذب النساء بشيء واحد ، هو هذا الشارب الذي يطرف أعينهن بطرفيه المدببين النافذين إذا هم بتقبيلهن أما إذا قلبت هذا الشارب من أعلى إلى أدنى ، وجعلت طرفيه ينتهيان إلى ما دون الذقن ، بدل أن يصلا إلى العينين ، وجدت صاحبه يمتاز بالقسوة والشراسة ، بدل أن يمتاز بالقوة والدماثة . وهذا هو الشارب الذي كان يصطفيه السفاحون الصينيون وقطاع الطرق ورؤساء العصابات .



وكما ينبغي للمرأة أن تحذر من الرجل الذي يفتل طرفي شاربه إلى أعلى ، فكذلك ينبغي للرجل أن يحذر من ذلك الذي يرسل طرفي شاربه إلى أدنى ، فهذا هو الذي يستبيح دم الرجل ، مثلما يستبيح حرمة المرأة .

رمز للحرية والقوة

اذا ما عدنا إلى ثنايا التاريخ، نرى أن كل الأمم في حالتها الفطرية ، تعد اللحى رمزا للحرية والقوة ، لكن هذا الاعتقاد أخذ يتزعزع مع انبثاق فجر المدنية ، حتى اضمحل تماما فالأثينيون نبذوا اللحى بعد أن سطعت شمس معارفهم وساروا شوطا بعيدا في سبيل الرقي والمدنية ، غير أن رفاقهم أهل اسبارطة ظلوا متمسكين بهذه العادة زمنا طويلا ، وكان الرومان يطلقون لحاهم حتى عهد قريب ، لكنهم رغبوا عنها تحت حكم الأباطرة ، وتطرفوا في ذلك ، حتى حلقوا شواربهم كما هو متبع الآن ، ولبثوا على هذه الحالة ، ولم يرغبوا عنها حتى دالت دولتهم وعفا أثرهم .

وفيما يخص الفرنك ، وهم أسلاف الفرنسيين ، فقد كانت لحاهم مسترسلة وشواربهم مرسلة إلى ذقونهم ، غير أنهم رفعوا أطرافها إلى أعلى ، عندما تبوأ كلوديون الملك ، فأراد أن يحدث تغييرا في عادات رعيته ، فلم ير غير رفع أطراف شواربهم المتدلية ، ولما آل العرش إلى شلبيريك ، أمر أفراد طبقة العامة بأن يطيلوا لحاهم وشواربهم ، دون أن يتعهدوها بتشذيب ، وحتم على النبلاء حلق الشوارب واللحى ، لكي يمتازوا عن غيرهم ، في عهد شارلمان رجعت عادة إطالة الشوارب دون اللحى .

أما الملك هنري الرابع فقد كان أكثر تسامحا ، إذ ترك شعبه حرا في إطالة الشوارب واللحى أو حلقها أو تكييفها وفقا للرغبة والميول . وكانت العادة المتبعة وقتئذ إطلاق اللحى ورفع أطراف الشوارب على شكل شارب غليوم ، امبراطور المانيا السابق . وعندما آل الملك إلى لويس الثالث عشر الذي لم يكن يهتم بشؤون مملكته ، لإلقائه العبء على وزيره الكردينال دي ريشليه ، عمد ذات يوم إلى التلهي ، لقتل الوقت ، فتفتق ذهنه عن فكرة سيطرت عليه ومفادها أن يحلق شعر رجال بلاطه بيده الملكية الكريمة ، فحلق لحى ضباط القصر ، ولم يترك لهم غير شعيرات في وسط الذقن ، فسميت تلك اللحية الباقية (اللحية الملكية) ، وشاعت شيوعا كبيرا بين طبقات الشعب ، فاقتدوا بها ، غير أن الكردينال دي ريشيلييه أبى أن يقلد غيره ، فلبث محتفظا بلحيته الصغيرة المدببة .

وعندما قامت الثورة الفرنسية ثم الامبراطورية فإنهما كانتا من مشجعي حلق الشوارب واللحى ، ولذا لم نر لنابليون صورة تمثله بلحية أو بشارب . وفي سنة ١٨٣٠ عادت الشوارب إلى الظهور . وفي سنة ١٨٤٨ أطيلت اللحى ، ولما أعيدت الامبراطورية الثانية جعل نابليون الثالث طرفي شاربه أفقيين ، وجعل لحيته مسننة ، تشبها بالكردينال دي ريشيلييه .

السياسة واللحى

. ونعرج على رجال السياسة ، فقد كانت علاقتهم بشواربهم ولحاهم وثيقة ، فهذا لويد جورج ، رئيس الوزراء البريطاني ، يدين لشاربه بقسط كبير في حياته السياسية ، حين كان شاربه داكنا في شبابه كان يتحدى به أصحاب الألقاب وأصحاب الأملاك وحزب المحافظين وذوي الشوارب الشائبة البيضاء ، ولما تقدمت به السن ، وصار أبيض الشارب كان ذلك دليلا على أن الفتى الثائر الناقم قد صار شيخا سياسيا مخضرما .

ومن منا لايعرف شكل ستالين ، أو أدولف هتلر ، فقد كانا في شاربيهما مثال الخلاف

الايديولوجي بينهما .

وفي تلك الفترة تقريبا برز انطوني ايدن ، وزير الخارجية البريطاني ، ومن ثم رئيس الوزراء في حرب السويس عام ١٩٥٦ ، واشتهر هذا السياسي بشارب بديع يليق برجل أبرز مزاياه شبابه الباكر .

أما ابراهام لنكولن ، فقد بدأ حياته السياسية حليق الذقن والشارب ، فلما مرت به السنون ، وتفاقمت في عهده الأحداث ، رأى نفسه للشعب الامريكي في مقام الأب من بنيه وبناته ، وأصبح (الأب ابراهام) رجلا كث اللحية ، مرسل الشارب ، شأنه شأن الأب في الأسرة ذات الأولاد .

العرب واللحى والشوارب

معظم الشعوب الشرقية تعنى بالشوارب إلى وقتنا الحالي ، والسمة الأولى التي تميز الغربي عن الشرقي ، عدا سمنة الوجه ، هي الشارب .

وقد ألف العرب منذ جاهليتهم إطالة الشوارب وإطلاق اللحى ، ولم يحيدوا قط عن هذه العادة ، لأن اللحى كانت عندهم من مميزات العظمة والقوة والجبروت ، ولا نغالي إذا قلنا إنها كانت من مميزات الجمال أيضا ، فقد كانوا يفاخرون بها ، ويعملون مافي وسعهم لإطالتها .

ومع أن العرب لبثوا في اسبانيا أكثر من ثمانية قرون ونصف قرن محتكين بكل أمم أوربا فقد ظلوا محتفظين بعادة إطالة اللحى والشوارب ، لأنهم كانوا يشعرون أن شعر الوجه يكسب صاحبه مهابة لاتتغير بمرور السنين .

وأتى العثمانيون إلى المناطق العربية ، أشد حرصا على اللحى والشوارب ، ويندر أن نرى سلطانا عثمانيا بدون شارب أو لحية ، وكان طبيعيا في مثل ذلك أن يتشبث العرب بهذه الخصلة .

أما الآن ، فإن اللحى ، وخاصة لدى الشباب ، فإنها تعني التدين ، وقد عنت في فترة سابقة ظاهرة (الهبية) .

ظاهرة متجددة

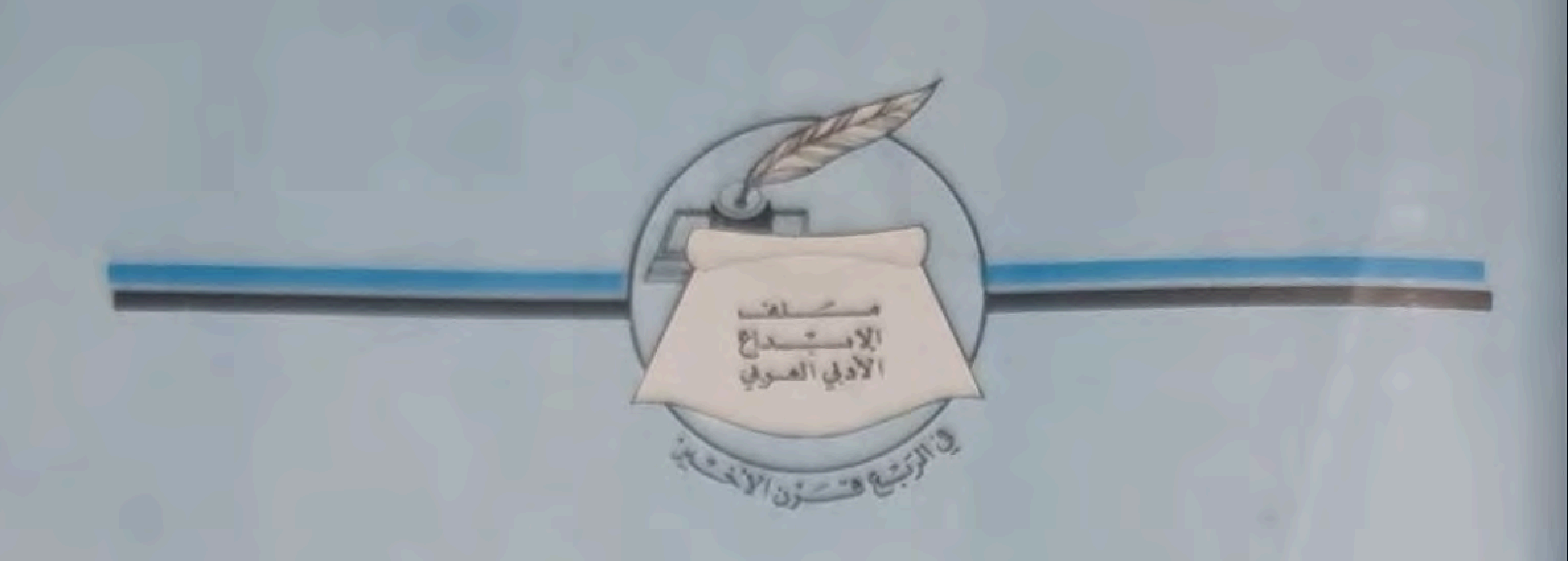
بعد هذا الاستعراض لمراحل تطور ظاهرة اللحى والشوارب ، فإن العناية بها أخذت تنحسر شيئا فشيئا ، شأن الظواهر الأخرى التي تعداها الدهر . ولسان حال المحبذين لإزالتها هو أنها أفضل صحيا لعدم تراكم الغبار والأوساخ عليها ، بينما يراها بعض الناس أداة للقسم حين النزاع فيكون القسم بوضع اليد على الشارب .

ولانملك في ما نقوله عن تحبيذ إطلاق اللحى والشوارب أي رأي بذلك ، لأن الكلمة الفاصلة ليست للمحبذين من فتياننا ، ولا للناقمين من شيوخنا ، بل «للموضة» التي إذا سرت لايقف في سبيلها شيء ولاتقوم في طريقها عقبات ، مهما طال الزمن وبعدت المسافة . □

الفن الحقيقة

● الفن هو أن تبهر أنظارنا الحقيقة ، فليس هناك ضوء حقيقي إلا الضوء الساقط على الوجه القبيح المتراجع ، الفن يحوم حول الحقيقة وهو عاقد العزم على أن يحترق بها ، وتتمثل موهبته في البحث في الفراغ المظلم ، عن مكان لم يعرف من قبل ، نحتجز فيه بقوة أشعة الشمس .

كافكا



حالة المسرح

في أقطار المغرب العربي

بقلم : الدكتور مصطفى رمضاني*

على الرغم من أن أقطار المغرب العربي قد عرفت فن المسرح، مع بداية هذا القرن، في فترات متقاربة جدا، باستثناء موريتانيا، فإن حالة المسرح فيها اليوم تختلف من بلد لآخر، استجابة لخصوصية كل مجتمع ومشاغله الملحة. فما ملامح هذه الخصوصية؟ وما الصور البارزة فيها؟

المسرح في ليبيا - على سبيل المثال - لـمّا يتخط بعد مرحلة الاندهاش والتعثر، وفي الجزائر يعيش حالة تكرار النموذج الواحد، مع استثناءات قليلة جداً. وعلى العكس من ذلك نلمس تشابها واضحا بين المسرح في كل من تونس والمغرب، إذ يوجد فيهما الحداثة والتأصيل، انطلاقا من مبدأ التجريب المتطور. أما موريتانيا فإن المسرح فيها يكاد يكون معدوما، نظرا للنزعة البدوية الغالبة على هذا المجتمع - والمسرح فن مدني كما نعلم - وللمشاكل المتعددة التي مازال هذا المجتمع يتخبط فيها، مما جعل الفن عامة من مشاغله الهامشية.

فباستثناء بعض المحاولات القليلة التي يقوم بها بعض الشباب، لا نكاد نسمع بفن اسمه المسرح في موريتانيا، على الرغم من أن الدولة أقامت لهذا الغرض رابطة، تعنى بشؤون الفن الدرامي، إلى جانب الموسيقا والفنون الشعبية، وعلى الرغم من إيفادها، من حين إلى آخر، بعض الشبان، بقصد التأطير والتكوين في مجال الدراما، الى بعض الدول الشقيقة، كالمغرب مثلا.

---

* كاتب واستاذ جامعي من القطر العربي المغربي



المسرح في ليبيا

أما في ليبيا، فإن «فن الدراما» لم يتطور كثيرا، إذ مايزال متخلفا. صحيح أن ليبيا عرفت بوادر مسرحية شجاعة، في فترة الثلاثينيات، على الرغم من الرقابة الاستعمارية التي كانت تحول دون أي نوع من أنواع التحرك، إلا أن ذلك لم يمنع الشعب الليبي من مشاهدة بعض العروض المسرحية التي كانت تقدمها الفرق الوافدة من المشرق العربي، والتي حاولت أن تعوض الجمهور الليبي ما كان المستعمر الايطالي يحرمه منه، وكان لهذه الزيارات الدور الفاعل في تشجيع بعض المثقفين، لتكوين فرق محلية، فقد سارع أحمد قنابة، وبعض زملائه، إلى تكوين جمعية «هواة التمثيل» التي تطورت فيما بعد، فأصبحت «الفرقة الوطنية الطرابلسية». واستمرت حركة إنشاء الفرق المسرحية، كما استمرت حركة الترجمة والاقتباس والتأليف متعثرة حذرة، خاصة بعد تشديد المستعمر مضايقاته على الفنانين الوطنيين. وأغلب الأعمال التي قدمت آنذاك كانت تركز على القضية الوطنية الأم، وهي تحقيق الاستقلال، مع تناول بعض القضايا الاجتماعية التي كانت تشغل بال الإنسان الليبي.

ومع بداية الربع الأخير من هذا القرن عرف المسرح في ليبيا نوعا من التحرر، ذلك أن بعض المثقفين الليبيين قد اطلعوا على التجارب الغربية والشرقية المتقدمة في مجال «الدراما»، فحاولوا أن يقلدوها، ويطعموا بها دماء مسرحهم الوطني، ومن ثم فقد بدأت محاولات التجديد مع أواخر الستينيات تنأى شيئا فشيئا عن الطابع الاجتماعي التقليدي. ويمكن أن نسجل هنا محاولات عبدالله القويري الرائدة، خاصة حين قدم مسرحية الجانب الوضيء سنة ١٩٦٥م.

وفي ١٩٧٣م أنشئت الهيئة العامة للمسرح والموسيقا والفنون الشعبية. وتكفلت هذه الهيئة بخلق مسرح وطني احترافي، يعتمد على التكوين العلمي والتأطير الجاد.

أشهر المسرحيين الليبيين الذين برزوا خلال هذه الفترة اعتمدوا العامية المحلية والأسلوب التقريري في تقديم الخطاب المسرحي، مع التركيز على الجانب السياسي في النص، وإغفال الجانب الفني والتقني عموما. ونذكر من بين هؤلاء «الدراميين» حميدة المسلاتي، وعبدالحميد المجراب، وعبدالكريم الدفاع، وعبدالله القويري، وأبابكر حميدة، ومصطفى الأمير، ومحمد إدريس، وغيرهم.

وعموما يبقى المسرح في ليبيا صورة مصغرة للمجتمع الليبي بطموحاته وأهدافه ومشاغله.

المسرح في تونس

أما في تونس فيعد المبدع الكبير، علي بن عياد، رائداً للمسرح التونسي الحديث، ابتداء من الستينيات الى يومنا هذا، على الرغم من أن المنية لم تمهله حتى يقدم كل ما كان يحلم بتحقيقه، ففي الربع الأخير من هذا القرن عرف المسرح في تونس تطورات مهمة، كان أهمها يتجلى في الابتعاد عن الطابع الاجتماعي الساذج الذي كانت تتسم به مسرحيات النصف الأول من هذا القرن، ولا أحد يشك في أن للتحول الذي عرفه المجتمع التونسي أهمية كبرى في هذه التطورات، فقد فتح عهد الاستقلال أمام المثقفين بعامة، والمسرحيين بخاصة آفاقا

رحبة للتحرر في الكتابة والتصور والرؤية الجمالية. ولما كان علي بن عياد من هؤلاء المثقفين المتشبعين بالفكر التحرري، فلقد لجأ الى الخطاب السياسي، ليقترب أكثر من هموم الشعب ووجدانه.

وعلى الرغم من ميله الى «التَّوْنَسَة» فيما يخص النص المسرحي قصد تأصيل الخطاب «الدرامي» وتحريره من التبعية للغرب، فإنه اتجه الى النصوص العالمية «يُتَوْنِسَها» ويعرّبها، حتى أصبحت كأنها من تأليفه الخاص. ومن أجل غاية التأصيل و«التَّوْنَسَة» هذه كان يستعين ببعض المؤلفين التونسيين لترجمة النصوص العالمية.

وكان يشرف بنفسه على عملية الإعداد الدرامي والإخراج والتشخيص، مما أعطى لأعماله طابع الجدية والاتقان، إلا أنه إلى جانب كل ذلك أصرّ على ضرورة خلق النص المحلي، وحاول الاقتراب من بعض المؤلفين الشباب، لتحقيق هذا الغرض. ومنهم عزالدين المدني، والحبيب بولعراس وجميل الجودي، ونورالدين القصباوي وعبدالسلام البش وغيرهم.

وانطلاقا من تجربة علي بن عياد، تحرر المبدعون المسرحيون في تونس خلال العقدين الأخيرين، فطلعت علينا محاولات تعد علامة متميزة في المسرح العربي المعاصر، كتجربة عزالدين المدني الذي جعل التراث ديدنه وهمّه الأول ليلج الى عالم التأصيل والحداثة.

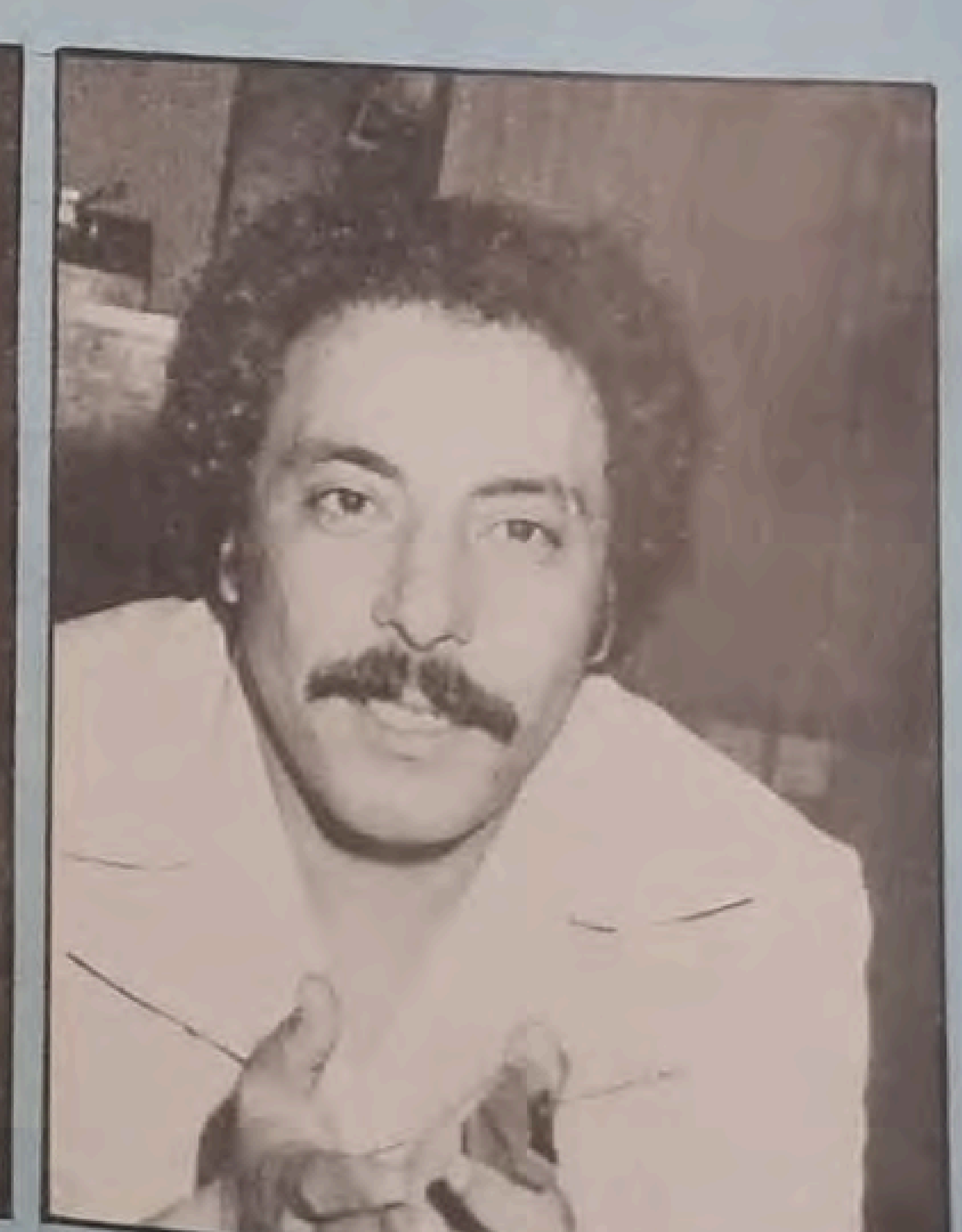
وهو لا يكتفي بالقراءة الإسقاطية للتراث، وإنما يجعله أداة جمالية و«أيديولوجية»، غايتها تقريب المسافة بين ذوق المتلقى وهمومه اليومية والمصيرية.

وهذا ما يظهر بالضبط في مسرحياته ذات الدلالات الإيحائية المتنوعة، ابتداء من مسرحية «ثورة صاحب الحمار»، و«رحلة الحلاج»، مرورا «بديوان الزنج»، و«التربيع والتدوير»، و«الغفران»، ووصولا الى «مولاي السلطان الحسن الحفصي».

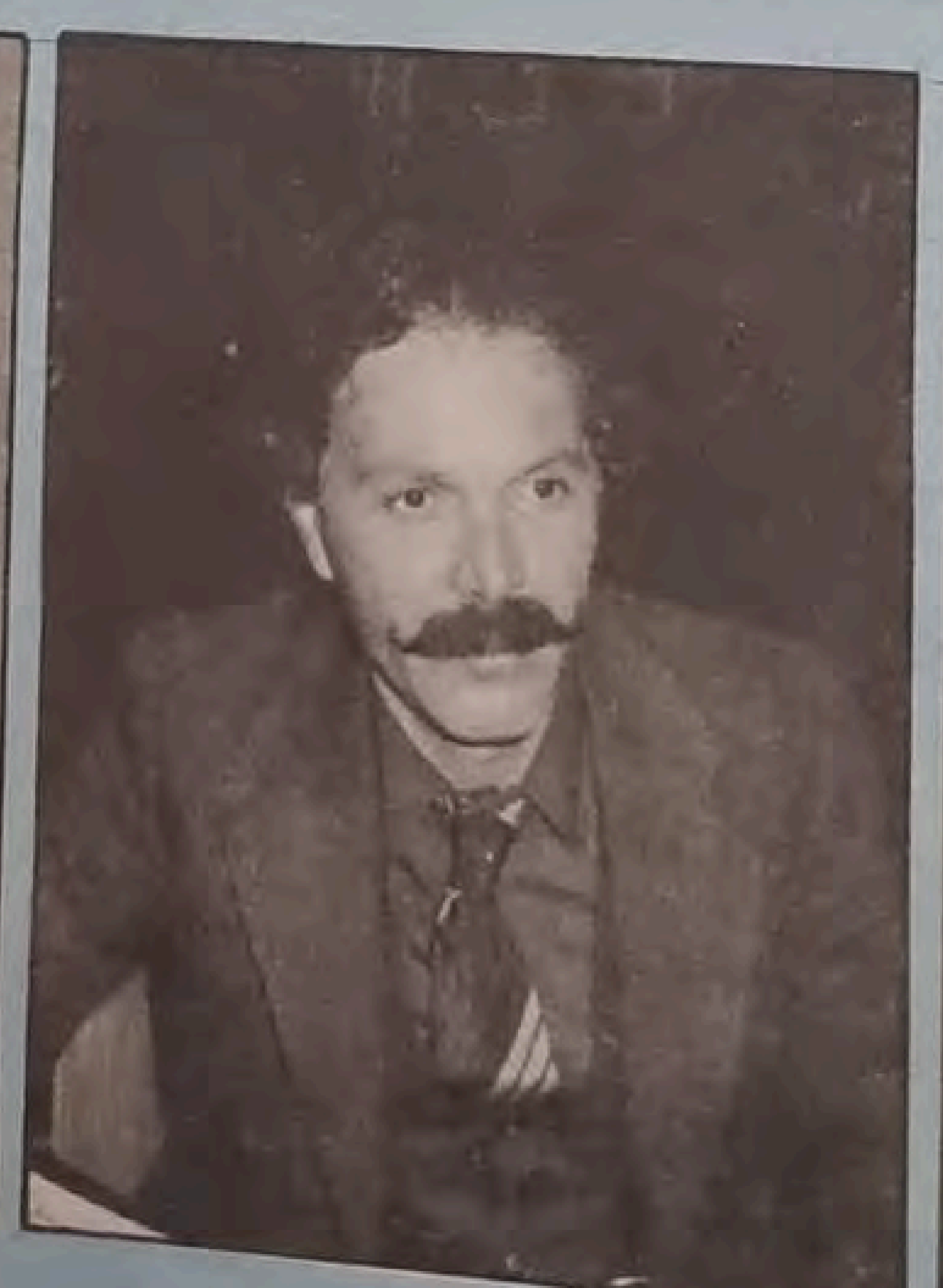
وقد استطاع أن يؤسس تراكمات فنية مهمة، الى جانب المخرج المنصف السويسي محليا وعربيا وهو يعد الآن من أفضل الدراميين العرب، ومن رواد الحداثة المسرحية في تونس.

وإلى جانب عزالدين المدني نذكر من المؤلفين سمير العيادي، ومصطفى فارسي، ومحمد رجاء فرحات وغيرهم.

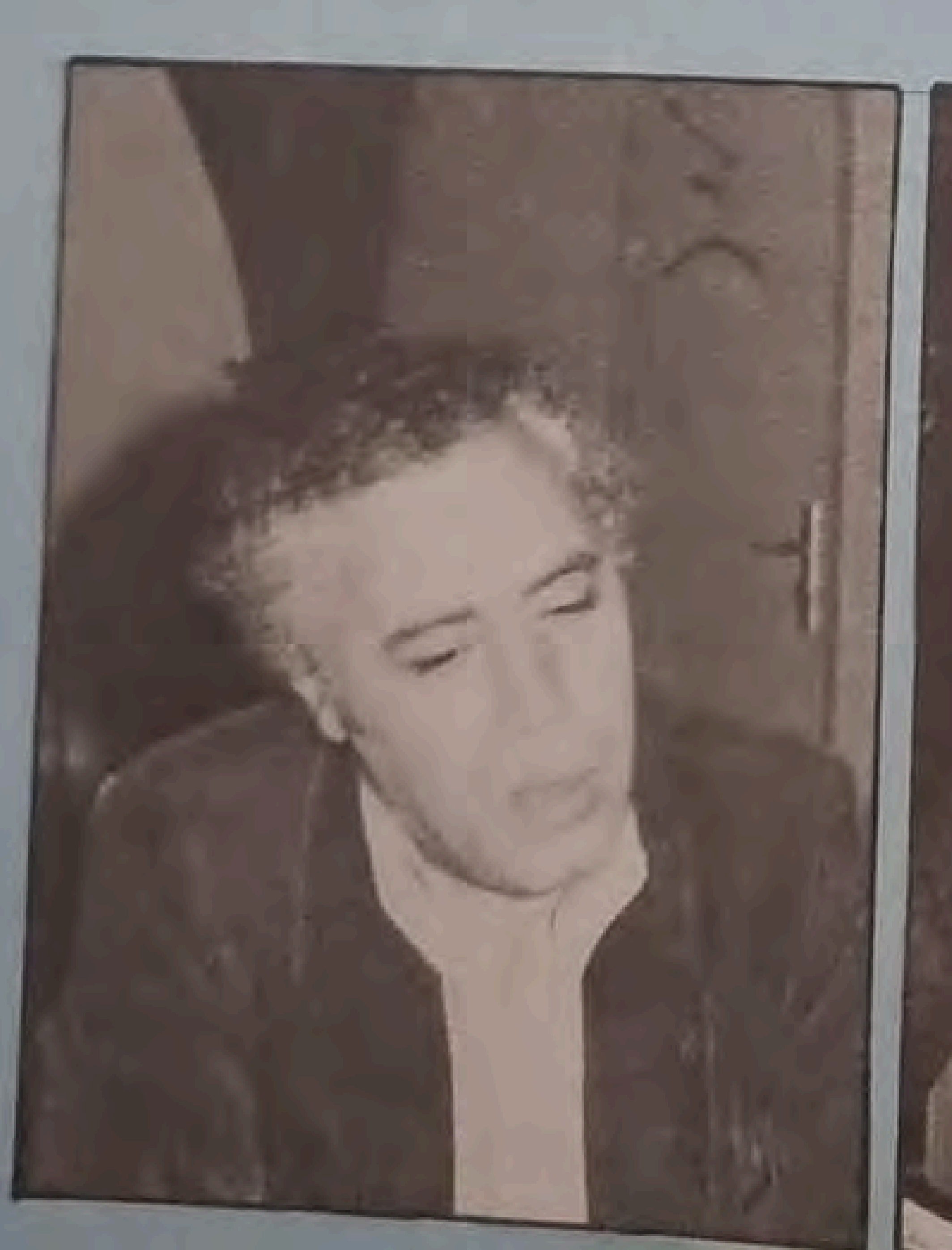
أما عن الجمعيات المسرحية، فتجدر الإشارة الى أن المسرح في تونس مبني على الهواية والاحتراف معا. والنوعان متقدمان جدا، حتى لا نكاد نميز أحيانا بين المسرح الهاوي وبين



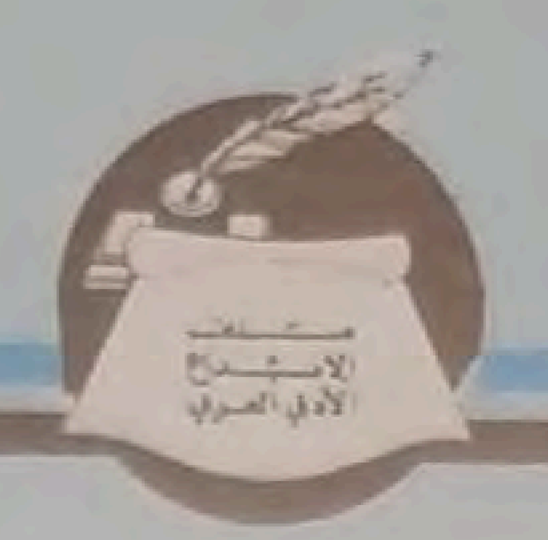
● المنصف السويسي.



● الزياني شريف عياد.

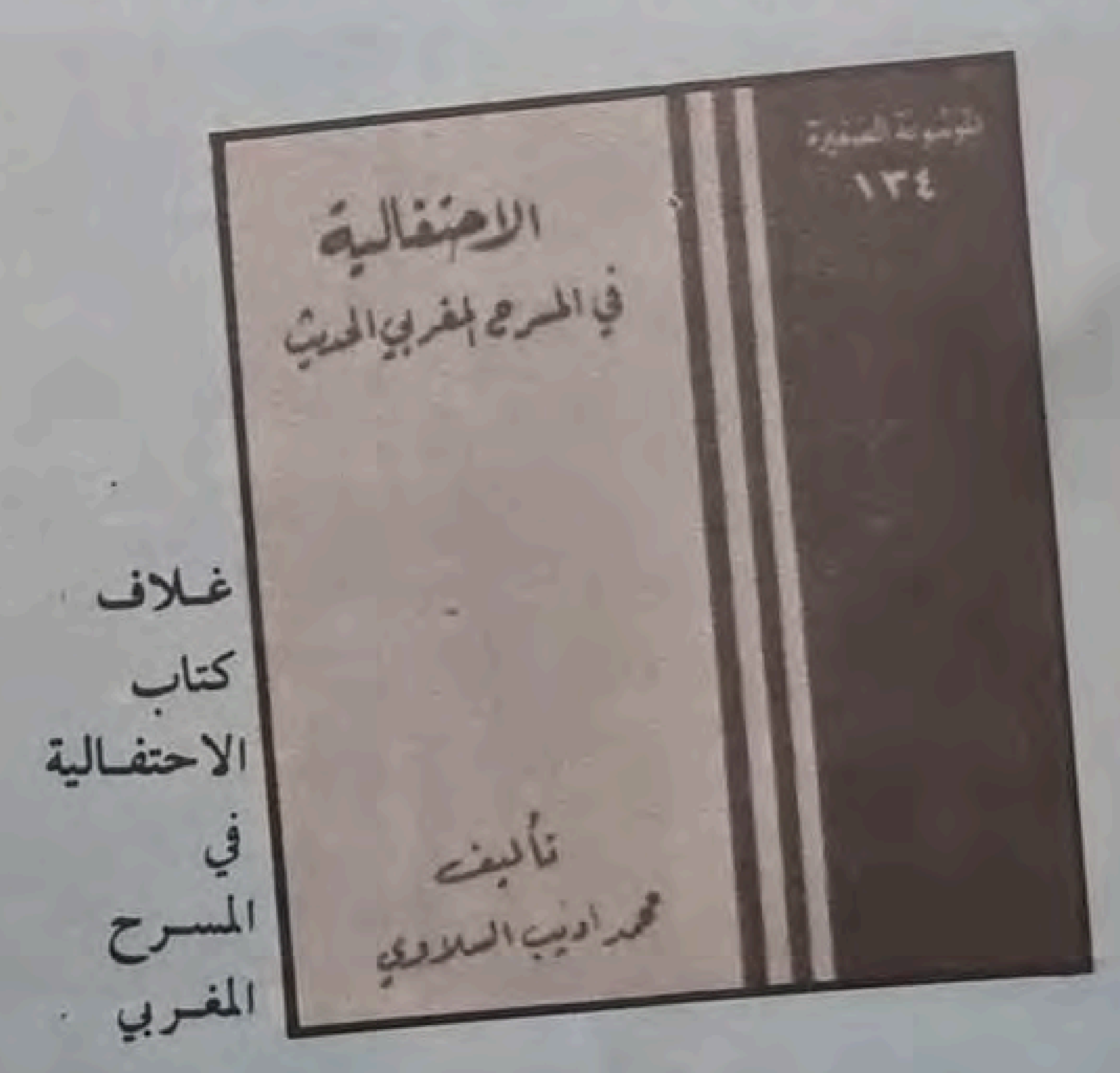


● عز الدين المدني.



المحترف، ولا أدل على ذلك مما تقدمه فرق مسرحية شابة، مثل فرقة مسرح الحلقة، ومسرح المثلث، ومسرح قصور الساق، وغيرها من الفرق الهاوية، ذلك أن الدولة ترعى المسرح ماديا، وتقيم سنويا مهرجانا مهما في قرطاج، يتناوب فيه سنويا المسرحيون والسينمائيون لتقديم أعمالهم. وهو من أكبر المهرجانات الخاصة بالمسرح.

وعموما يمكن التأكيد على أن المسرح في تونس متميز ومتقدم جدا، نظرا لجدية المبدعين التونسيين، وجرأتهم على الولوج الى عالم التجريب، بكثير من العمق والذكاء، فقد اهتم هذا المسرح بإشكالية التأصيل بشكل خاص، ولكنه يستفيد من مختلف التجارب الإنسانية المتحررة، كالمسرح الملحمي البريختي، والمسرح الشعبي. وهو مسرح واقعي في طروحاته، شعبي في جوهره، يستفيد من الأشكال الاحتفالية الشعبية المعروفة في التراث الشعبي التونسي، إلا أن هذه الشعبية لا تحول دون الاعتماد الكلي على اللغة العربية الفصحى، وعلى الشاعرية في أداء الحوار، والتمكن من



غلاف كتاب الاحتفالية في المسرح المغربي

درامية الحدث، والقراءة النقدية للتراث، وهذه الصفات كلها تؤهل المسرح في تونس ليكون بحق مسرحا من مسارح الحداثة.

المسرح في الجزائر

يستمد المسرح بالجزائر خلال الربع الأخير من هذا القرن أهم مقوماته الجمالية من رواد المسرح في هذا البلد، كسلالي علي، المعروف بعلالو، ومحيي الدين بشطارزي، ورشيد قسنطيني، وغيرهم، بل إن كثيرا من المقومات الفكرية النظرية لهذا المسرح تعد امتدادا لهموم ذلك الرعيل الأول من المسرحيين.

فقد وعى هؤلاء الرواد دور المسرح على أنه فاعلية فنية، يمكنها أن تفجر الطاقات الشابة، بقصد النهوض بالبلد وتحريره من المستعمر. ومن هنا راحوا يبحثون عن السبل الفنية القمينة بخلق تواصل جماهيري مع الفئات الشعبية، فاستندوا على الأغاني والمواويل وأسلوب المدح والارتجال، بعد توليف قضايا أو حكايات شعبية، تعالج بكيفية أو بأخرى بشكل رمزي مسألة الاستقلال.

ونظرا للفقر الكبير الذي كان يعاني منه المجتمع الجزائري، في ما يخص مسألة اللغة العربية الفصحى - وهذا طبيعي في ظل الاحتلال الفرنسي الذي عمد الى ترسيخ ثقافته ولغته - فإن كل النصوص المكتوبة بالفصحى لم تنجح في تحقيق عرض مسرحي ناجح، على عكس النصوص المعتمدة على العامية المحلية.

ومن المؤكد أن المسرح في الجزائر قد ارتبط بالثورة وجبهة التحرير، لذا كان موضوع الثورة حاضرا باستمرار في هذا المسرح، ومايزال يفرض نفسه على المبدع المسرحي بصورة مباشرة



● مشهد من مسرحية « امرؤ القيس في باريس »

أو ضمنية. ومن ثم ظل المسرح محاصرا إبان مرحلة الاستعمار، لأنه كان يعد في نظر المستعمر الامتداد الفكري والسياسي للثورة المسلحة، خاصة أن جبهة التحرير الوطني الجزائرية قد أعطت منذ بداية عملها العسكري للثقافة الوطنية، ومن ضمنها المسرح، مساحة من اشتغالاتها الثورية الأساس.

وبعد الاستقلال مباشرة أمم المسرح بحسبانه مؤسسة وطنية فاعلة في المجتمع، وبهذا صار مؤسسة عامة، شبيهة بالمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية الأخرى، مما أزال عنه طابعه الثقافي والفني المتميز. وكان من جراء ذلك أن أفلس المسرح فترة طويلة، على الرغم من تأكيد مرسوم التأميم على أن هذا الفن يخضع للنهج الاشتراكي، وهو ملك للشعب، وسلاح لخدمته.

ومع كل ذلك، فإن المسرح في الجزائر ظل وفيا لطابعه الشعبي، كما ظل وفيا للمقومات الجمالية والفكرية التي كانت معروفة إبان مرحلة الثورة، وإن كان بعض المبدعين الذين اطلعوا على التجارب المسرحية الغربية قد طعموا هذه المقومات، فظهرت تجارب ملقحة، كما هو الحال مع مصطفى كاتب الذي استفاد من الأسلوب البريختي، وولد عبدالرحمن كاكي الذي يوغل في شعبية المسرح، تقنية وأداء.

ويُعد رويشد من أهم المبدعين المسرحيين الذين تشبعوا بالحس الشعبي الجماهيري، لأنه يركز بشكل خاص على النصوص الشفوية، ويجعلها قاعدة لمعالجة قضايا اجتماعية وسياسية، بروح مرحة، وخفة في الحوار والفرجة.

أما كاتب ياسين، فمن المسرحيين المتفرنسين، إذ اشتهر بروايته «نجمة»، كما عرف بمواقفه الشجاعة في مجال السياسة. وقد عرف كرجل مسرح منذ فترة الثورة، وكان من المناضلين الذين ركزوا على موضوع الحرية قبل كل شيء، في مسرحياته. ولم تحل فرنسيته دون الاقتراب من هموم الجمهور وذوقه.

كان كاتب ياسين لا يؤمن بالنص النهائي، لهذا كان يدعو الى الارتجال، بقصد تحرير الممثلين، وجعلهم مبدعين الى جانب المؤلف



والمخرج، لأن هدفه خلق عرض مسرحي، تطغى فيه الفرجة التلقائية.

وغير بعيد عنه، نجد ولد عبدالرحمن كاكي الذي عرف بتوظيفاته الكثيرة للحكايات الشعبية، وباعتماده أسلوب الفرجة الدرامية التي تتعامل مع المخزون الشعبي من الأشكال والمظاهر الانثروبولوجية. ويبرز قدور النعيمي، حيث ركز على العمل الجماعي، كما هو الأمر في مسرحية «قيمة الاتفاق» التي كسرت الفضاء التقليدي، واعتمدت فضاء الحلقة والخط الدائري، ليصبح الجمهور طرفا معنيا في العرض المسرحي.

أما في السنوات الأخيرة، فقد ظهر عبدالقادر علولة بقوة على خريطة المسرح الجزائري، وهو مؤلف ومخرج للمسرح الجهوي بوهران، يتميز بقدرته الفائقة على التقاط الحدث السياسي اليومي، ليجعله حدثا دراميا غنيا بالحيوية والإيحاء، كما يتميز بتوفيقه بين مختلف أنواع التعبير الإنساني، من غناء ورقص وباليه وتشكيل وغيره، ليعطي طابع الفرجة الممتعة والمعقلنة لأعماله. وتؤكد أعماله أن له دراية مهمة بالتراث الشعبي، وما يحمله من طاقات إشارية، لأن كل مسرحياته تدخل في تجربة المسرح الشعبي الملحمي. فأثر المسرح البريختي بارز في هذه الأعمال.

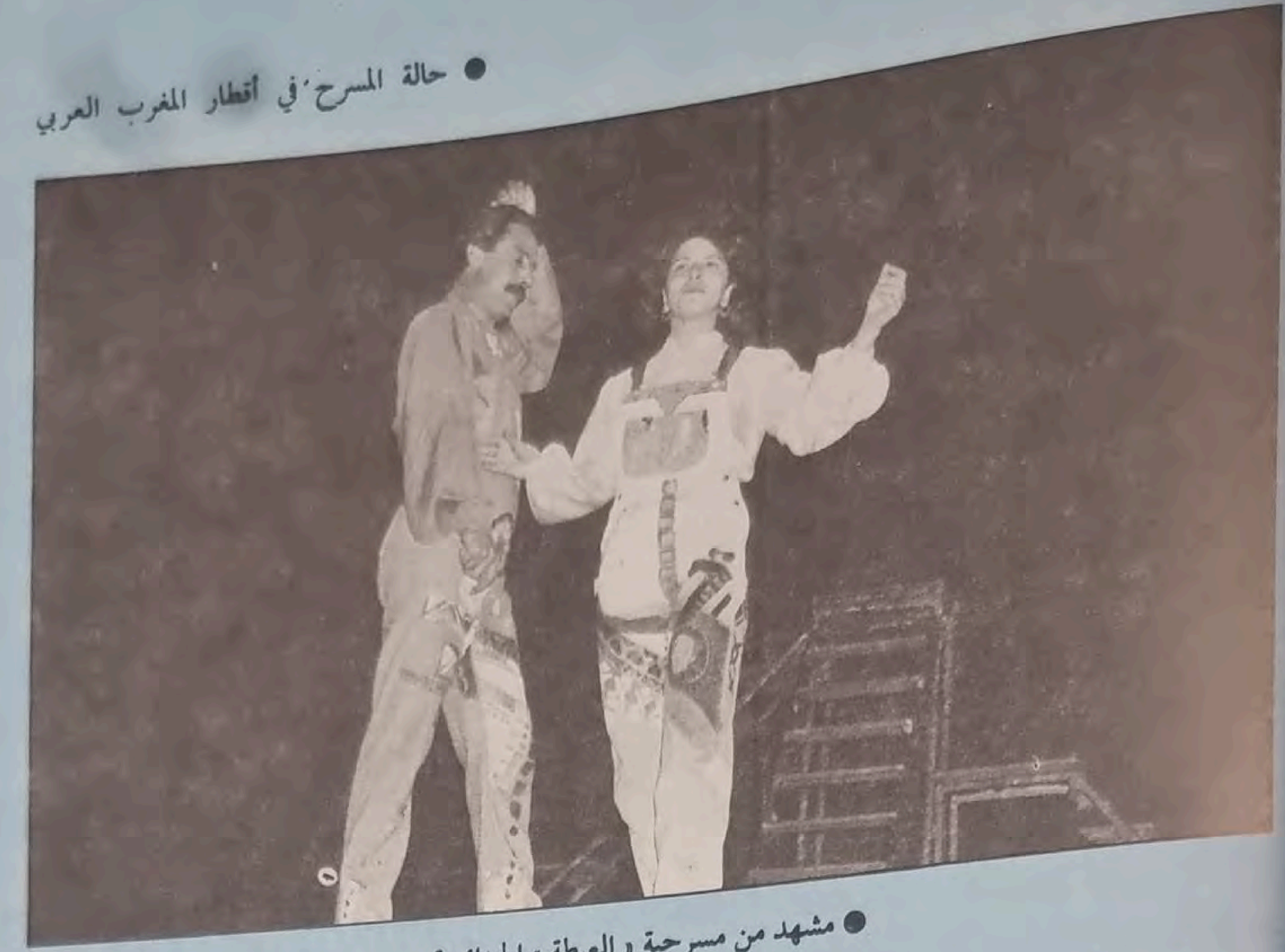
وفي المسار نفسه يقدم المبدع الشريف زياني عياد أعماله المسرحية، ذلك أن تجربته، في نظري، لا تختلف كثيرا عن تجربة عبدالقادر علولة، خاصة في مسألة شعبية الفرجة، واعتماد أسلوب «الكورال» والنكتة وخفة الأداء والحوار، بل إن هذه السمة تكاد تكون شاملة لأغلب الأعمال المسرحية المعاصرة في الجزائر.

وإذا كان هؤلاء قد عرفوا بتجاربهم الفنية التي تدخل ضمن المسرح الاحترافي عموما، فإن مسرح الهواة بالجزائر مايزال يحبو لتحقيق ذاته، لأنه يعاني من مشاكل متعددة، لعل من أهمها ضعف التأطير، وانعدام الكفاءات، والمساعدات المادية، مما أسقط هذا المسرح في عملية الاجترار والبهرجة المجانية، إلى جانب البعد عن جمالية العرض.

ومع ذلك، فالمسرح في الجزائر يحاول أن يحقق تميزه بالاعتماد على الصيغ الشعبية المحلية، ليقترب أكثر من جمهوره. ويعتمد النص والحوار على العامية الجزائرية، وتتخللها بعض الحوارات بالامازيغية أو بالفرنسية. ومن الواضح أن المستعمر الفرنسي قد خلق أثرا كبيرا في الحوار اليومي داخل المجتمع الجزائري، مما جعل المسرح الفصيح يكاد يشكل النص المحرم، ذلك أن شعبية المسرح الجزائري تستمد قوتها من عامية اللغة، ومن الموضوعات ذات الطابع السياسي والأيديولوجي، حتى ليمكن القول بكل اطمئنان بأن المسرح في الجزائر اليوم يعيش تضخما سياسيا وأيديولوجيا يطغى على الجوانب المعرفية والجمالية التي هي شرط أساس في كل عمل مسرحي.

في المغرب الأقصى

أما في المغرب الأقصى، فقد ارتبط المسرح - ككل أقطار المغرب العربي - بالكفاح الوطني الذي كان يخوضه المغاربة، من أجل تحقيق الاستقلال، أي أنه لم يظهر لحاجة فنية محضة، فالهم الوطني كان الشاغل الرئيس الذي دفع بعض المثقفين الى تكوين فرق مسرحية داخل المؤسسات التربوية.



● مشهد من مسرحية « العيطة » الجزائرية .

وعلى الرغم من العراقيل التي كان يقيمها المستعمر الفرنسي في وجه المبدعين الوطنيين، فإن حركة تكوين الفرق لم تتوقف إبان فترة الحماية. وكانت أغلب المسرحيات المقدمة آنذاك تعالج موضوع الاستقلال بكيفية ملحة.

وبعد الاستقلال مباشرة، تفجرت الطاقات، وأبانت عن مؤهلاتها الإبداعية، فانتعشت حركة المسرح انتعاشا ملحوظا كمًّا وكيفاً.

فقررت وزارة الشبيبة والرياضة - المسؤولة الأولى عن المسرح - إقامة مهرجان وطني لمسرح الهواة، بدءا من عام ١٩٥٧، ثم أنشأت معهد «دار المسرح» الذي تطور فيما بعد لتتمخض عنه «فرقة التمثيل المغربي» التي فشلت في تجاربها، نظرا للمشاكل الداخلية التي كانت تعترضها، فتم تكوين مركز الفن المسرحي، من أجل تدريب الشباب وتأطيرهم تأطيرا علميا. وبعد فشل هذا المركز تم إنشاء فرقة المعمورة، وهي فرقة وطنية، احتضنت مجموعة المحترفين والهواة، من أجل النهوض بالمسرح في المغرب. والحق أن هذه الفرقة قدمت أعمالاً ناجحة كثيرة، وفيها تكوّن كثير من المسرحيين، إلا أن طموحات المسرحيين كانت أكبر من مجرد تكوين فرق أو معاهد في العاصمة (الرباط)، أو في الدار البيضاء.

ولعل أحمد الطيب العلج من أهم المبدعين المسرحيين الذين أغنوا الحركة المسرحية بالمغرب خلال هذه الفترة - وما قبلها - ومازالت أعماله تؤكد خصوصيتها الى يومنا هذا. فأحمد الطيب العلج أو موليير المغرب كما يسميه النقاد، يعد رائد المسرح الشعبي في المغرب، نظرا لموهبته في التقاط المشاهد الشعبية، وتقديمها بلغة سحرية شعرية بسيطة،وصور كاريكاتورية مدهشة، كما أنه من أوائل المسرحيين الذين انتبهوا الى أهمية الترجمة والاقتباس و« المَغْرَبَة » إذ «مَغْرَبَ» كثيرا من المسرحيات الأوربية، وقدمها بأسلوب يكاد يغطي على غربيتها.

إن شعبية مسرح الطيب العلج لم تحل دون التعامل الواقعي مع القضايا الملحة للمواطن المغربي بخاصة، والعربي بعامة، لأن أغلب الأعمال المسرحية بعد الاستقلال ركزت على



خيبة الأمل التي أصابت المواطن البسيط وهو يرى أحلامه بالعيش الرغيد قد بدأت تتبخر، نظرا لظهور الطبقات الطفيلية التي ورثت الاستعمار، وبذا كان مسرح أواخر الستينيات وبداية السبعينيات هو مسرح الفضح والإدانة والبحث عن واجهات التغيير. ومن المؤكد أن مسرح الهواة في المغرب - كما سنرى - أكثر جرأة وجدية في معالجة التناقضات التي أفرزتها مرحلة ما بعد الاستقلال ومواجهتها . أما المسرح الرسمي فيلامس هذه التناقضات بكثير من الغزل والمراوغة .

تجربة الصديقي

الطيب الصديقي مبدع كبير، وكان وراء تأسيس «المسرح العمالي» بالمغرب، بعد فشل المؤسسات التابعة للدولة، كما أسس «فرقة مسرح الناس» التي أصابت نجاحا متميزا في كل أرجاء الوطن العربي، بل وفي أوربا أيضا. فبعد دراسته لفن المسرح في فرنسا، على يد المخرج المعروف جان فيلار، عاد الى المغرب متشبعا بروح البحث والتنقيب عن الخصوصية المسرحية في التراث والتاريخ، فقدم عدة أعمال في هذا المجال.

وإلى جانب تركيزه على التاريخ مادة لنصوصه فإنه قد استغنى عن البناية المسرحية، فقدم أعماله المسرحية في الهواء الطلق في الساحات والملاعب الرياضية والواحات، كما أقحم عناصر «فنتازية» في العرض المسرحي.

وبعد هذه المرحلة تأتي المرحلة الأهم في تجربة الصديقي المسرحية، وهي المرحلة الاحتفالية، إذ قدم أهم أعماله ذات الطابع الاحتفالي الشعبي، ومنها: «ديوان سيدي عبدالرحمن المجذوب»، «مقامات بديع الزمان الهمذاني»، و«الغفران»، و«كتاب الإمتاع والمؤانسة»، وأخيراً «ألف حكاية وحكاية من سوق عكاظ»، وهي كلها تعتمد على التراث، وتجعله خلفية أساسا لقضايا معاصرة. ويمكن أن نسمي هذه المرحلة، المرحلة التراثية الاحتفالية.

إن تجربة الصديقي هذه على الرغم من غناها وعجائبيتها، لم تنج من البهرجة والمجانية أحيانا في كيفية معالجة التناقضات السائدة في المجتمع العربي، ذلك أن الصديقي غيب حقيقة الصراع، وركز على الجانب الشكلي والتقني في العمل المسرحي. أهم قفزة عرفها المسرح في المغرب خلال العقدين الأخيرين تتمثل في تجربة مسرح الهواة.

ففي فترة السبعينيات، عرف مسرح الهواة تحرراً ملموسا، خاصة بعد الأحداث السياسية والعسكرية والاجتماعية التي عرفها المجتمع العربي بعامة والمغرب بخاصة، إذ سعى الهواة الى معالجة خطورة هذه الأحداث، فكانت موضوعاتها كالصراع الطبقي والاجتماعي وقضية الاحتلال الصهيوني لفلسطين وغياب الديمقراطية وبعض القضايا المصيرية الأخرى هي المحور الذي تدور حوله النصوص المسرحية. والى جانب هذا التحرر في معالجة تلك الأمور بدا واضحا أنه لا مفر من تحرير أسلوب العرض المسرحي، فكان التجريب محطة ضرورية لهذا الشأن. وقد ارتبط التجريب بفكرة الحداثة والتأصيل، خاصة أن الموقع الجغرافي يفرض ذلك التلاقح الفكري والفني بين المغرب وأوربا من جهة، وبينه وبين المشرق العربي من جهة أخرى :

المسرح الاحتفالي

لقد ظهرت تجربة المسرح الاحتفالي عمليا مع أحمد الطيب العلج والطيب الصديقي، لأنهما ركزا على التراث وأشكاله التعبيرية المألوفة في تاريخ الأمة، كسلطان الطلبة والمداح والحلقة والبساط وغيرها، إلا أن الاحتفالية لم تتضح بشكل دقيق إلا مع تنظيرات عبدالكريم برشيد وجماعة المسرح الاحتفالي، فقد قدم برشيد بيان المسرح الاحتفالي الأول سنة ١٩٧٥، وتلته بيانات جماعة الاحتفاليين الخمسة كما استمر برشيد في تقديم بياناته وتنظيراته جنبا الى جنب مع نصوصه المسرحية التي يناهز عددها خمسة وعشرين نصا.

إن الاحتفالية تيار مسرحي، يعتمد على مجموعة من الضوابط الفنية المخزونة في الذاكرة الجماعية للإنسان العربي، كمسألة توظيف جماليات التعبير الشعبي، بما فيه من إشارات إيجابية سمعية وبصرية وحركية ونفسية، وهي في هذه المواقف تعمل على تقريب الخطاب المسرحي من الإنسان البسيط، فلا وجود لحواجز تحول بين من يعطي الفرجة وبين الجمهور.

واستنادا الى التنظيرات الاحتفالية كتب عبدالكريم برشيد نصوصا كثيرة. ومن بين المبدعين الاحتفاليين كذلك نجد عبدالرحمن بن زيدان ومحمد أديب السلاوي وغيرهما.

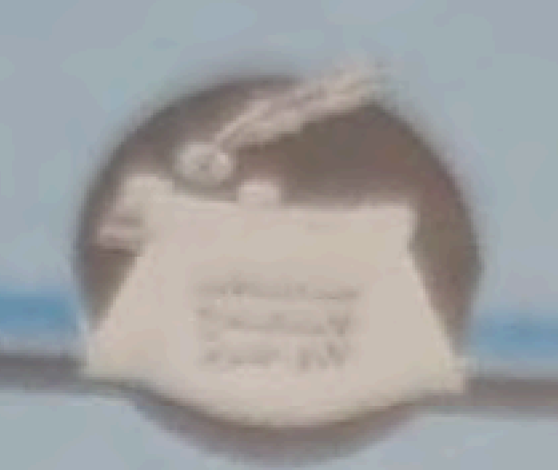
وبعد تجربة المسرح الاحتفالي تأتي تجربة المسرح الثالث، إذ يستفيد كثيرا من التجربة الاحتفالية، خاصة في مسألة التعامل مع التراث والأدوات الأخرى الفنية، مع اختلاف في المواقف الفكرية والأيديولوجية طبعا، لأن هذا المسرح يركز على ضرورة التعامل مع المنهج الجدلي الواقعي بشكل صارم، كما يركز في جانبه التقني على المسرح الفقير وما يتلاءم معه من فقر في الديكور والاكسسوار.

وتميز عبدالحق الزروالي بتجربة المسرح الفردي، أو مسرح الممثل الواحد على الأصح، وقدم مجموعة من الأعمال الجريئة، كجنائزية الأعراس، ورحلة العطش، وسرحان المنسي، وغيرها. ومسرحياته عبارة عن «حوارات ذاتية»، يقدمها ممثل واحد، يستعين بمجموعة من الأدوات التقنية التي تساعده على خلق الصراع الدرامي، ويركز على الشخصية المتنامية المركبة، وعلى اللغة الفصحى وكثرة الأسجاع والتلوينات الصوتية والإيقاعية، مما يعطي لعرضه إيقاعا هرمونيا.

المسرح الملحمي

وقدم المرحوم محمد مسكين ورقة، سماها «مسرح النقد والشهادة»، وهذا المسرح يستفيد كليا من المسرح البريختي الملحمي، لأنه يعتمد كثيرا على تقنيات التقريب والتباعد، وتكسير الجدار الرابع، مع الإلحاح على واقعية الفعل المسرحي، مسرح نفي للثابت ونقد للسائد وتعرية وإدانة لكل الهياكل المختلفة في المجتمع كما يدعو الى ضرورة التعامل مع التراث بوعي نقدي، ومع المستقبل بموقف تنبئي استشراقي.
ومن أهم أعمال المرحوم محمد مسكين «عاشور» و« نيرون السفير المتجول » و«أصبر يا أيوب»، و«تراجيديا السيف الخشبي»، و«النزيف»، و«مهرجان المهابيل»، وفي كل هذه النصوص نلمس واقعية في الطرح، ووضوحا في الرؤية وصفاء في اللغة الفصحى، وسخونة في الحوار، ودرامية في الصراع.

ومن الملاحظ أن المسرح الملحمي في المغرب يعرف رواجا كبيراً عند الهواة، لأن هذه المسرح يسمح لهم بالتعبير الساخط المتحرر عن أزماتهم، كما يسمح بتعرية التناقضات الاجتماعية بشكل نقدي وعقلاني، وهو يبيح توظيف مجموعة من الأدوات الفنية المتحررة، كتقنية التباعد والتغريب والمسرحة وتحطيم



الجدار الرابع والفضاء المسرحي المتحرك وتعدد الشخصية، انطلاقا من الممثل الواحد، هذا الى جانب واقعية الموقف وأدلجته وتثويره.

ولاشك أن المهرجانات واللقاءات الكثيرة جدا التي يقيمها المسرحيون بإشراف اتحاداتهم أو بإشراف هيئات أخرى، قد ساعدت هؤلاء الهواة على امتلاك ناصية الأدوات الدرامية

هم التجريب

وما يميز المسرح في المغرب حاليا عموما هو اهتمامه الملح بالتجريب، بقصد تأسيس مسرح متميز أصيل. ويظل التراث هو النص الحاضر باستمرار فيه، ابتداء من أحداثه وقضاياه، مروراً بأشكاله وألوانه التعبيرية، كما يتميز هذا المسرح بأنه مسرح حداثي، يعتمد خلق علاقة بين الشكل التعبيري وبين القضايا الجوهرية للمواطن العادي. وتعد اللغة العربية الفصحى الأداة الأساس في التواصل المسرحي، ولا تمثل العامية إلا نسبة ضئيلة من لغة المسرح المغربي المنطوقة، لأن اللغة المسرحية كما هو معلوم لا تقف عند المنطوق، وإنما تتجاوز ذلك الى المرئي والحركي والنفسي، غير أن طغيان التركيز على الجانب السياسي و«الأيديولوجي» يظل حاضرا بشكل كبير، خاصة عند فرق الهواة، لكن ليس بالدرجة التي نجدها في المسرح الجزائري أو الليبي. □



سقوط آخر الأوصياء على الفكر الحديث

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

يذهب كثيرون - ومنهم كاتب هذا المقال - إلى أن التغيرات التي حدثت في الدول الاشتراكية هي سقوط للنظرية الماركسية ، وهذا المقال يعرض لثلاث نظريات كانت سائدة على الفكر الأوربي طوال القرن العشرين ، ويبدو أنها آلت إلى زوال . وبين الاتفاق والاختلاف يبقى الموضوع مثيراً للنقاش والحوار .

بسقوط النظم الماركسية في شرق أوربا ، وإلى حد كبير في الاتحاد السوفيتي . يكون آخر الأوصياء الفكريين للقرن التاسع عشر قد هوى إلى الأرض ، وتناثرت أشلاء فلسفته ، بعد أن ظل أولئك المفكرون يهيمنون على الفكر والحياة والنظم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومعظم عقود القرن العشرين .

فلقد أنجب القرن التاسع عشر ، في أوربا ، وهو قرن العلم المادي الواثق من نفسه ، ثلاثة مفكرين ، أصبحوا أكثر من مفكرين ، صاروا أوصياء فكر وفلسفة لأوربا العلمانية المادية التي فقدت إيمانها القديم بأديانها .

ثالوث قديم وآخر جديد

وكان « الثالوث » الجديد الذي أحلته أوربا محل « ثالوثها » المسيحيّ القديم (الأب والابن والروح القدس) يتكون من : داروين وفرويد وماركس .

أعطت الداروينية نظرة للحياة والأحياء ، من خلال مفهوم التطور ، لم تقصر - لخطورتها

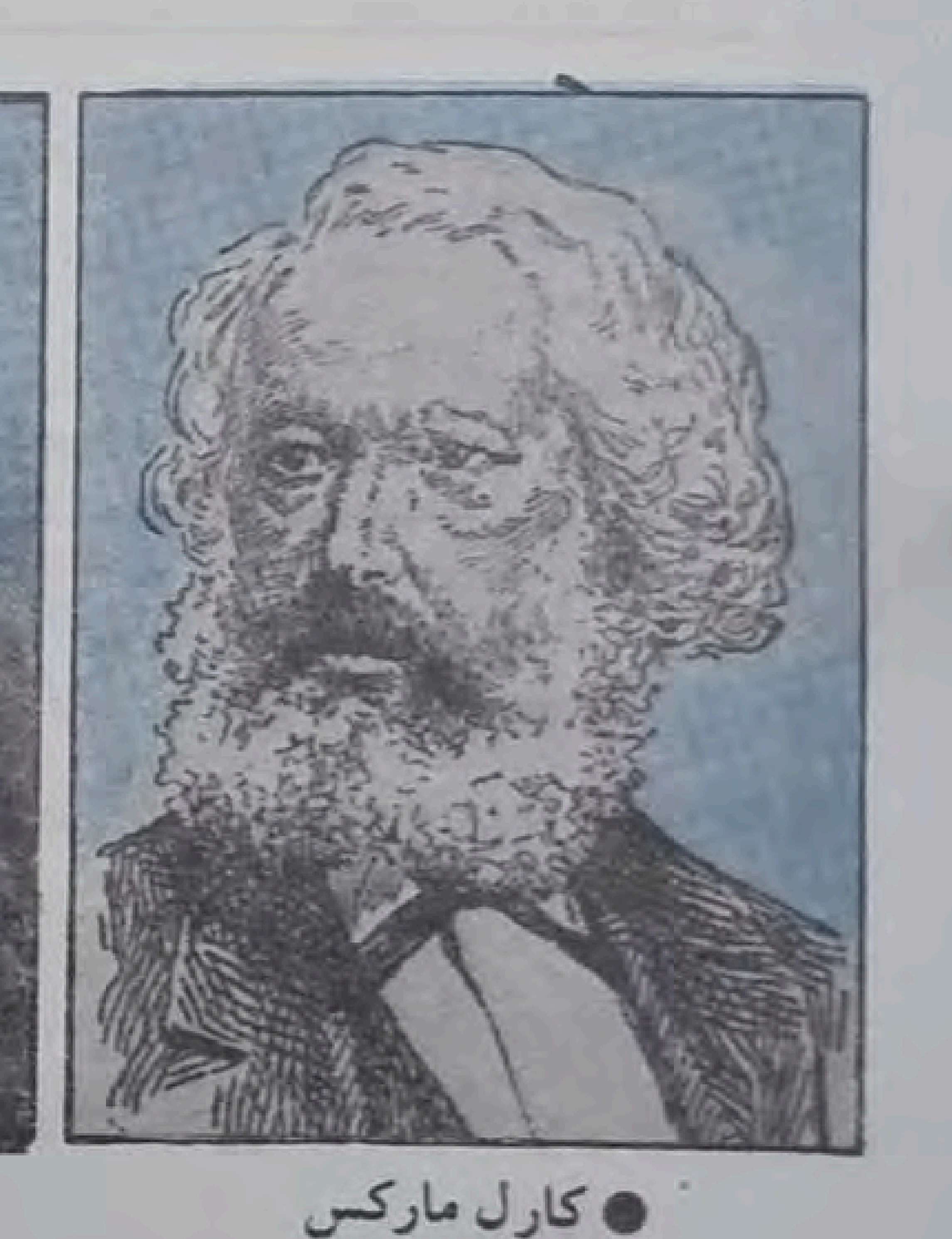
وجاذبيتها - على ميدانها العلمي « البيولوجي » الخالص . بل اقتحمت سائر مجالات الحياة وأدقها وأخطرها ، إلى صميم ظواهر القيم والأخلاق والفكر والدين التي أخضعها أصحاب التطورية الجديدة لمجهر التطور المادي ، وتعاملوا معها كما تعاملوا مع الخلية والدودة في المختبر .
وجاءت الفرويدية لتعطي نظرة مادية مماثلة للفرد الإنساني الذي أرجعته ، بالدرجة الأولى ، إلى البعد الجنسي ، واختصرته ، بكل أبعاده المتشابكة ، في بوتقته . بل ردت أعماق « اللاوعي » الذي اكتشفته فيه إلى ذلك العامل الشبقي المكبوت .

ثم جاءت الماركسية فواصلت التفسير المادي وعمّقته ، ووسعته من الفرد الواحد إلى « الجماعة » الإنسانية كلها . فغدا المجتمع بالدرجة الأولى نتاج بعده الاقتصادي المادي ومحصلته ، قبل أي شيء آخر ، وهكذا . فعلى الرغم من اختلاف مجال البحث والنظر من الفرد الواحد - لدى فرويد - إلى المجتمع الشمولي - لدى ماركس - فإن النظرة بقيت نفسها ، النظرة المادية الوثوقية المطلقة التي وضعها رواد العلم المادي في بدايات ما عرف بعصر « التنوير » الأوربي . وانطلقت منها أوربا إلى النظر إلى كل شيء في الوجود .

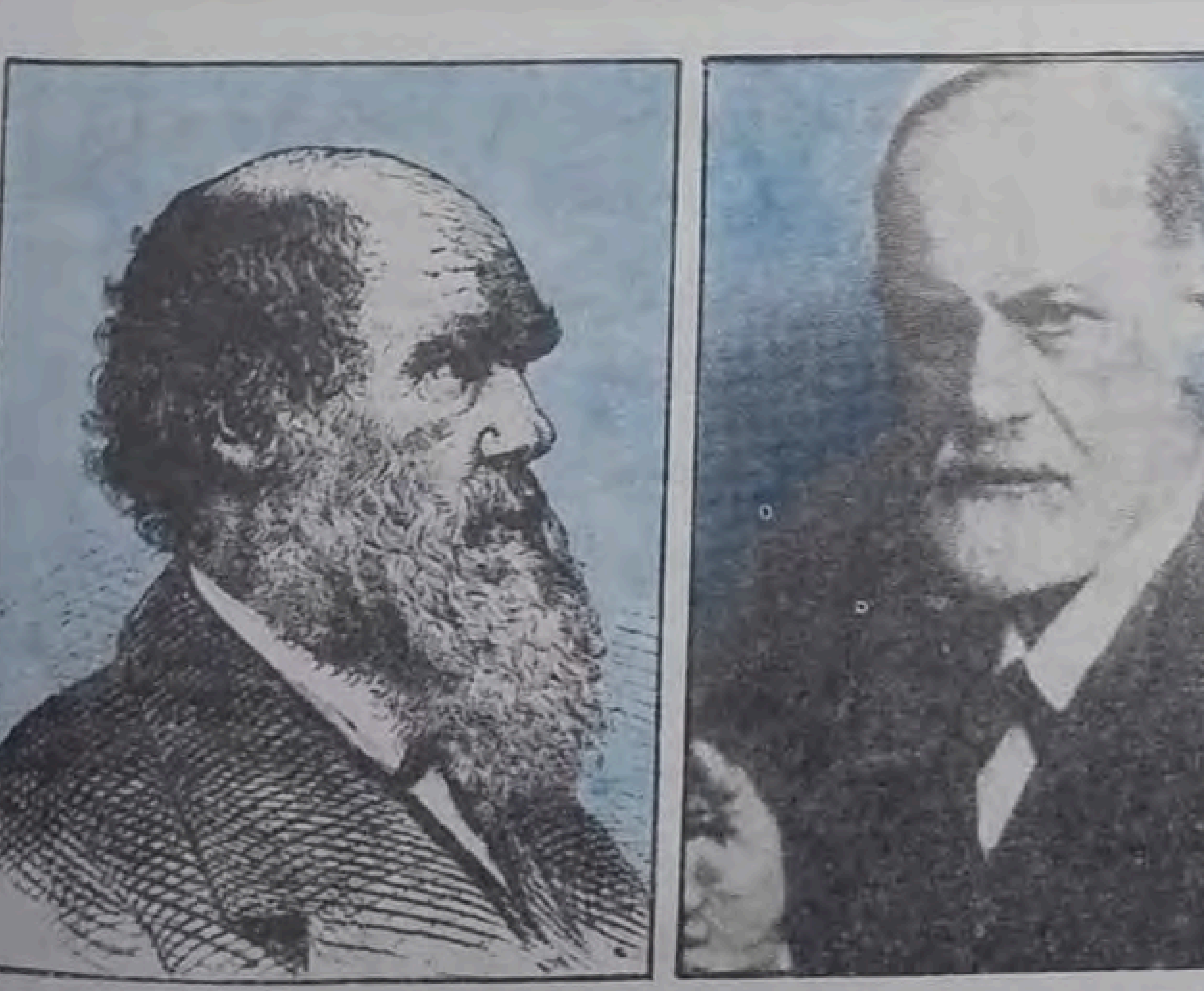
هكذا لم ينته القرن التاسع عشر ، قرن السيادة الأوربية المطلقة على العالم ، والسيادة الفكرية الكاسحة لفلسفتها المادية ، إلا و « الثالوث » الأوربي الجديد يحكم الحياة والفكرة والنظم الاجتماعية والسياسية . ليس في أوربا وحدها ، وإنما في الغرب كله ، وحيثما استطاع النفوذ الغربي الفكري أن يصل .

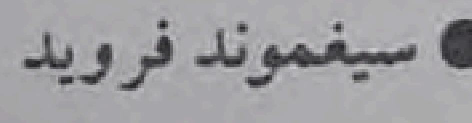
وصحيح أن القرن العشرين لم يخل من المفكرين الكبار ، إلا أنهم ظلوا بشكل ، أو بآخر ، مفسرين للثلاثة ، أو متابعين لهم ، لداروين في نظرته (للحياة) ، ولفرويد في نظرته (للإنسان) ، ولماركس في نظرته (للتاريخ والمجتمع) .

ولو أردنا اختصار التاريخ الفكري والاجتماعي والسياسي ، لثلاثة أرباع القرن العشرين ، لقلنا : إنه التأثر بهؤلاء (الفرسان الثلاثة) ، ومحاولة الغوص إلى أعماق فكرهم وتفسيره ، واشتقاق المناهج والمذاهب منه ، ثم محاولة التوفيق بينهم (خاصة لدى الفرويديين والماركسيين) ، لاستخراج النظرة الشمولية الواحدة إلى الحياة والكون ، وهي نظرة افتقدتها أوربا بين « تعددية » منازعها ، وظلت تتوق إليها دون جدوى .



● كارل ماركس





● سيغموند فرويد



● تشارلز داروين

سيادة لم تدم

ولكن في وقت ما ، مع انتصاف القرن العشرين ، بدأ السحر ينقلب على الساحر ، فقد تضاءل وهج الداروينية أولا أمام تساؤلات علماء الأحياء الجدد أنفسهم ، وتراجعت الفرويدية بداية مع تلميذه غوستاف يونغ الذي حول اللاوعي الجنسي إلى اللاوعي الروحي ، ثم جاء الطب النفسي الجديد ليجعل من التحليل الفرويدي مجرد فرضية أدبية وفنية .

وظلت الماركسية صامدة لأنها ارتبطت بمعسكر دولي وقوة عظمى ، على الرغم من التساؤلات الفكرية بشأنها ، ثم حدث الانهيار الكبير في الواقع ، ليكشف نهائيا الخلل الخطير في الفكر. وعندما تولى غورباتشوف الرئاسة الفعلية أقسم على أشياء كثيرة ، ليس بينها الماركسية العتيدة ، ولا حتى الماركسية اللينينية التي كانت ذات حَوْل وطَوْل ، ليس في العالم الشيوعي وحده ، وإنما في أوساط الماركسيين والمتمركسين في العالم كله ، بما في ذلك وطننا العربي . (وبالمناسبة فإننا لم نسمع بعد تفسيراً مقنعاً من أي ماركسي عربي ملتزم يوضح لنا كل ما حدث بطريقة « علمية » ، « ديالكتيكية » ، « منهجية » . فهل السكوت علامة الرضا ، أو أنه من هول المفاجأة التي قلبت « حتمية » انتصار الماركسية الى حتمية زوالها ؟)

هكذا تدخل أوربا ، ويدخل العالم المقتدي والمتأثر بها ، عالم القرن الواحد والعشرين ، بعد أن « تحررت » من جميع الأوصياء والعمالقة الفكريين الذين أنجبتهم في القرن التاسع عشر ؛ أي قبل قرن واحد فقط .

وتحطم « الثالوث » الجديد

بينما كان ماركس ينزل من عليائه مع المتغيرات الأخيرة ، كانت الأبحاث الوثائقية الجديدة في الوقت نفسه تكشف لنا فرويد رجلا لا يتصف بالنزاهة والأمانة العلمية ، ويزوّر في وصف الحالات النفسية لإثبات نظريته .

فهل انتهت الداروينية والفرويدية والماركسية ؟ لا جدال بأنها انتهت كنظم مغلقة ، قائمة بذاتها ، تدعي ملكها للحقيقة النهائية ، وتنفي كل ما عداها ، في وثوق جامع مانع .

أما ما بقي منها من مناهج بحث ، ومؤشرات نظر ، وخطرات فكر ، تدغم في المجرى العام للمعرفة الإنسانية (دون أحكام مطلقة ومذهبيات مغلقة) فإنه سيبقى منها ما بقي من الأفلاطونية والأرسطية والرشدية والخلدونية والهيغلية .

ومنذ الآن فصاعدا يرتسم السؤال : من سيملأ الفراغ الفكري والروحي - في أوربا والغرب - مكان الأسلاف الفكريين المتهاوين ؟ أي فكر جديد وأيُّ توجهات بديلة ؟ هل تحل التقنية محل « الأيديولوجيا » كما يقولون اليوم ، أو يظل الإنسان - وسيظل - بحاجة إلى فكر ، واعتقاد ، ونظر ، يوجه كينونته الإنسانية ، ويعطي الحياة والكون معناهما ؟

درس لنا

ثم يبقى لنا - نحن العرب - من هذه العبرة البالغة درسها الأخير الخطير ، إذا كانت أوربا قد تحررت من أسلافها الفكريين المهيمنين على حياتها وتفكيرها ، خلال فترة لا تتجاوز القرن من بداية سطوتهم - على الرغم من سطوتهم العلمية البالغة - وأعادت النظر في أسس فكرهم ، وبدأت تبحث لحياتها عن حقائق جديدة ، ونظم جديدة ، بمعزل عن تأثيراتهم ، ومقولاتهم التي تجاوزها الزمن وتطور الحياة والواقع .

فكم قرناً سيحتاج العرب لإعادة النظر في هيمنة أسلافهم الفكريين المهيمنين عليهم منذ قرون طويلة ، هيمنة المذهبيات المغلقة ، والأحكام القاطعة ، غير القابلة للحوار والبحث والسؤال ؟

ذلك هو السؤال . □

الجديد في العلم والطب

إعداد : يوسف زعبلاوي

هل الأزت هو العلاج الوحيد للأيدز ؟

الجواب عن هذا السؤال مزدوج ، يشمل لا و نعم في آن واحد ، فالأزت هو المستحضر الوحيد الذي رخصته وكالة الغذاء والدواء (FDA) لمعالجة الايدز حتى الآن ، لكن هذا المستحضر لم يعد هو المستحضر الوحيد الذي يصفونه لمرضى الإيدز في أمريكا على أقل تقدير ، فثم مستحضر آخر يسمونه باختصار (ddi) ، لم ترخص وكالة الغذاء والدواء وصفه للمرضى وبيعه في الصيدليات ، لكنها رخصت باستعماله على سبيل التجربة ، وعلى نطاق واسع .

فقد وزع المستحضر الجديد على (٢٦٠٠) مريض من نزلاء المستشفيات المصابين بمرض الايدز ، أو بأحد الأمراض التي تمت له بصلة ، وسيوزع مجانا على الآلاف من مرضى الإيدز الذين لاتسمح لهم ظروفهم المادية بشراء مستحضر الازت ، الباهظ الثمن .

وما كانت وكالة الغذاء والدواء لتسمح بهذا وذاك لولا أن التجارب المخبرية والميدانية قد أثبتت أن المستحضر الجديد واسمه الكامل (Dideoxyinosine) (ديديوكسينوزين) يضاهي الازت في فاعليته العلاجية ، ويمتاز عنه في قلة آثاره الجانبية .

حقا لقد تسبب المستحضر الجديد بتلف أعقاب الأقدام عند بعض المرضى وبتورم البنكرياس عند بعضهم الآخر ، لكن هذه الأعراض الجانبية سرعان ما اختفت . بيد أن المستحضرين لايحققان أكثر من الحد من انتشار هذا الوباء ، ولو جزئيا ، ولا أكثر من تحقيق الشفاء منه ، ولو في بعض حالاته ، لا كلها ، فالايدز وباء فيروسي ، ولا سبيل إلى كبحه ووضع حد لتفشيه إلا باللقاح المناسب ، والتلقيح الواسع النطاق ، والظاهر أنهم قد عثروا على اللقاح الذي يبدو مناسبا ، ووضعوه موضع التجربة في المدة الأخيرة .

وتجدر الإشارة إلى أن وكالة الغذاء والدواء تضع شروطا قاسية لترخيص العقاقير الجديدة ، لكنها تبدي مزيدا من المرونة والتساهل في ما يتصل بعقاقير مرض الأيدز ، فالسرعة التي انتشر بها الوباء ، والمخاطر الهائلة التي باتت تهدد بالفناء حشود البشر المصابين بالايدز ، حملت الوكالة المذكورة على انتهاج السياسة المرنة التي أخذت تنهجها تجاه عقاقير العلاج منه .

● الأطفال أصبحوا أكثر عرضة للإصابة بمرض الايدز نتيجة لنقل دم موبوء بالمرض وحقنهم بإبر ملوثة .

تحري الحمل بدون طبيب

نجحت احدى الشركات البريطانية الكبيرة في تطوير أداة صغيرة ، تقوم بمهمة تحري الحمل بسرعة وبسهولة ، وبقدر من الضبط والدقة ، لاتقل نسبته عن ٩٩٪ .

والأداة المبتكرة بحجم القلم الذي نكتب به ، تضعها المرأة في بولها مدة خمس ثوان ،وتنتظر بعد ذلك ثلاث دقائق ، فإن ظهر الخط الأزرق في إحدى النافذتين الموجودتين على الأداة - الكبرى منهما على الأخص - فإن المرأة حامل ، أما إن ظهر خط أزرق ثان في النافذة الأخرى الصغرى ، فمعنى ذلك التأكيد بأن الفحص قد جرى دون أخطاء ، وأن النتيجة التي دل عليها الخط الأول صادقة ومضبوطة ٩٩٪ .

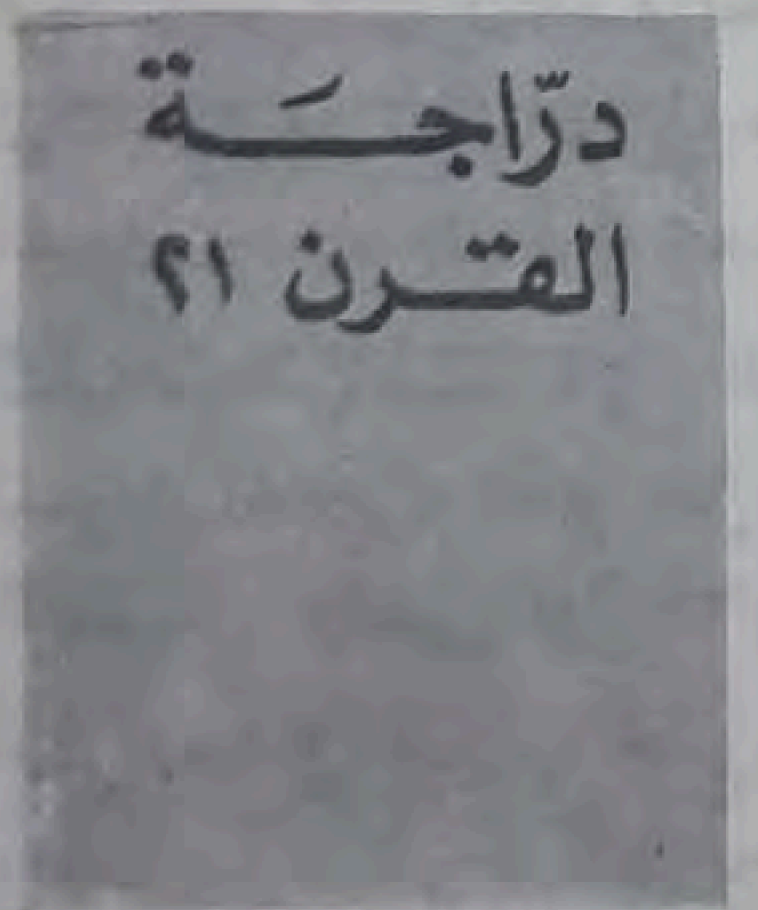
ويشترط في الفحص أن يُجرى على بول الصباح الأول لأن هرمون الحمل (hcg) يكون أكثر كثافة في أول بول بعد الاستيقاظ من النوم .

أما الكيفية التي تعمل بها أداة الحمل الجديدة ، وقد سموها (كليربلو) فتعتمد على الأجسام المضادة ، إذ يصعد البول ، لدى تشبع رأس الأداة به ، عبر فتيلة ماصة ، مصنوعة من السلولوز ، ويتفاعل البول مع أجسام مضادة .

ثم يتفاعل مع جسم مضاد واحد معد لالتقاط اللون الأزرق في حالة وجود هرمون الحمل .

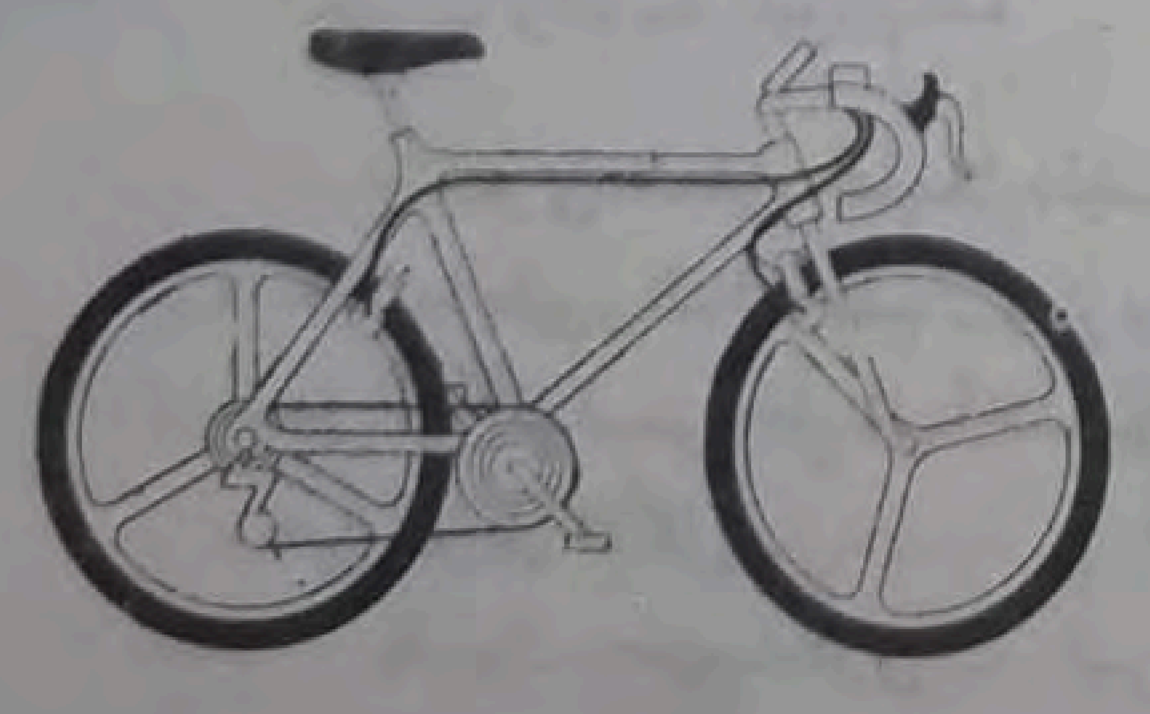
ويمضي البول بعد ذلك إلى جسم مضاد ثان معد للتأكد من الضبط . وتتميز الأداة في أنها تكشف الحمل ابتداء من اليوم الأول لتوقف العادة الشهرية .

□□□

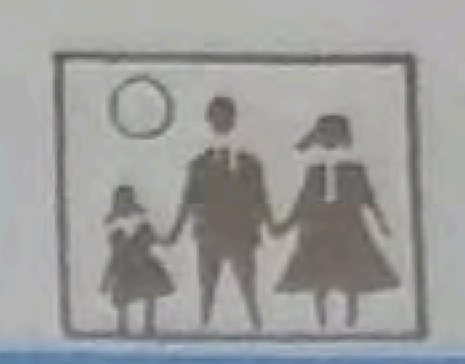


صناعة الدراجات الهوائية صناعة محافظة إلى حد كبير ، فقد افتقرت إلى التجديد والابتكار اللذين نعمت بهما صناعة السيارات أو صناعة الحواسيب أو غيرها من الصناعات . من هنا كان التجديد الذي يمكن أن يحدث في صناعة الدراجات موضع ترحيب كبير .

بيد أن الدولاب الجديد الذي ابتكر للدراجات الهوائية يبدو كأنه خطوة إلى الوراء ، لاقفزة إلى الأمام ، فلو نظرت اليه ورأيت القضبان الثلاثة التي تملأ وسطه بدلا من ٣٦ قضيباً تملأ وسط الدولاب القديم ، لظننت أنه دولاب فرعوني أو آشوري ، عمدوا الى تصويره بهذه الصورة الملونة ، بقصد الدعاية للمتحف الذي يوجد فيه هذا الدولاب .



ومع ذلك فإن الدولاب ذا القضبان الثلاثة يفوق الدولاب ذا القضبان الستة والثلاثين من حيث السرعة . فقد قطع مسافة مائة ميل ، بمدة تقل عشر دقائق عن المدة التي قطع فيها الدولاب القديم المسافة نفسها . أضف إلى ذلك أن الدولاب الجديد يصنع من ألياف الكربون وألياف صناعية أخرى تسمى (كفلر) ، وتصنعها شركة دي يونت الأمريكية . □



سلامة البشرية في سلامة البيئة

تلف طبقة الأوزون أخطر مما تصورنا

نشرت مجلة « سيانس » بحثاً خطيراً لعالمين من علماء البيئة في وكالة « ناسا » هما « مايكل برادر » « وروبرت واطسون » ، وتدور الدراسة حول احتمالات رأب الصدع الذي حل بطبقة الاوزون التي تعلو القارة القطبية الجنوبية .

وتضمنت الدراسة الجزم بأن من شأن كل سنة من التأخر عن الحد من استعمال المواد المتلفة للأوزون (الكلوروفلورو كربونات) أن تتسبب بالتأخر ٣ سنوات من الوقت الذي يحتاجه رأب الصدع وعودة طبقة الاوزون الى حالتها السوية .

وتطالب الدراسة بوضع حد نهائي وقاطع لأستعمال المواد المتلفة للاوزون ، وذلك في القرن الواحد والعشرين وبدءاً من بدايته سنة ٢٠٠١ ، فذلك هو الضمان الوحيد لتقليص مقادير « الكلورين » الموجودة في الجو قبل سنة ٢١٠٠ ، بحيث يصبح هذا الكلورين الجوي أقل من جزئين في كل بليون جزء (الف مليون) ، إذ أن هذه النسبة تمثل الحد الادنى الذي يشترط لرأب الصدع في طبقة الاوزون ، وعودة هذه الطبقة الى حالتها.

مأساة بيئية تحير العلماء

ثمة فصيلة من طير البطريق ، تعرف باسم البطريق ذي العيون الصفراء،وهي قليلة العدد ، ونادرة في عالم الحيوان . هذه الفصيلة تتعرض للانقراض، لهذا فزع العلماء للموت المفاجيء الذي حل بهذه الفصيلة ، وقضى على ٦٠٪ من أفرادها في غرب جزيرة « أوتاجو » الواقعة في بحار الجنوب والتابعة لنيوزيلندة .

وأجرى العلماء تحليلا دقيقاً لجثث الطيور النافقة فلم يعثروا على أي أثر لسم دخل الى أجسامها عن طريق الأكل .

يقول جوب دربي ، رئيس متحف اوتاجو ، : حسبنا دليلاً على جهل العلماء بالبطريق ، بصورة عامة ، أنهم لم يستطيعوا حتى الآن تحديد سبب موت البطريق المصفر العينين ، بنسبة تهدد بانقراض الفصيلة بأسرها .

غاز نظيف من فحم غير نظيف

يعتقد كثيرون من العلماء أن في الإمكان تحويل الفحم الحجري الى غاز بطريقة علمية نظيفة إلى حد كبير ، ذلك أن التلوث كان هو الطعن الوحيد في طرق تحويل الفحم الى غاز ، والعائق الأهم الذي حال بينها وبين وضعها موضع التنفيذ ، من هنا كان البرنامج التطبيقي الذي قررت السلطات المعنية - وكلها حكومية - في بريطانيا القيام به ، بقصد إثبات خطأ ذلك الطعن ، وستبلغ تكاليف البرنامج التطبيقي - أو التجريبي - (٨) ملايين جنيه استرليني .

البيئة وأثرها في
الساعة "البيولوجية"

يتحدث بعض العلماء والأطباء عن علم جديد، يسمونه الكرونو بيولوجي Chronobiolgy ؛ أي العلم الذي يعنى بدراسة التقلبات «البيولوجية» التي تحدث لأنماط الجسم الحي الإيقاعية (rhythmic) ، تبعا للتغييرات البيئية ، (بما في ذلك التغيرات الفلكية والجغرافية وغير ذلك) التي يتعرض لها ذلك الجسم. والمقصود بالأنماط الايقاعية هنا شيء آخر غير الأنماط الإيقاعية الموسيقية ، وإن كانت هاتان الفئتان من الأنماط متشابهتين ، فالجسم الحيّ مكون من أعضاء تؤدي وظائف مختلفة ، ويفترض بتلك الوظائف المختلفة أن يكون بعضها منسجما مع بعضها الآخر وإلا حل الارتباك محل الانسجام ، وظهرت آثار ذلك الارتباك في أرق يصيب ذلك الجسم ، أو نعاس يغلب عليه ، أو تكاسل ، أو حضور ذهني ، أو ارتفاع في درجة الحرارة أو في ضغط الدم ، أو اكتئاب .

أما الساعة «البيولوجية» فهي ذلك الجهاز الذي لايخلو منه جسم حي ، ويتحكم في تقلبات الإيقاعات البيولوجية في ذلك الجسم . وهذا الجهاز غامض إلى حد ما ، فهو يفتقر الى الوضوح المألوف في الأعضاء الأخرى ، كالرئة والقلب والكبد وسائر الأعضاء المعروفة . وقد يمضي زمن طويل قبل أن تكتسب هذه الساعة البيولوجية مثل ذلك الوضوح ، سواء في بيئتها أو وظيفتها تبعا للتقدم الذي قد يحرزه العلم الجديد «الكرونوبيولوجي» .

ونذكر من التقلبات الإيقاعية التقلبات اليومية ، (ومداها نحو ٢٤ - ٢٤,٨ ساعة) وترتبط هذه التقلبات إما بتعاقب الليل والنهار ، أو تعاقب المد والجزر ،

أما الإيقاعات الشهرية ، ويبلغ مداها بالمتوسط ٢٩,٥ يوما ، فتتجلى أكثر في أنماط التكاثر التي عرفت عن كثير من النباتات والكائنات البحرية .

وتحدث بعض التقلبات الإيقاعية تبعا لتغيرات في حرارة الجسم أو ضغط الدم ، إلا أن أكثرها يحدث وفقاً لتغيرات بيئية ، بما في ذلك التغيرات الفلكية والجغرافية ، كتعاقب الضوء والظلام ، والشروق والغروب .



● المهندسة ستفانيا فوليتي وتجربة الساعة «البيولوجية» .

من هنا كانت التجربة التي أجريت في نيومكسيكو في الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت بطلتها مهندسة ديكور إيطالية ، اسمها ستفانيا فوليتي ، وعمرها ٢٧ سنة . فقد قضت الفتاة (١٣١) يوما في كهف ، بل في زنزانة بنيت لها من مادة «بلكسيجلاس» ، في ذلك الكهف ، وحجمه ٢٠ × ١٢ قدما ، على عمق ٣٠ قدما . المهم في التجربة بقاء مهندسة الديكور في منأى عن الشمس وضوئها مدة طويلة بلغت حوالي ثلث سنة ، وقد حرمت من كل الوسائل التي تقيس بها الزمن . فماذا كانت النتيجة ؟


١ - امتد احساسها بالزمن حتى بلغ يومها في النهاية ٤٨ ساعة بدلا من ٢٤ ساعة .

٢ - أصبحت عرضة للنوم (٢٢ - ٢٤) ساعة متواصلة بدلا من (٦ - ٨) ساعات . وقل مثل ذلك في فترات الصحو التي امتدت نحو (٣٠ ساعة) .

٣ - ضعفت شهية الطعام عند الفتاة ، وقلت وجباتها ، ونقص وزنها حوالي ١٧ رطلا .

باختصار : حل الارتباك في ساعاتها البيولوجية محل الانتظام ، وتغيرت أنماط جسمها الإيقاعية ، نظرا لبقائها في معزل عن الشمس تلك المدة الطويلة . □


العربي
عيونك
على العالم


استطلاع / الدكتور حسن عباس
تصوير / سليمان حيدر
المجر
تعددية تبحث
عن هويّة

في أعقاب الأحداث التي هزت دول أوربا الشرقية ، في نهاية العام الماضي ، ومطلع هذا العام ، أوفدت «العربي» بعثة إلى المجر في مارس ١٩٩٠ .

وقد عاد الزملاء من تلك الزيارة بالاستطلاع الآتي الذي يتتبع الأحداث بالقلم والصورة .

في دار الثقافة بمدينة بودابست ، وهي المبنى الفخم الذي يكسو جدرانه الرخام ، والذي كان إلى عهد قريب صرحا من صروح الحزب الشيوعي المجري ، تجمعت أعداد من حزب الديمقراطيين الأحرار المعارض ، وهم يمارسون دعايتهم الانتخابية ، تمهيدا للانتخابات العامة التي تمت في ٢٥ (مارس) آذار الماضي ، لاختيار ٣٨٥ نائبا ، هم أعضاء مجلس النواب المجري . بلغت الحماسة بأحد الخطباء حدا جعله يصرخ معلنا : «لنضع حدا للنظام القائم» ، ثم علت أصوات المغنين

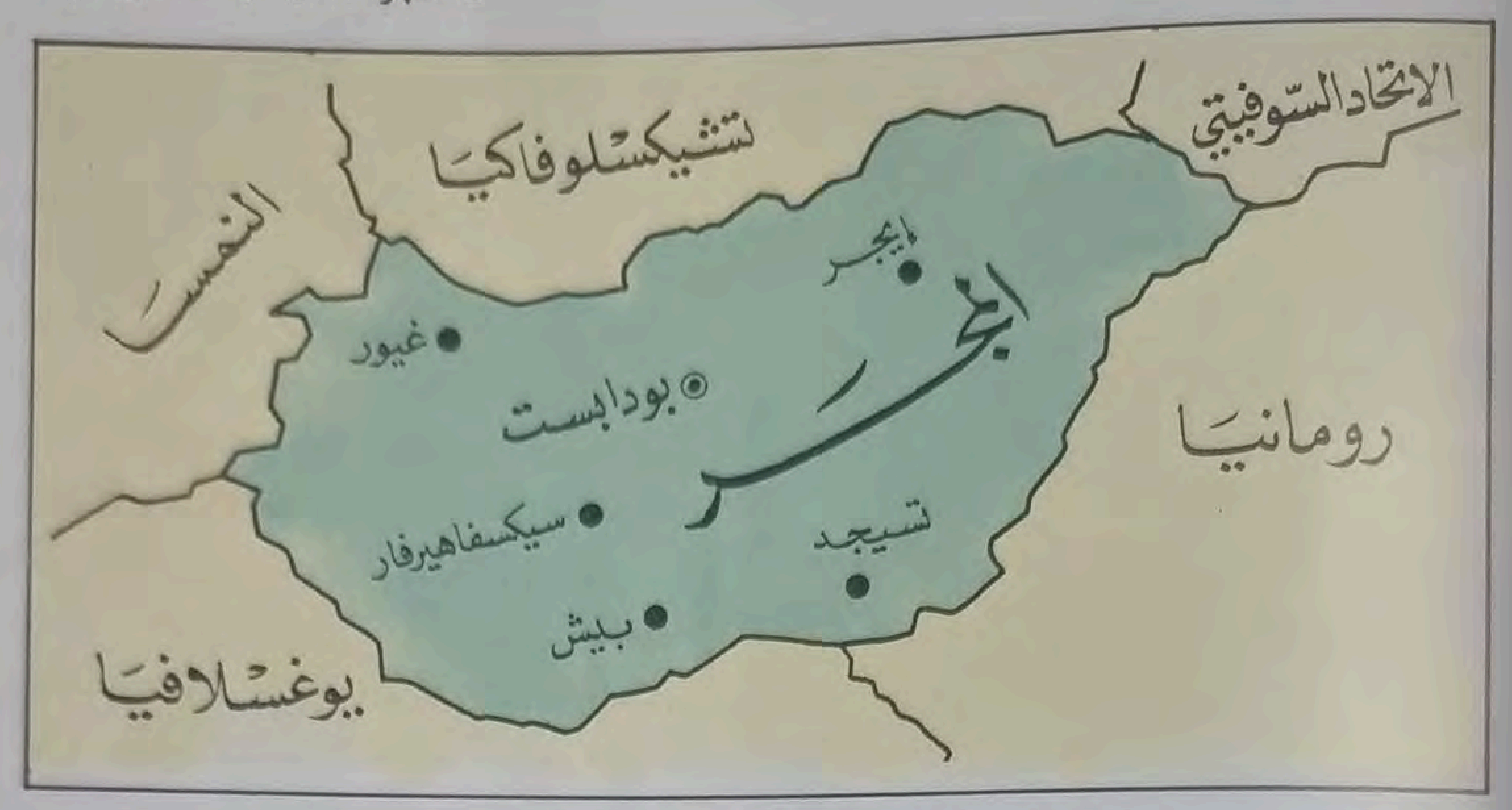
● برج لكنيسة قديمة في قرية تيهاني .

الملتحين بأغنيات احتجاج وثورة لتعقبها صيحات الأنصار المدوية : كفاكم أيها الرفاق .

وفي أنحاء شتى من المدينة انتشرت جماعات من حزب «المنتدى الديمقراطي المجري» ، وقد كان خطباؤها يتبارون في ذكر مساويء العهد القائم ، ويغدقون الوعود ، ويمنون الناس بالأماني ، ويحثون الناخبين على حسن اختيار ممثليهم ، ويقول قائلهم : «تعالوا إلى سوق المنتدى» ، وهو سوق كبير ، تعرض فيه الخضراوات واللحوم والفواكه ، بخصم يصل إلى ٣٠٪ ، ويستطرد : «إننا من دعاة السوق الحرة ، ونحن نريد أن نريكم أننا ـ بإزاحة الشيوعيين ـ قادرون على بناء اقتصاد المجر على نحو أفضل» .

ثورات التغيير

يبدو أن الثورات السلمية ـ وبعضها دموي ـ التي عصفت بعدد من أقطار أوربا الشرقية في عام ١٩٨٩ ومطلع عامنا هذا ، قد حسمت الموقف لصالح التغيير ، ثم جاءت الانتخابات النيابية أو الاستفتاءات الشعبية لتعطي ذلك التغيير صفة تشريعية ومباركة شعبية . وفي المجر كانت الحملة الانتخابية ضارية ، دون أن يكون للحزب الشيوعي دور يذكر فيها . كان التنافس على أشده بين الأحزاب ، على الرغم من ضيق الفوارق بين أهدافها ، تلك الأهداف التي كان في طليعتها إبعاد الشيوعيين وإنهاء حكمهم . ولكن الحرص على سيادة الروح الديمقراطية



● خارطة المجر وعليها بعض المدن المهمة والبلدان المجاورة .

حال دون أن يشوه العنف والفوضى تلك التجربة التي أتيحت للمجريين ، لأول مرة منذ أكثر من ٤٠ سنة ، وهي السنين التي قضاها الحزب الشيوعي في السلطة . لقد انتظروها طويلا ، ومع الانتظار ترقب وقلق ، لم تكن تخفيهما العيون ولا ملامح الوجوه .

كان الحزبان الرئيسان يتسابقان في الإعلان عن الرغبة في محو آثار الحكم السابق ، لكن حزب المنتدى المجري يخشى من أن تؤدي إزالة الاشتراكية بسرعة إلى نوع من الفوضى . أما الديمقراطيون الأحرار فهم يودون التخلص من كل أثر من آثار ذلك الحكم دون إبطاء . ولا يقصر اندفاع الحزبين الرئيسين نحو الغرب على خططهما في الداخل ، بل يتعدى ذلك إلى السياسة الخارجية أيضا ، فكلاهما يسعى جاهدا إلى إعلان سياسة تؤدي إلى سحب القوات السوفيتية من المجر ، ولم يخفيا القول في دعايتهما الانتخابية أنهما في حال وصولهما إلى السلطة سوف يسعيان إلى الانسحاب من حلف وارسو . إن الملصق الإعلامي الذي تبناه حزب المنتدى المجري يلخص الموقف على نحو معبر : يظهر في الإعلان ضابط سوفيتي وقد أدار ظهره ، فبدت رقبته بطبقاتها الشحمية المتراصة ، وقد كتب على قفاه : الوداع أيها الرفيق .

اندفاع نحو التعددية

يخرج المرء - في مجال الحياة الحزبية الجديدة في المجر - بانطباعين : الإقبال الشديد على التعددية ، والرغبة الملحة في الديمقراطية ، فلو اطلعت على أعداد الأحزاب المجرية التي لم يمض على السماح لها - رسميا - بالإعلان عن تأسيسها سوى عام وبعض عام ، لوجدت التعددية تخرج بها عن الحد المقبول ، فقد بلغ عدد الاحزاب التي أعلن عن تأسيسها ٥٦ حزبا ، فإذا علمت أن عدد سكان المجر لا يجاوز عشرة ملايين نسمة إلا قليلا أيقنت أن هذا العدد قد جاوز الحكمة من التعددية نفسها . وقد أدرك الناس الكثرة المفرطة ، فتقلص العدد إلى ١٢ حزبا ، وهي التي دخلت الانتخابات العامة . هذا عن التعددية ، أما عن الديمقراطية فإن معظم هذه الأحزاب قد جعلت من الديمقراطية قاسما مشتركا في أسمائها . أكبرها هو «المنتدى المجري الديمقراطي» ، حصل على

١٦٤ مقعدا في المجلس النيابي ، ويليه «التحالف الليبرالي للديمقراطيين الأحرار» ، حصل على ٩٢ مقعدا ، ثم «حزب الشعب الديمقراطي المسيحي» ، حصل على ٢١ مقعدا ، و «اتحاد الديمقراطيين الشباب» حصل على ٢٤ مقعدا ، وغيرها ، وهذه هي الأحزاب السياسية المؤثرة في الحياة العامة على النحو الذي تمخضت عنه الانتخابات ، ولا شك أن انفراد الحزب الشيوعي المجري بالسلطة طوال أربعين سنة أو أكثر كان السبب المباشر لنشأة هذه الأوضاع . وللتوجهات الجديدة التي تمخضت عنها ، وهي توجهات تجعل من نظام السوق الحرة في الاقتصاد ، ومن الديمقراطيات الغربية في السياسة أهدافا لها لاتمارى في ذلك ولا تخفى .

الأسباب والدواعي

لم تأت هذه التغيرات الكبيرة من فراغ ، بل كان لها أسبابها ودواعيها في الحياة المجرية ، على الصعيدين : السياسي والاقتصادي . أما على الصعيد السياسي فإن الانتخابات قد جاءت في الذروة من أحداث غير عادية ، شهدتها المجر في العام الماضي . كانت الأحزاب قد بدأت تظهر سرا ، وما أن حل العيد الوطني المجري في ١٥ (مارس) آذار ١٩٨٩ ، (وهذا التاريخ يشير إلى انتفاضة المجر الكبرى في ١٥ (مارس) آذار ١٨٤٨ ضد حكم آل هابسبورج النمساوي) ، حتى انطلقت مظاهرة سلمية ، بلغت من الدقة والتنظيم والضخامة حدا أدخل الروع في نفوس أعضاء الحزب الشيوعي الحاكم ، جعلهم على يقين من أن الزمن قد تغير ، خرج أكثر من مليون نسمة ـ يسكن بودابست حوالي مليونين ونصف مليون من السكان ـ يجوبون شوارع العاصمة ، تتقدمهم باقات ورود ، وليس لهم من هتاف إلا المطالبة بالحرية . وهنا وقفت السلطة عاجزة عن أن تفعل شيئا .



ثم حلت ذكرى الزعيم المجري «امرى ناج» الذي تزعم حركة التصحيح والإصلاح وأعدم في أعقاب دخول القوات السوفيتية بودابست والمدن الأخرى سنة ١٩٥٦ .

قبل حلول الذكرى بأسابيع قليلة كان المتظاهرون قد أخرجوا عظام ناج من قبره ، ووضعوها في تابوت ، سارت خلفه جموع



● مظاهرة سلمية تأييدا لأحد الأحزاب المشاركة في الانتخابات .

غفيرة . وقد أحييت تلك المظاهرة ذكرى «امرى ناج» ، وجعلته زعيما تاريخيا للحركة الوطنية . مرة أخرى وجدت السلطة نفسها عاجزة عن أن تفعل شيئا .

لم تدخل هذه الأحداث حيز التاريخ بعد ، فإن حرارتها لازالت تلمس في أحاديث الناس . تقول الدكتورة اثيلا شورجو ، وهي شاهدة عيان : «خرج في جنازة ناج الرمزية مئات الآلاف من الشباب والشيوخ .. مظاهرة شعبية ضخمة ، تشهدها بودابست ، دون أن يشترك الحزب الشيوعي فيها» ويقول الطالب الجامعي اسطفان جورج : «كنا نسير في الجنازة الرمزية وفي نفوسنا مزيج من المرارة والكبرياء .. لكننا سعداء بتحدينا للخوف» .

زوال مظاهر الحكم

كانت هذه المظاهرة حدا فاصلا بين عهدين ، وقد أعقبتها مظاهرات أخرى ، توجهت نحو السفارة السوفيتية ، تطالب بخروج القوات السوفيتية المرابطة في المجر .

وقد بدأ انسحاب هذه القوات في ذكرى العيد الوطني الماضي (١٥ مارس ١٩٩٠) ، وهذه هي المرة الأولى التي سمع فيها صوت المتظاهرين مطالبا بخروج السوفييت . ثم جاء مؤتمر الحزب الشيوعي العام الذي عقد في نوفمبر الماضي ، ليضع حدا لمشاركة حزب العمال الشيوعي المجري في الحياة السياسية ، فقد انشق عنه كثير من أتباعه ، ليؤسسوا حزبا يعرف الآن باسم «الحزب الاشتراكي المجري» ، (يمثله في مجلس النواب المنتخب ٣٣ عضوا ، وتبلغ نسبتهم إلى مجموع أعضاء المجلس حوالي ١٠٪) ، أما الحزب الشيوعي المجري فلم يحصل مرشحوه على نسبة ٤٪ ، وهي الحد الأدنى لنيل عضوية المجلس النيابي ، والمشاركة في اجتماعاته . ليس هذا فحسب ، بل إن مظاهر السلطة التي رافقت الحكم القديم طوال الأربعين عاما الماضية قد زالت . أنزلت النجمة الحمراء التي كانت تعلو مبنى مجلس النواب ، ذلك الصرح المعماري المهيب المطل على نهر الدانوب ، وغيره من المباني الرسمية ، وألغيت شارة المنجل والمطرقة ، وأزيلت تماثيل ماركس ولينين من الساحات العامة ، ومصيرها الآن موضع خلاف : هل تحطم وترمى أو توضع في حديقة عامة ، لتصبح متحفا يؤمه الزائرون ، بوصفها تراثا من الماضي ؟ وهذا الاقتراح هو الذي تقدمت به أحزاب المعارضة التي آلت إليها السلطة الآن .

بانتخاب المجلس النيابي الحالي الذي ظفرت فيه المعارضة (على اختلاف أحزابها) بأكثر من ٩٠٪ من مقاعد المجلس ، وبتشكيل حكومة

جمهورية المجر

* تقع المجر في وسط أوربا ، وتبلغ مساحتها ٩٣,٠٣٢ كم٢، وتأتي هذه المساحة في المرتبة السادسة عشرة بين بلدان أوربا .

* يبلغ طول المجر من الشرق إلى الغرب ٥٢٨ كم ، وعرضها من الشمال إلى الجنوب ٢٦٨ كم .

* بودابست هي العاصمة ، ويسكنها حوالي مليونين ونصف مليون ، وهناك أيضا ثماني مدن مهمة أخرى ، يجاوز عدد سكان الواحدة منها مائة ألف نسمة ، منها مثلا : غيور ، وبيتش ، تسيجد ، وميسكولك وغيرها .

* عدد سكان المجر حوالي عشرة ملايين ونصف مليون نسمة .

* العملة المستعملة هي «فورنت» ، وكل ١٠٠ دولار تعادل ٦٠٠٠ فورنت تقريبا .

* أهم أنهار المجر نهر الدانوب الذي يسير في الأراضي المجرية مسافة ٤١٧ كم ، ثم يليه نهر تيسا الذي يقطع ٥٧٩ كم ، وفيها أيضا بحيرة بالاتون ، وطولها ٧٧ كم ، ومعدل عرضها ٥ كم ، وأقصى عرض لها ١٤ كم .

* خضعت المجر للاحتلال التركي من عام ١٥٤١ حين وصلوا شمالا إلى مدينة بودا (نصف العاصمة المجرية الحالية) وتحررت في عام ١٦٩٩ ، ثم تكونت من المجر والنمسا امبراطورية مشتركة تحت حكم أسرة آل هابسبورج ، وفي عام ١٨٤٨ قامت ثورة عارمة على أسرة هابسبورغ انتهت باستقلال المجر .

* دخلت المجر الحرب العالمية الأولى إلى جانب المانيا ، وخسرت ثلثي أراضيها بعد الهزيمة بموجب معاهدة تريانون الموقعة في باريس عام ١٩٢٠ .

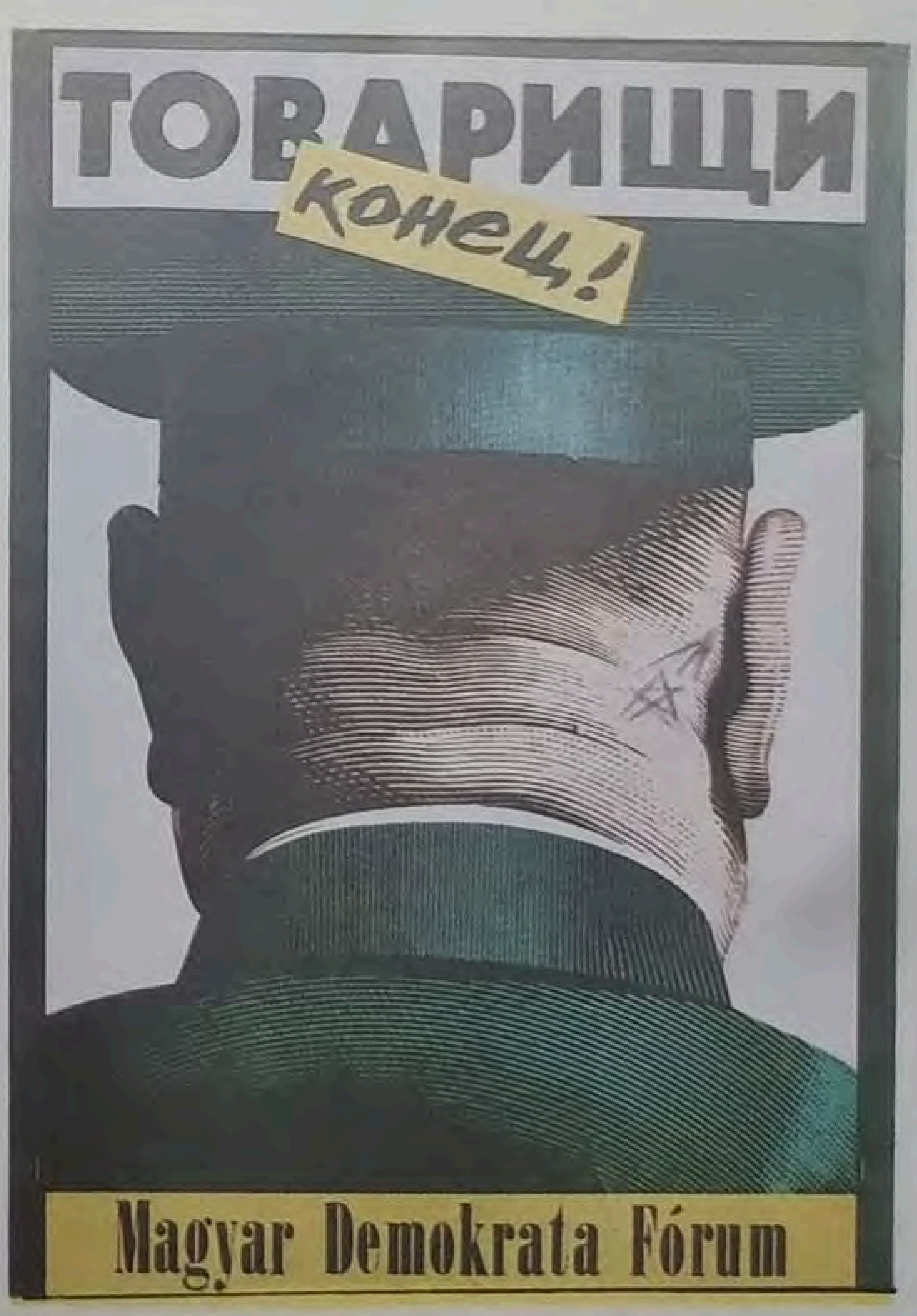


● شارع خاص بالمشاة في قلب العاصمة حيث يكثر الناس والمتاجر.

منبثقة عنه تكون ثورة المجر السلمية قد استكملت هياكلها وأطرها السياسية ، وبات لزاما عليها الالتفات إلى الأوضاع ، بل الأزمات الاقتصادية التي كانت بدورها سببا مباشرا من أسباب تلك الثورة ، ولعلها السبب الأكثر أهمية وإثارة .

أزمة اقتصادية أو أزمة مجتمع

تبلغ ديون المجر الخارجية الآن حوالي ٢٣ مليار دولار ، وهو الرقم الأعلى في مديونيات أقطار أوربا الشرقية . ويبلغ مستوى التضخم ٣٠٪ ، وذلك يعني ارتفاعا كبيرا في تكاليف المعيشة . فهل في وسع الحكومة الجديدة مواجهة هذا العجز ، وإيجاد الحلول المناسبة للمشكلات الاقتصادية ؟ يقول معلق اقتصادي أمريكي ، هو شالز جاتي : «لا أحد يتوقع أن تحل الديمقراطية كل مشكلات المجر الملحة حلا سريعا ، لكنها تمثل بداية سليمة على الأقل» .



● وداعا أيها الرفيق .

ويستدرك نائب وزير المالية المجري ، سيجموند جاريا بقوله : «إن ما تواجهه المجر الآن ليس أزمة اقتصادية ، بل هو أزمة مجتمع» . ومهما يكن من أمر فإن الأزمة الاقتصادية أو المجتمعية هي التي فرضت التغيير فرضا وهيأت أسبابه .

ترجع بدايات الأزمة الحالية إلى الوضع الاقتصادي الجديد الذي نشأ عن التغيير في البنية الاقتصادية بعد عام ١٩٤٧ ، وهو العام الذي تولى فيه الحزب الشيوعي المجري السلطة في البلاد . يقول الدكتور ينو زانسي ، نائب مدير غرفة تجارة المجر : «في ذلك العام بدأت السلطة بتطبيق خطة اقتصادية جديدة ، قوامها ملكية الدولة لوسائل الإنتاج ، وهذا يعني تعثر القطاع الخاص واضمحلال دوره ، لقد تم إنشاء شركات ، وكانت هذه الشركات تدار من المكاتب ، إذ أن هناك تعليمات يصدرها المدراء للعاملين ، وعلى هؤلاء التنفيذ الدقيق . إنه نظام شبيه بالنظام العسكري : أعني النظام الاقتصادي العسكري» .

صعوبات أدت الى الثورة

ظل العمل قائما بهذا النظام حتى أواخر الخمسينيات ، لكن الصعوبات بدأت تظهر قبيل عام ١٩٥٦ ، فقد عجز الاقتصاد عن مواكبة حركة المجتمع المجري . وعندما قامت الثورة في ذلك العام كانت تلك الصعوبات الناجمة عن «النظام الاقتصادي العسكري» سببا رئيسا لها . ثم تدخلت القوات الروسية ، واستقرت الأوضاع مرة أخرى ، ولكن هذا الاستقرار لم ينطو على تغيير يذكر ، ولم يحدث التغيير إلا في عام ١٩٦٨ ، إذ كان الإعداد له قد بدأ قبل ذلك بعامين . حينذاك سعت الحكومة المجرية إلى تجاوز الستالينية ، أو إلى التجاوز الذي يمكن أن تسمح به موسكو . قامت حكومة يانوس كادار بالتخلي عن المركزية في إدارة المشاريع والمؤسسات ، وقررت منحها

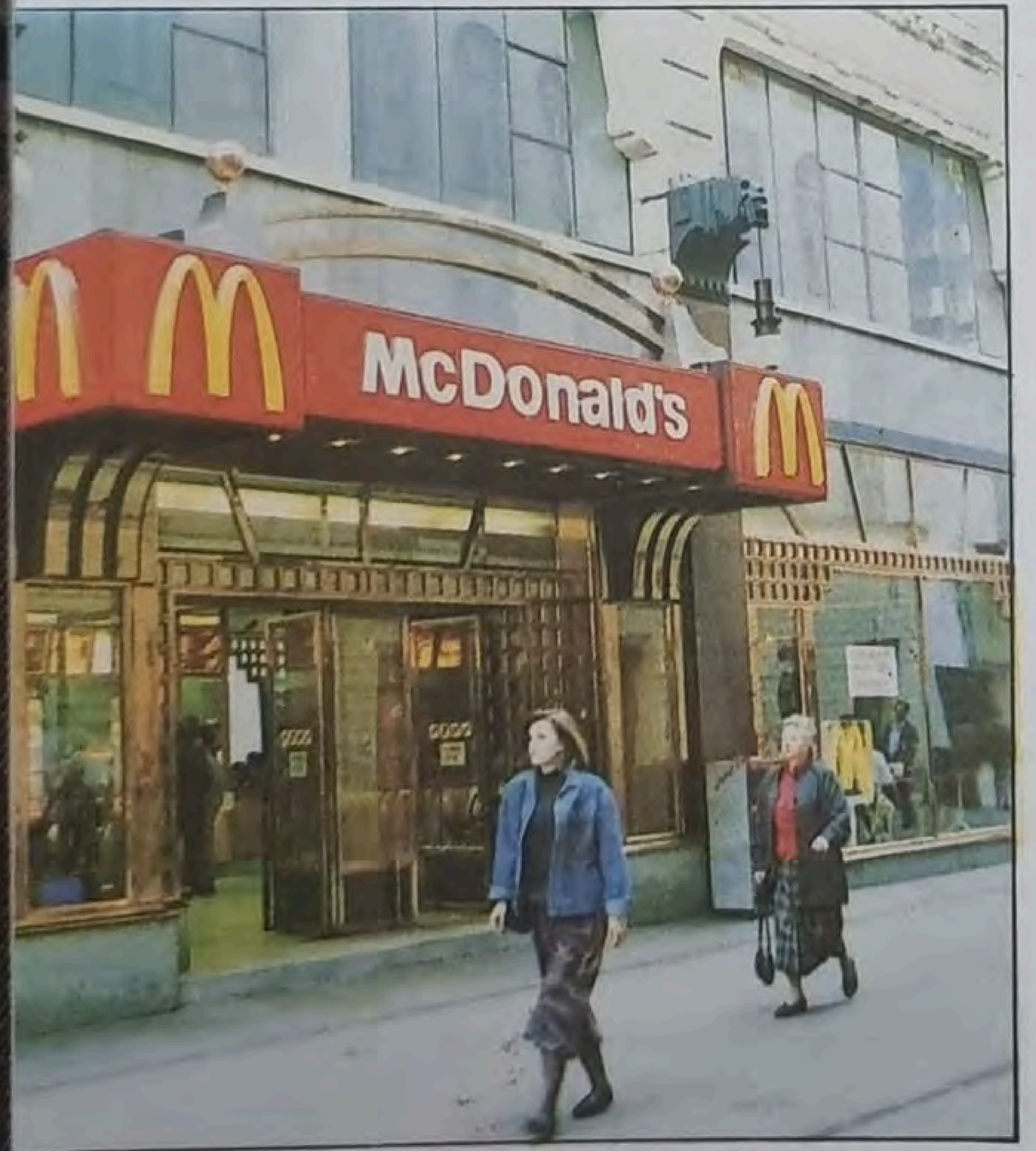
شيئا من الحرية الذاتية ، لتقرر إداراتها ماينبغي اتخاذه في مجالات الإنتاج والاستثمار ، ولكي تسمح (تلك الإدارات) لسوق بأن تمارس دورا ما ، في تحديد الأسعار والأجور . وقد سمح للقطاع الخاص - فضلا عما تقدم - بأن يمارس نشاطا محدودا .

لم ترض هذه الإجراءات عددا غير قليل من الحزبيين الأقوياء ، ولم يسعد بها بيروقراطيو الأجهزةالحكومية ، فقد قلصت نفوذهم كثيرا ومنافعهم أيضا ، فقاموا بنسف التغييرات التدريجية ، وعرقلوا دور اقتصاد السوق الذي كانت تبشر به تلك التغييرات ، وهو دور كان رجال الاقتصاد قد ألحوا كثيرا على ضرورته . يقول الدكتور ايفان بيريند ، مؤرخ الاقتصاد ، ورئيس أكاديمية العلوم المجرية : «كانت المجر هي البلد الوحيد من أقطار أوربا الشرقية الاشتراكية التي سعت إلى تغيير النموذج الستاليني للاشتراكية الأوربية . وقد تعلمنا درسا تاريخيا مفاده أن المرء لايستطيع إحلال نموذج اقتصادي جديد دون أن يقدم على إحداث تغير في النموذج السياسي القائم» .

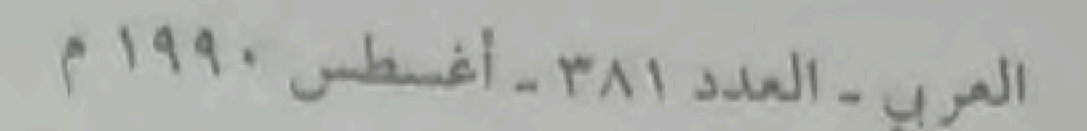
وقد استردت الحكومة ، بفرض الضرائب العالية ، وبتكرار تدخل أجهزتها البيروقراطية ، كثيرا من الحرية التي كانت قد منحتها في مجالات الإدارة والاستثمار . «لم يرض الحزبيون بتقلص نفوذهم وامتيازاتهم التي كانت وبالا على الاقتصاد الوطني» .

وفي الوقت الذي منحت فيه الشركات والمشروعات حرية الإدارة الذاتية تحول كثير منها إلى شركات احتكارية ، وقد أدت قلة التنافس بينها إلى ضآلة الحافز على الابتكار والتحديث ، أو خفض الأسعار . لقد عملت السياسة على الحيلولة دون تطور اقتصاد السوق في المجر . يقول الدكتور تساباتساكي ، رئيس جامعة الاقتصاد في بودابست : «لقد تغلغلت السياسة في كل جزئية من جزيئات الاقتصاد ، وحالت





● وصلت منتوجات الغرب :
فوق : أحذية أديداس الشهيرة .
أسفل : فرع لمطاعم ماكدونالد الأمريكية .





دون اتخاذ القرارات التي تتسم بالكفاءة والجرأة . الآن يمكننا القول بأن نموذج الاقتصاد الستاليني غير قابل للإصلاح» . وهذا القول يعني أن هناك الآن فرصة لاستبداله ، بل وإلغاء الحكم والسياسات التي كانت تبقيه وتفرضه .

الصناعات الثقيلة

وكان من بين التغيرات التي حدثت عام ١٩٦٨ إقدام الحكم في المجر على إدخال الصناعات الثقيلة ، وإنفاق الكثير من الاستثمارات فيها ، انسياقا وراء النموذج الستاليني ، وقد شملت تلك الصناعات صناعة التعدين والألمنيوم والصناعات الكيماوية ، على الرغم من أن المجر كان عليها أن تستورد معظم الخامات الأولية والنفط من بلدان أجنبية .

مصانع ايكاروس

في المجر صناعات ، كانت تعاني من بعض المتاعب ، ولكنها تفاقمت وباتت تهددها بالتوقف . من هذه الصناعات صناعة حافلات النقل «ايكاروس» ، ففي مدينة سيكاشفاهيرفار التي تبعد حوالي ساعة عن بودابست بالسيارة ، والتي كانت عاصمة للمجر في يوم ما ، تقوم مصانع حافلات النقل «ايكاروس» ، ذات السمعة العالمية ، وفي المدينة نفسها مؤسسة كبيرة لإنتاج الأجهزة الالكترونية والكهربائية ، كأجهزة التلفاز والمذياع وكثير من المعدات الالكترونية . وبالقرب من هذه المدينة أيضا مدينة أخرى ، اسمها «غيور» ، تقوم فيها صناعة الناقلات والتراكتورات والعربات وغير ذلك ، فالمنطقة صناعية في الغالب ، وقد اخترنا زيارة مصانع حافلات «ايكاروس» ، لأن مايمكن أن يقال عن الأزمة التي تمر بها ، يمكن أن يقال أيضا عن المصانع المماثلة القريبة منها .

يعمل في مصانع «ايكاروس» أكثر من عشرة آلاف عامل ، ولها فروع في أربع مناطق أخرى





● فوق : بعض المنتوجات المحلية في سوق على ضفاف بحيرة بالاتون.
أسفل : جسر مشاة يربط بين برجين في منطقة القلعة ببودا .

من المجر ، احداها في بودابست ، فضلا عن معامل أخرى ملحقة ، تقوم على إنتاج قطع الغيار ، وحوالي ١٥٠ شركة تقوم بصناعات معينة ، ترفد بها هذا المصنع وغيره من مصانع «ايكاروس» بالمواد المكملة . في هذا المصنع يتم إنتاج ١٥ نوعا من الحافلات .

إن الطاقة الإنتاجية لهذا المصنع هي ١٤ ألف وحدة في السنة ، لكن مجموع ماتنتجه مصانع «ايكاروس» كلها يبلغ حوالي ٣٦ ألف حافلة من مختلف الأحجام والأشكال في السنة . كل قطع الغيار تصنع في المجر ، ولكنْ هناك تعاون مع مصانع أوربية مماثلة ، إذ تستورد بعض أجزاء الحافلة من مصانع سكانيا ، وفولفو ، وفيات ، ومرسيدس ، في أوربا الغربية .

يقول بيلا جيزا ، مدير الإنتاج : هذا المصنع ينتج الحافلات للمسافات الطويلة ، وحافلات النقل في المدن ، أما مصنع بودابست فينتج الحافلات الصغيرة . ولهذا المصنع علاقات خارجية ، إذ يقوم بتصدير القطع وأجزاء الحافلة التي يتم تجميعها في بلدان صديقة ، كالعراق ومصر وليبيا وكوبا وأنغولا .

لكن هذه العلاقات تعرضت للقطع أو للتوقف في الآونة الأخيرة ، وذلك جزء من المشكلات التي تواجهها «ايكاروس» . ومن بين

المشكلات التي تواجهها أن مصانع «ايكاروس» ظلت مقصورة على إنتاج الحافلات ، فلم تتطور وتتعدد أنشطتها لتنتج أنواعا متعددة من السيارات الصغيرة ، ولم تكن الظروف الاقتصادية والقيود التي عانينا منها تسمح بإنتاج السيارات الصغيرة ، ثم إن اقتصاد دول «الكوميكون» - الوحدة الاقتصادية لأقطار أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي - كان في جوهره اقتصادا تكامليا ، يكمل بعضه بعضا ، فقد كانت «ايكاروس» تغطي حاجة الأقطار الاشتراكية من الحافلات ، في حين كان الاتحاد السوفيتي يغطي حاجة تلك البلدان من السيارات الصغيرة . لقد توقف التصدير إلى الاتحاد السوفيتي ، على الرغم من أنه شريك بنسبة كبيرة في مصانع «ايكاروس» ، وجاء ذلك التوقف نتيجة للمتاعب الاقتصادية التي تعاني منها دول «الكوميكون» كلها .

اهتمام بشراء حصص

ويعلق الدكتور ينوزانيي على ذلك بقوله : مشكلة «ايكاروس» مماثلة للمشكلات التي تواجه عددا من الشركات الأخرى ، فهي تصدر ٩٠٪ من إنتاجها إلى دول «الكوميكون» التي أصبحت عاجزة عن الدفع ، فضلا عن أنها تواجه صعوبات اقتصادية كالتي نواجهها . الأمل الوحيد يكمن في إمكانية الحصول على رؤوس أموال تغير بنية مصانع «ايكاروس» .

هناك اهتمام كبير لدى عدد من بلدان العالم الغنية بشراء حصص في مصانع «ايكاروس» . ولكن الحل لايأتي من المستثمرين الأجانب فقط ، بل من المستثمرين المجريين أيضا .

ولكن هل هناك مستثمرون مجريون ؟ أجل ، فلو أتيحت لزائر بودابست زيارة «حي الزهور» - وهو أحد الأحياء الكبيرة الراقية في المدينة - فسوف يرى مساكن خاصة يتكون الواحد منها من طابقين أو ثلاثة ، ثمن أحدها لايقل عن مليون دولار . وقد قيل لنا : إن ساكني هذه «الفلل» هم من مدراء المصارف ورؤساء الشركات ، أي ممن كانوا يتولون إدارة القطاعات الاقتصادية في العهد السابق . لكن الطريق أمام هؤلاء ليس سهلا ، فالمجريون يخشون من أن تتحول الطبقة الحاكمة في الماضي إلى طبقة حاكمة في المجتمع الجديد ، لذلك تراهم ينظرون إليهم بشك وريبة .

حديث الاستثمار

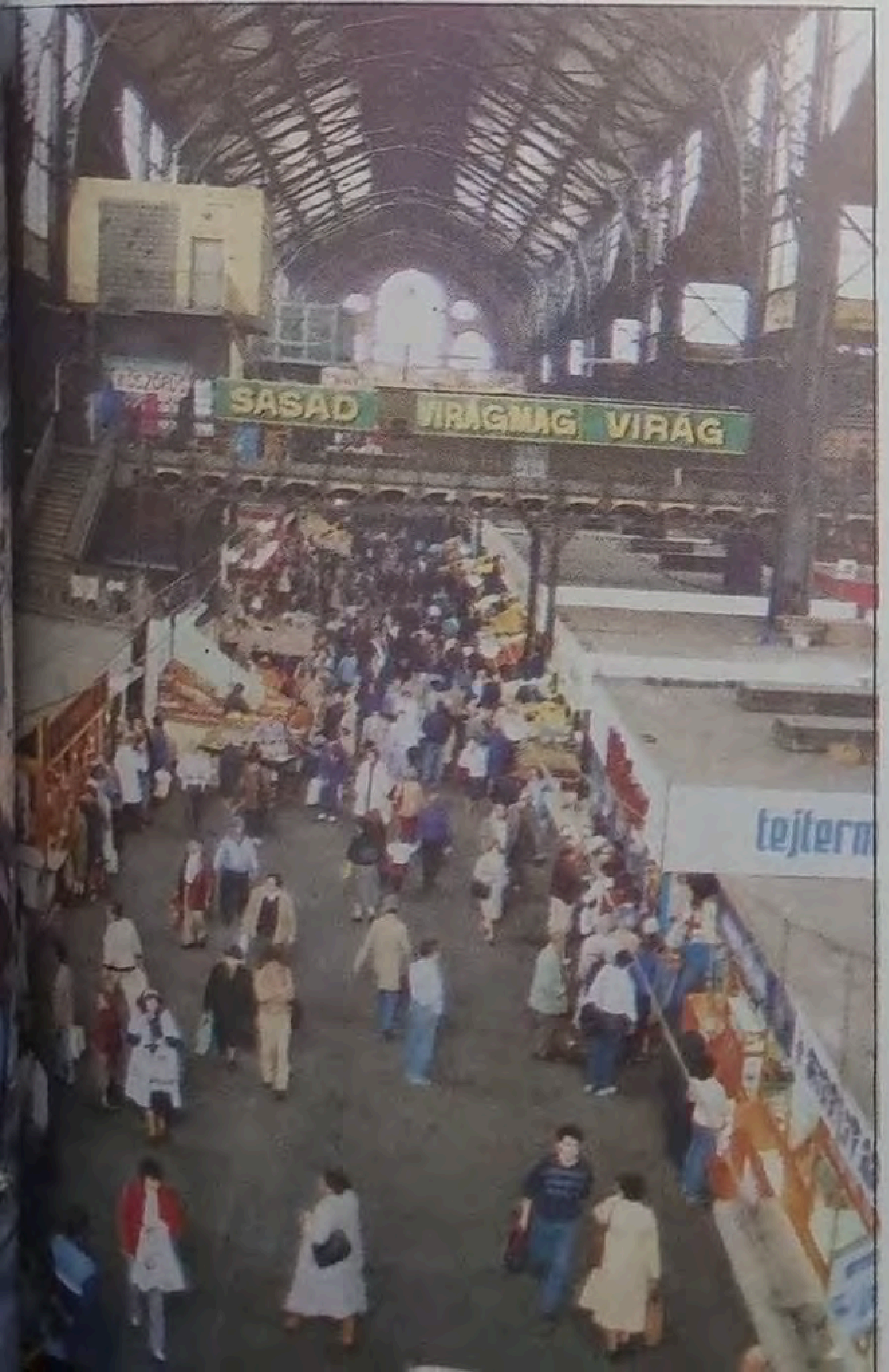
إن الحديث عن «من يتولى التمويل» حديث عن الاستثمار ، وهو الحديث الذي يتجاذب أطرافه الكثيرون الآن في بودابست ، على مستويات متعددة ؛ ففي الفنادق الكبرى الجميلة ، المنتشرة على ضفاف الدانوب ، تتحول موائد الطعام في الأوقات الثلاثة إلى جلسات عمل . إن من يشاهد الصالات الضخمة والقاعات الكبيرة في هذه الفنادق يحسب أن رجال المال والأعمال ، ومدراء المصارف والقانونيين والوسطاء من أوربا الغربية والولايات المتحدة واليابان قد جاءوا جميعا ، ولم

● عامل ماهر وحرفة فنية - والى اليسار وفود من الزائرين تشاهد إحدى القاعات الفسيحة بمكتبة إيجر









يتخلف منهم أحد . وإذا أتيحت للزائر فرصة الاطلاع على المشروعات الاستثمارية الحديثة فلسوف تدهشه الكثرة والتنوع (نظرا لقصر المدة التي تم خلالها «الانفتاح») ، إذ لايكاد يخلو منها مجال من مجالات العمل أو البيع والشراء ، حتى ليبدو الموقف وكأنه استجابة «عفوية» للدعوة التي توجه بها أحد أساتذة الاقتصاد الأمريكيين ، وهو جون كينيث جالبريث ، وبثتها المحطة الامريكية الإخبارية CNN التي يغطي بثها معظم أرجاء أوربا . فقد قال : «لقد شاهدنا أقطاراً رأسمالية تتحول إلى الشيوعية في الأربعينيات ، وفي العقود التالية ، ولكننا لم نشهد أقطارا تتحول من الشيوعية إلى الرأسمالية ، لذلك فإن على الولايات المتحدة وأوربا الغربية واليابان أن تبذل جهودها وأموالها لإنجاح هذا التحول» . وفي بودابست يقول مراسل مجلة «U.S. News & World Report» .

في أسبوع واحد قام مدراء تنفيذيون من مؤسسة U.S.West بتوقيع صفقة لإنشاء أول شبكة هواتف حديثة مع مؤسسة البريد المجرية لشرق أوربا ، وقام ممثلون عن خمسين مؤسسة امريكية بتأسيس مكاتب في بودابست لغرفة التجارة الامريكية (وهي الأولى من نوعها في أوربا الشرقية) ، وأتيحت إمكانية الحصول على بطاقات «الأمريكان اكسبرس» للمجريين ، وصدرت أول طبعة خاصة بالمجر من مجلة (بلاي بوي) ، وافتتحت فروع لمطاعم «ماكدونالد» ، الأمريكية . أما المؤسسات الألمانية الكبيرة فقد افتتح لها حتى الآن فروع لمؤسسات «سيمنز» و«دكتور كيتلر» ، و«كويللا» و«نيكلمان» ، وغيرها ، كما افتتحت فروع لمؤسسات أخرى أوربية ، مثل «نستله» السويسرية ، و«بنيتون» الايطالية ، و«ماركس اندسبنسر» الانجليزية ، و«فليبس» النمساوية ، و«ايكيا» السويدية ، و«سوني» اليابانية ، والبقية تأتي .





● فوق : مبنى مجلس النواب وقد عادت إليه الحياة
أسفل وإلى اليمين : سوق بودابست المركزي للحوم والخضراوات ومواد التموين .
وفي الوسط : رقص شعبي احتفالا بالربيع في ساحة فورش مارتي - (بودابست)
وإلى اليسار : مبنى محطة القطار في بودابست .

متاعب الجيران

إذا أفضت كل التغييرات التي طرأت - أو التي يرجح لها أن تطرأ - على الحياة في المجر إلى استقرار سياسي وتنمية اقتصادية ، وتحققت بها أماني الشعب المجري وتطلعاته ، فإن على الحكومة الجديدة أن تتوجه لمعالجة مشكلات الحدود مع البلدان المجاورة ، بأكبر قدر من الحكمة والصبر . فكثيرا ماكانت هذه الحدود مصدر قلق ومعاناة . كانت المجر حليفا (رغم أنفه) لألمانيا طوال النصف الأول من هذا القرن ، شأنها في ذلك شأن الدول الصغيرة المجاورة لدول أقوى منها وأكبر . وهي - أي



● صناعة الفخار والجنس اللطيف .

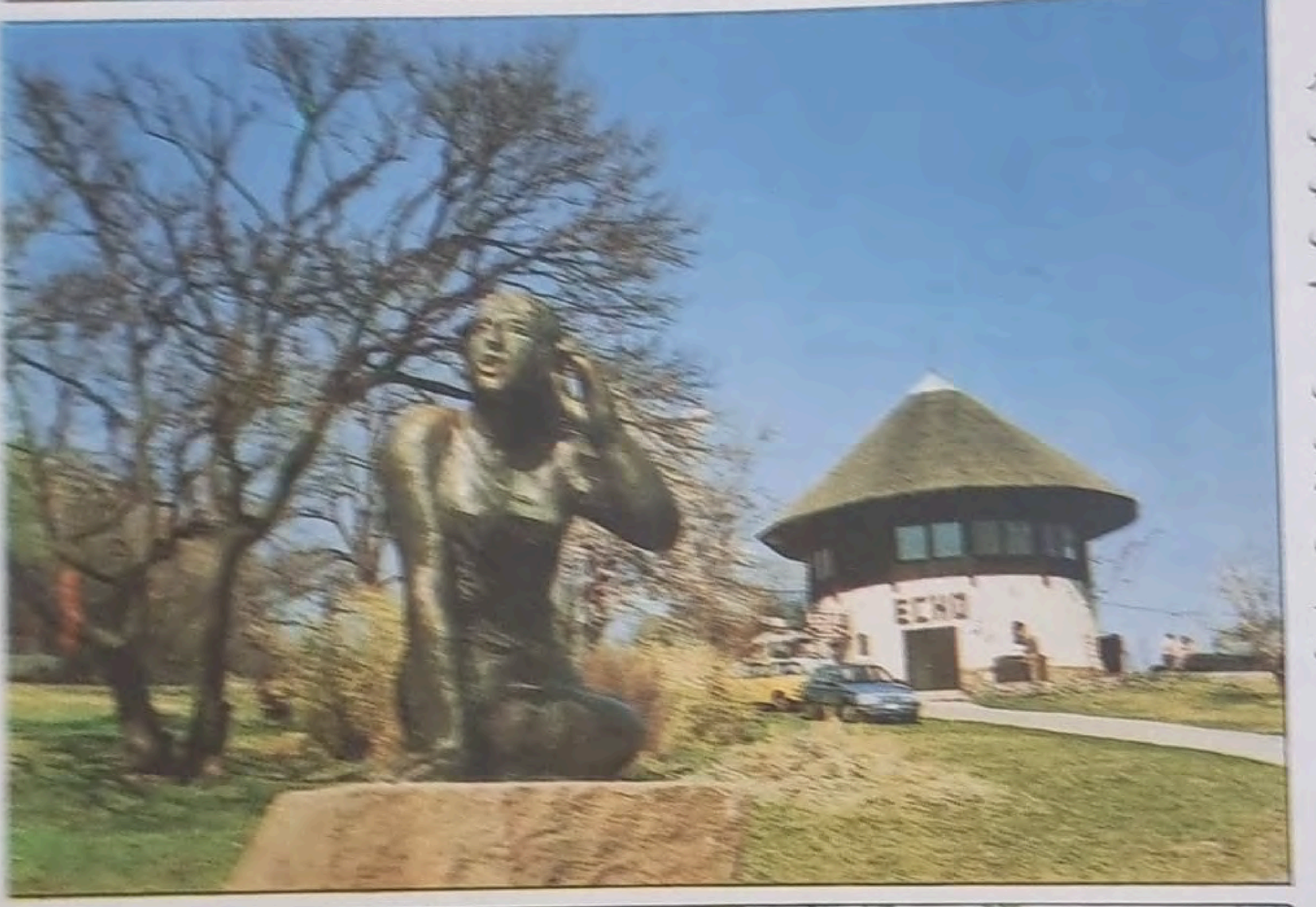
المجر - على علاقات خاصة بالنمسا ، بحكم ارتباطهما معا في امبراطورية واحدة ، خضعت لحكم آل هابسبورج منذ مطلع القرن السادس عشر حتى مشارف هذا القرن . ولما كانت النمسا تتكلم لغة المانيا ، وتتأثر بثقافتها ، فقد انتقل هذا التأثير إلى المجر خلال قرون من الزمن ، فجعلها مجال نفوذ وحليفا - على الرغم من أنفه - لألمانيا ، لذلك كله كانت هزيمة المانيا في الحرب العالمية الأولى وبالا على المجر ، فقد خسرت ثلثي أراضيها بموجب معاهدة «تريانون» التي وقعت في باريس سنة ١٩٢٠ ، ووزعت هذه الأراضي بسكانها (وهي ضعف مساحة المجر الحالية) على البلدان المجاورة : تشيكوسلوفاكيا ورومانيا ويوغسلافيا والاتحاد السوفيتي والنمسا . وقد تحول سكان هذه الأراضي المقتطعة إلى أقليات عرقية في البلدان التي ضموا إليها . ولم تتعرض تلك الأقليات للمتاعب إلا قليلا ، باستثناء رومانيا التي تعرضت الأقلية المجرية فيها للاضطهاد خلال عقود من السنين .

معالم بودابست

على جانبي نهر الدانوب ترتفع أبنية مدينة بودابست الجميلة وصروحها المعمارية الفخمة ، إنها طراز فريد من المدن ، حيث يتوافر لها السهل والنهر والجبل . تلال بودا هي الأصل الذي شيدت عليه المدينة منذ حوالي ٢٠٠٠ سنة ، عندما اختارها الرومان ليقيموا فوقها حامية عسكرية ، يدفعون منها هجمات الأعداء من البرابرة . كان نهر الدانوب يضع حدا طبيعيا فاصلا بين نواة المدينة فوق تلال بودا وسهل «بشت» الممتد أمامها على الجانب الآخر من النهر . ثم اتسعت المدينة ، وانتقل البناء عبر النهر إلى الضفاف الأخرى .

ومن التقاء تلال بودا وسهل بشت اكتسبت اسمها المركب «بودابشت» ، (فهكذا ينطقه







● أعلى : جمهور من الناس يشارك في احتفالات الربيع في سوق أنيم مؤقتا على ضفاف الدانوب. وفي الوسط : الصوت والصدى في قرية تيهاني والى أسفل : في ساحة فورش مارتي في بودابست ينتشر الرسامون والعازفون والسحرة .



● مصانع إيكاروس للحافلات ، كاد العمل فيها يتوقف .

سكان المدينة) ، ولم يتوحد شطرا المدينة إلا في القرن التاسع عشر . لقد تعرضت المدينة خلال تاريخها الطويل لكثير من الغزوات والثورات والحروب ، فكم هدمت وكم أعيد بناؤها ، لكن تعاقب السنين ودأب أهلها وذوقهم الفني الرفيع قد ترك آثارا واضحة على معالمها الباقية ، وما أكثرها .

فالمدينة تكاد تكون متحفا كبيرا ، يضفي عليها جمالا كثرة التماثيل التي تنتصب عند مداخل الشوارع الكبرى وفي الميادين الفسيحة والأبنية العامة ، ثم الرسوم والزخارف التي تزدان بها تلك الأبنية .

نماذج من طرز العمارة

يمتاز في طراز العمارة مبنى مجلس الأمة المجري الذي يطل على نهر الدانوب ، فهو صرح معماري جذاب ، قد بني بين عامي ١٨٨٤ و١٩٠٤ ، وهو نموذج لفن العمارة الانتقائي في أواخر القرن التاسع عشر . أما نظام الغرف فيه فيرجع إلى حقبة «الباروك» الجديدة ، وأما زخارفه الخارجية فقد صممت على الطراز القوطي الجديد ، وقد روعي عند وضع تصاميم هذا المبنى الفخم أن يقصر وضع زخارفه على الفنانين المجريين ، فهو من هذا الوجهة يمثل الذوق الفني في المجر في أواخر القرن الماضي . أمام مجلس الأمة شيد أول جسر يربط بين شطرى المدينة ، إنه جسر السلاسل الذي تم تشييده بين عامي ١٨٣٩ و ١٨٤٩ ، وهو واحد من بين سبعة جسور ، وقد وضع تصميمه مهندسون بريطانيون ، وقد دمرته الحرب العالمية الثانية . وهو يرمز إلى عصر الإصلاح في المجر ، لكنه ـ بعد إعادة بنائه ـ صار رمزا للمدينة نفسها ، يربض أسدان عند كل مدخل من مدخليه ، ومن الطريف أن الأسود الأربعة تخلو من الألسن ، فقد نسي النحات الفنان أن يضع لكل منها لسانا .

أما مبنى «فيجادو» العريق فهو المبنى الذي

شهد عروض «الكونشرتو» ذات الشهرة العالمية ، إنه تحفة فن العمارة المجري الرومانسي ، قد شيد بين عامي ١٨٥٤ و ١٨٦٤ ، ويزدان مدخل المبنى وواجهته الرئيسة برسوم الراقصين وبتماثيل لملوك المجر .

وتمثل ساحة «فورش مارتي» قلب بودابست النابض ، وقد سميت بهذا الاسم تخليدا لذكرى الشاعر الرومانسي المجري الشهير الذي نحت له في وسطها تمثال من المرمر الأبيض ، وهذه الساحة تعج عادة بالفنانين من كل لون : بالرسامين والمغنين والعازفين والسحرة وأعداد من الناس لاتحصى ، حيث تفضي إلى شارع «فاشي» ، وفيه تكثر المحلات التجارية التي يقصدها المواطنون والزائرون . وعلى شاطىء الدانوب أيضا تنتشر مجموعة حديثة من الفنادق الراقية : حيات وفوروم وانتركونتينتال .

أما الجسر الثاني الذي يربط بين شطري المدينة فهو جسر اليزابيث الأبيض الجميل الذي شيد بديلا لجسر سابق كان قد دمر في الحرب العالمية الثانية . وقد روعي فيه أن يحمل السمات الهندسية التي كان يحملها الجسر القديم ، وسمي باسم زوجة الامبراطور فرانز جوزيف الأول .

بعض آثار بودا

إن أول مايلفت انتباه الزائر في بودا هو منطقة القلعة ، بحدائقها الخفية وساحاتها التي تتسم بسمات العصور الوسطى ، وشوارعها التي رصفت بالحجارة ، وعشرات المباني التاريخية التي تتحدى الزمن في هذا المكان . يحتل القصر الجزء الجنوبي من هذا المرتفع ، أما في الجانب الشمالي فتوجد بعض الكنائس والمباني التي كان يسكنها الارستقراطيون والحرفيون المهرة ، وهي ترجع إلى القرنين الرابع عشر والخامس عشر . ويطل برج كنيسة الماتياس العالي عن بعد ، وفي هذه الكنيسة تزوج الملك ماتياس في القرن الخامس عشر زوجته بياتريس الاراجونية ، وهذه الكنيسة التي شيدت في عهد الملك بيلا الرابع تعرف أيضا بكنيسة التتويج ، وكان الامبراطور فرانزجوزيف الأول قد توج تحت سقفها في عام ١٨٦٧ ، وقد خلد الموسيقي «فرانز» لست هذه المناسبة بلحن جميل سماه «قداس التتويج» .

كانت هذه الكنيسة قد تحولت إلى مسجد بعد احتلال الأتراك لهذا الجزء من المدينة في عام ١٥٤١ ، ثم أعيدت إلى وضعها السابق بعد دخول القوات المسيحية . وفي هذه المنطقة بعض آثار تركية وحمامات ، ولازال أحدها يعمل حتى الآن .

العرب الذين يعيشون في المجر هم الطلبة وأعضاء السلك الدبلوماسي العربي ، أما الطلبة فقد تزايدت أعدادهم في الآونة الأخيرة ، بعد أن أصبح القبول يتم فرديا ؛ أي ليس ترشيحا من دولة ، وبعد ارتفاع رسوم التعليم ، وهم الآن حوالي ٥٠٠ طالب ، معظمهم في بودابست ، أما من غير هاتين الفئتين فلا يوجد إلا القليل النادر .

يقول الصديق الشاعر مريد البرغوثي ، عضو البعثة الدبلوماسية الفلسطينية في بودابست : المجر بلد جميل هادىء ، وشعبه كريم مضياف ، يصبر على الأذى إلى حين ، ولكنه ينفجر غاضبا إذا طال احتماله . في الناس هنا بساطة يسهل معها الاقتراب منهم واتخاذهم أصدقاء . أما الدكتور نواف الحسن فهو عربي من سوريا ، كان قد قدم إلى المجر وتزوج من سيدة مجرية ، وهو يعمل الآن في إحدى المستشفيات الكبيرة في العاصمة ، ويشرف على المطعم العربي الوحيد في بودابست ، واسمه «مطعم سميراميس» . وهناك عدد قليل آخر ممن حذا حذو الدكتور نواف الحسن وتزوجوا سيدات مجريات وأقاموا إقامة دائمة في المجر . □

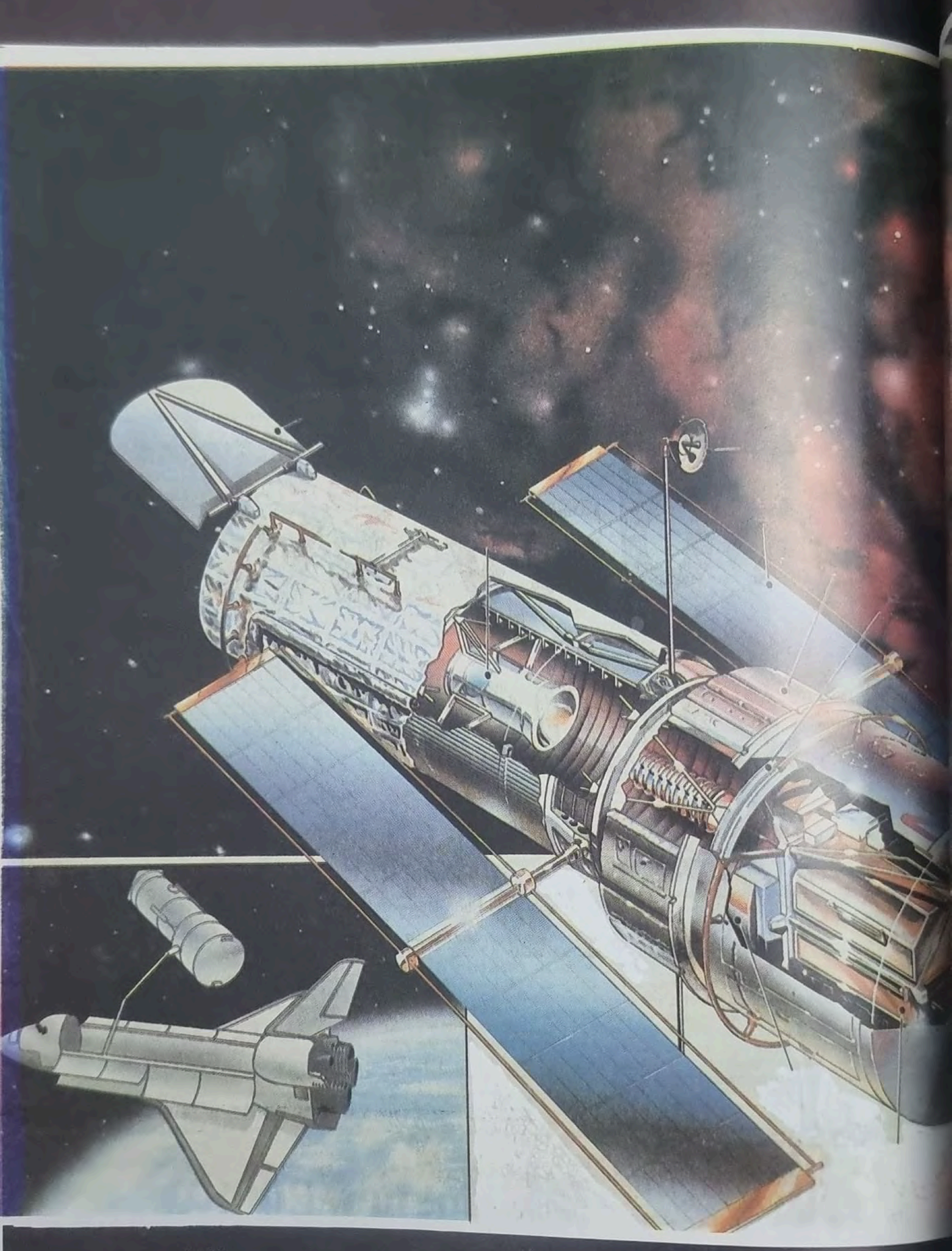


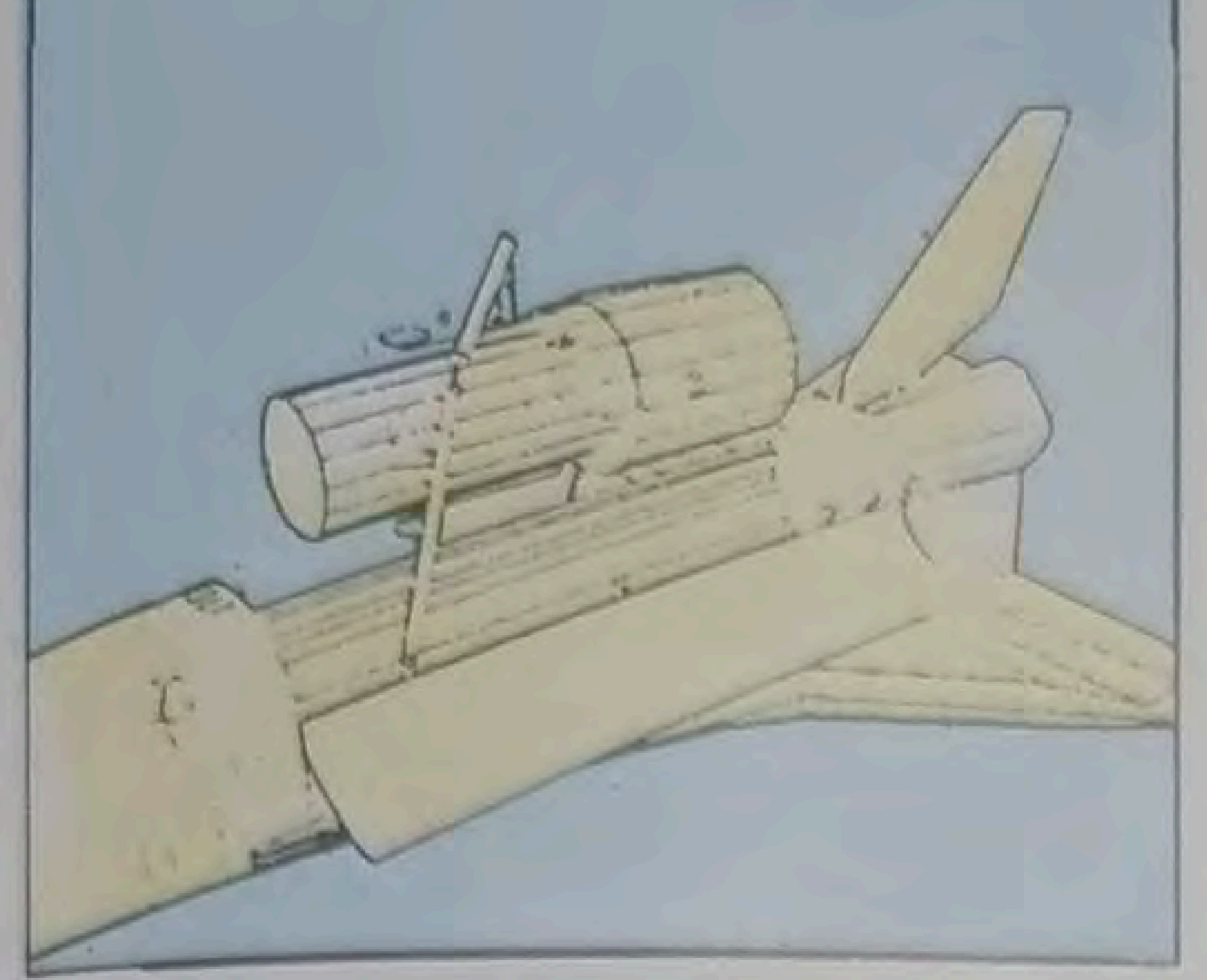
«هَبِل» عيننا على الفضاء

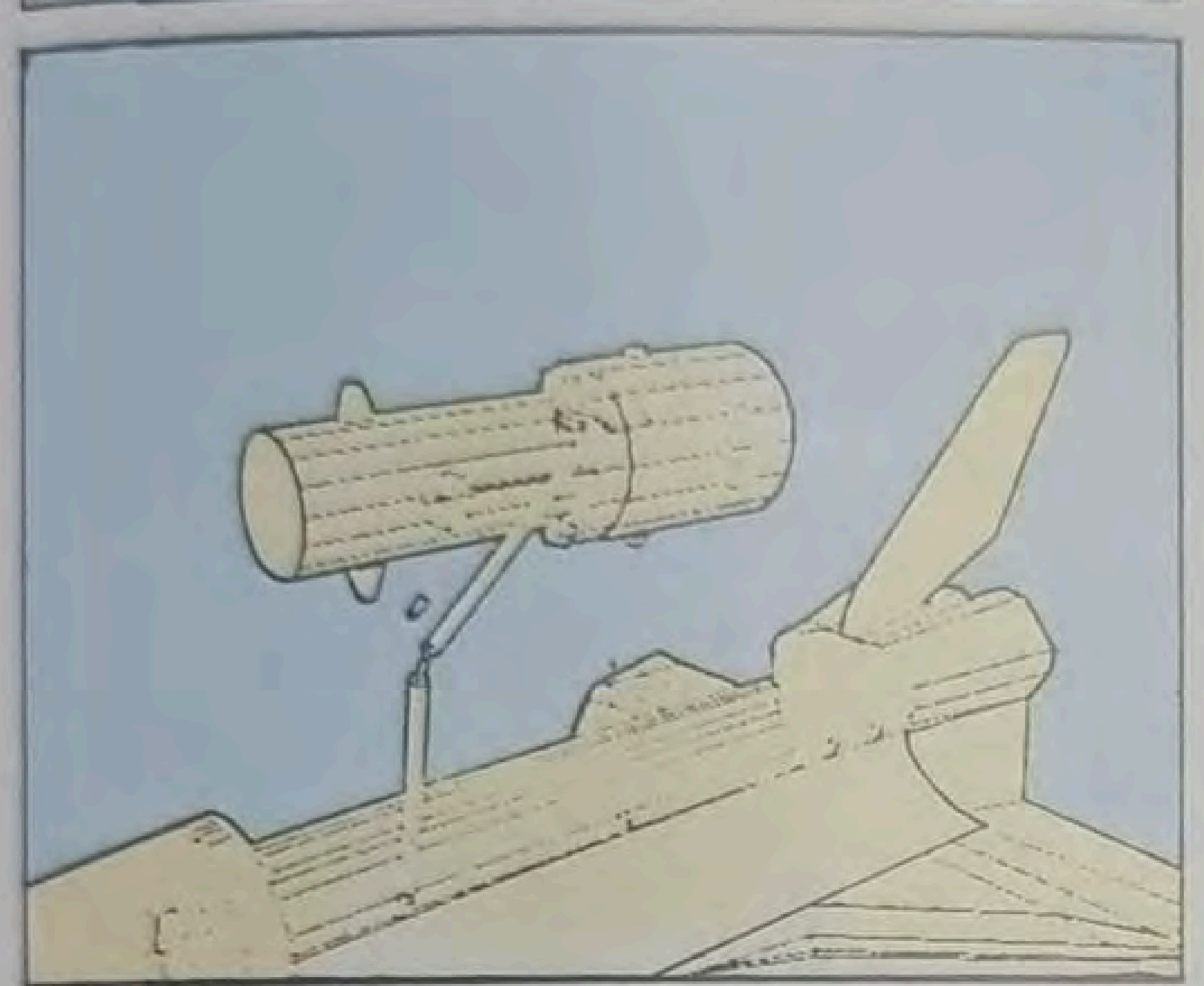
بقلم : طاهر سكر القيسي

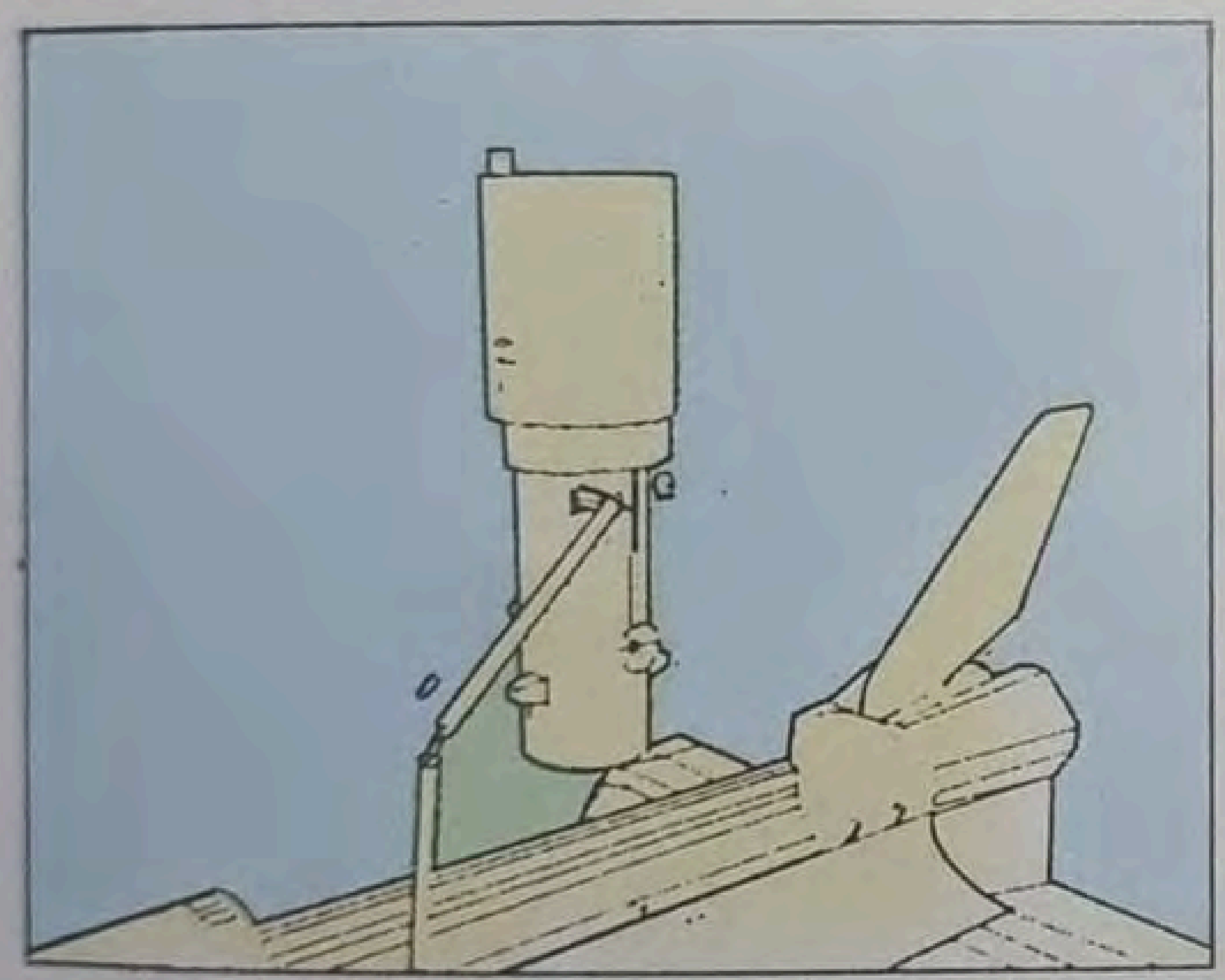
يعده الخبراء التطور الأخطر في علم الفلك منذ اخترع جاليليو تلسكوبه الأول ، قبل حوالي ٤٠٠ عام ، ونظر به نظرته الأولى إلى السماء ، إنه التلسكوب الفضائي « هَبِلْ » أكبر وأغلى تلسكوب صنعه الإنسان حتى الآن .

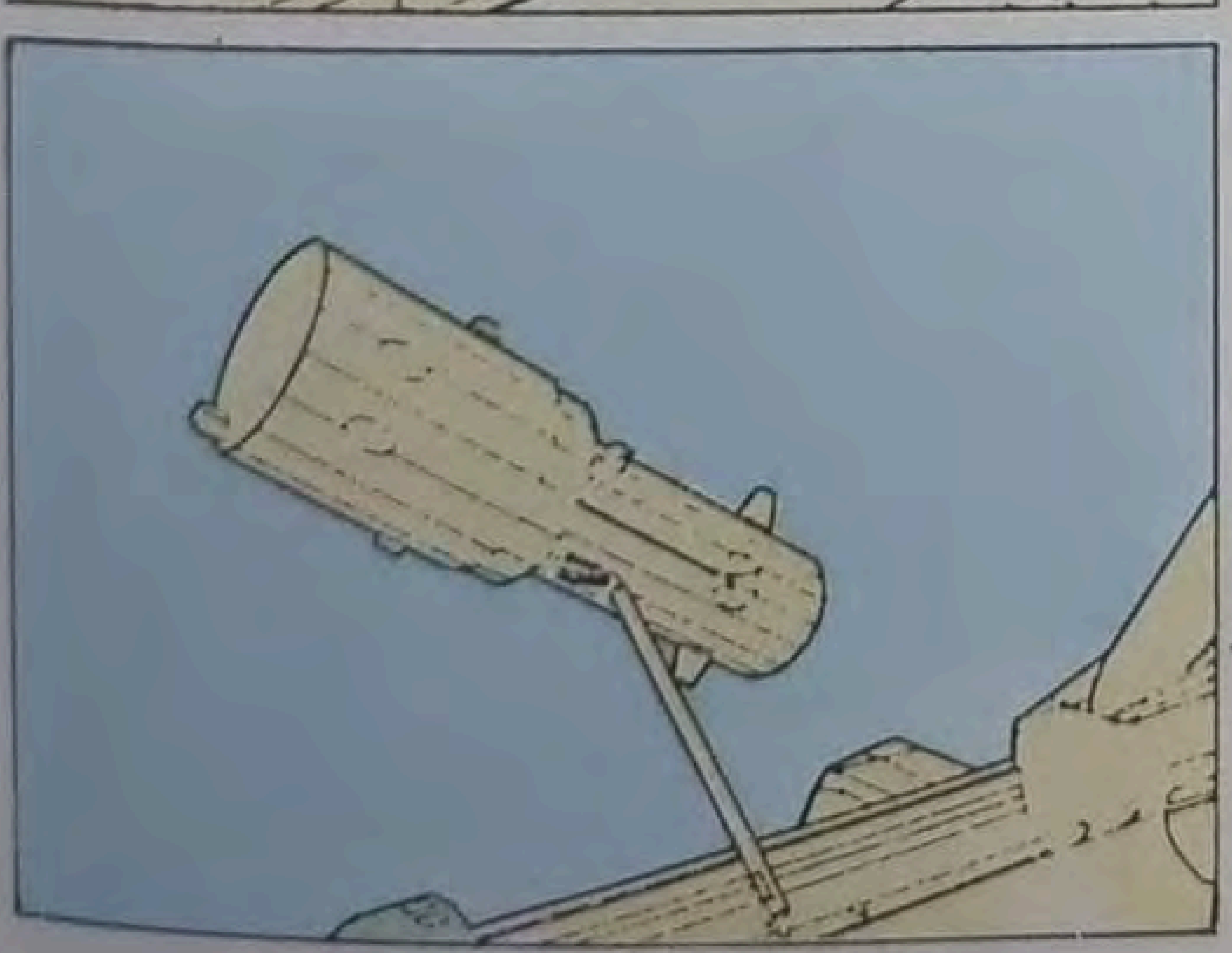
يدور هذا التلسكوب في مدار حول الأرض كأي قمر ، فهو تلسكوب قمري ، أو قمر تلسكوبي ، تعود فكرته إلى أواخر الستينيات ، أقرته وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » في بداية السبعينيات ، عندما رصدت له ٤٠٠ مليون دولار آنذاك ، وأصبحت الآن ١٥٠٠ مليون دولار . وضعه في مداره المكوك الفضائي دسكفري ، على أن يقوم رواد الفضاء بزيارته كل ٥ سنوات ، لاستبدال برامج











مراحل مهمة دسكفري لوضع أغلى وأعقد تلسكوب مداري بالفضاء .

الحاسوب « الكمبيوتر » و نظم الطاقة فيه ، والاطمئنان على أكبر استثمار أمريكي يسبح في الفضاء ، وسيتم إعادته للأرض بعد (١٥) سنة لصيانته ، وإعادته مرة أخرى للفضاء . وجديد هذا التلسكوب أنه يستطيع ملاحظة أجسام فضائية أصغر ٥٠ مرة من الأجسام التي عجزت عنها التلسكوبات الأرضية .

« هَبِلْ » العالِم والتلسكوب

يسمى هذا التلسكوب الفضائي « هَبِلْ » ، نسبة إلى العالم الفلكي الأمريكي « ادوين هَبِلْ » الذي احتفل العالم بعيد ميلاده المئوي في نوفمبر ١٩٨٩ . ويعود إليه الفضل في اكتشاف أن مجرتنا ـ مجرة الطريق اللبني ـ ليست هي المجرة الوحيدة في الكون ، كما أنه صاحب القانون الشهير الذي يقول : إن المجرات تتباعد فيما بينها وليست في حالة سكون .

ويعد « هَبِلْ » أعقد قمر صناعي صنع في تاريخ علم الفضاء ، فوزنه يصل إلى ١١ طنا ، ويبلغ طوله ١٣ مترا ، وعرضه ٤ أمتار ، أما قطر مرآته الأولية فيصل إلى ٢ر٤ مترين ، وبلغت الدقة في صناعة هذه المرآة ٢٥ بالمليون من المليمتر ، وهو بهذه الأحجام يفوق حجم عربة قطار .

تلسكوب في الفضاء

إن لوضع تلسكوب في عضاء الخارجي في مدار حول الأرض مزايا تفوق بناء تلسكوب أرضي ؛ فالأول يتجاوز تغيرات المناخ وتقلباته عند الرصد ، كما أنه يتخلص من مشاكل تشتت الضوء ، مما يتيح له فرصة مشاهدة الأجسام الفضائية المتناهية في الصغر ، بالاضافة إلى أن الاجسام التي تبدو مظلمة عند رصدها من الأرض ، ستظهر ساطعة للتلسكوب الفضائي .

ولقد راعى مصممو التلسكوب أن تكون مصادر طاقته والحاسوبات وأنظمة الاتصال

مجمعة ومنظمة في قطعة واحدة ، حتى يسهل تبديلها عند حدوث أي عطل ، كما زود التلسكوب بآلتي تصوير : الأولى لتصوير الكواكب ومراقبتها ، والأخرى للأجسام الصغيرة ، عدا جهاز لتحليل الضوء الخافت ، وآخر للقياس الضوئي لتسجيل التغيرات السريعة في درجة سطوع النجوم . وسيتم الاتصال بالتلسكوب عبر الأقمار الصناعية ، وعندما يكون مشغولا بالرصد سيسجل كل شيء على أشرطة تخزين ، يعيد إرسالها إلى الأرض عندما يفرغ .

بالإضافة لما تقدم سيتمكن التلسكوب من تزويدنا بتفاصيل دقيقة عن كثير من الأجسام في المجرة ، كما أن له قدرة على التمييز بين أشعات ضوئية وكونية متقاربة جدا في طولها الموجي ، بالإضافة إلى أنه يستطيع مسح ٥٠ موقعاً مختلفا في السماء وما فيها .

وسيقوم التلسكوب بدراسة الوسط الكوني بين النجوم ، متتبعا مراحل تكوّن النجم . وبرصده للثقوب التي تحيط بعدد من النجوم ، والتي تبعد عن الأرض بما يقرب من بليوني كيلو متر ، ستتضح نظريات نشوء الكون واستمرارية تكوّنه ، كما يتوقع أن يكون لمتابعته لكثير من التفاعلات الكيميائية والظواهر المغناطيسية أثر كبير في تغيير العديد من مفاهيم الفيزياء الفلكية . ومن الوظائف الأساس التي سيضطلع بها التلسكوب تتبع تكوّن المجرات وتصويرها ، وهذا سيعطي صورة واضحة لما كان عليه الكون قبل ثلث عمره الآن (من ١٠ بلايين إلى ٢٠ بليون سنة) . وبصورة عامة يستطيع هذا التلسكوب أن يمسح حجما فضائيا ، يفوق بمقدار ١٢٥ مرة ما يمكن أن يقوم به أي تلسكوب أرضي ، فأكبر التلسكوبات الأرضية حاليا بمقدوره أن يرصد حوالي ٤٠ بليون جسيم فضائي ، في حين أن « هَبِلْ » سيرصد ما بين ٥ - ١٠ ترليونات جسيم .

وبعد طول انتظار

كان المقرر أن ينطلق « هَبِلْ » في اكتوبر ١٩٨٣ ، وأجل الموعد خمس مرات ، ثم حدد له موعد في اكتوبر ١٩٨٦ ، إلا أن كارثة تحطم المكوك الفضائي « تشالنجر » ، في يناير ١٩٨٦ ، حالت دون الوفاء بهذا الموعد ، وأخيرا وبعد صعوبات مالية وفنية عديدة ، تم إطلاق التلسكوب في منتصف شهر ابريل من هذا العام (١٩٩٠) .

وقد وضع في ارتفاع ٦١٠ كم ، وهذا يعني أنه على ارتفاع يقارب في علوه ضعف ارتفاع مدارات المكوكات الفضائية السابقة . وعلى الرغم من المشكلات الفنية التي صاحبت عملية إطلاقه ووضعه في مداره ، بدأ التلسكوب بارسال صوره إلى المراكز الأرضية .

وقد خصص ١٥٪ من الوقت مدة ١٠ سنوات لفلكيي وكالة الفضاء الأوربية « ايسا » ثمناً لإحدى آلتي التصوير والأشعة الشمسية اللتين قامت « ايسا » بصنعهما لحساب التلسكوب ، حيث كانت الوكالة قد تعهدت بالمشاركة بحصة تبلغ ١٥٪ من تكاليف المشروع .

وعلى الرغم من أن كثيراً من العلماء قد فضلوا على « هَبِلْ » بناء تلسكوب أرضي أرخص ثمنا ، يوضع على قمة جبل ، فإنهم مالبثوا أن خضعوا أخيرا لمنطق العلم ، وكسبت البشرية العديد من الاختراعات التي سجلت ، والأنظمة التي طورت خلال عملية بنائه ، وكسبت أخيرا « هَبِلْ » نافذة جديدة لها على الكون الفسيح . □

● النصر مع الاخلال بالوعد أفضل من الهزيمة

لورنس

تأملات

شعر : عبد الله السيد شرف

المناقيد تدلت
من خلال السور
نشوى
ضاحكة
سافر الجذر بعيداً
في تلافيف السنين المرهقة
كابد الجدب مرارا
ومرارا عذبته العقبة.
أيها الحارسُ رفقاً
عندَ جزِّ الرقبة !

* * *

منذ أعوام طويلة
والمدى صمت
وفي الجدب الخميلة
الزهيرات عليلة
والشجيرات كليلة
أيها الحارس قل لي
كيف ذابت في تضاريس الضنى
تلك الجديلة
قال في نبرة حزن
مالنا في اليأس حيلة

* * *

أيها الطائر
يا ضوء السماء
تملأ الجو مراحا
وتداني قبة الكون
وتشتاق بريقه
أترى كنت تغني
لو تكشفت الحقيقة ؟!



● المنظار القصبي يأخذ خزعة من رئة مريض .

السعال الدّامي

عَرض واحد ، وتشخيصَات متعددة

بقلم : الدكتور عماد شمسي باشا

دخل المريض عيادة الطبيب ممتقع الوجه ، وقال له وكأنه يستنجد : إنني أنزف يا دكتور ، إنني أسعل سعالا داميا ، إن الدم يملأ منديلي . وكان واضحا تماما أن المريض واقع تحت وطأة رعب قاتل . وابتسم الطبيب لمريضه ، وربت على كتفه ، وقال له : لا عليك يا بني ، فليس كل نفث للدم نذير سوء ، وليس كل سعال مصحوب بدم علامة خطر .

ولكن ما قصة السعال الدامي الذي يشكو منه بعض الناس بين حين وحين ، والذي يلجئهم دائما إلى مراجعة الطبيب ، وهم على هذا القدر من الرعب والتوجس ؟

إن السعال الدامي واحد من الأعراض الشائعة نسبيا في مجال الأمراض الصدرية ، ونعني بالسعال الدامي ظهور الدم في القشع في أثناء السعال ، أو ظهوره صرفا مع السعال ، أو في أعقابه ، ويكون خفيفا لا يؤبه به أحيانا ، وغزيرا غزارة تبعث على الخوف أحيانا أخرى . ونحن هنا نتحدث عن الدم الذي يصدر عن الجهاز التنفسي ، تمييزا له عن الدم الذي يكون مصدره الأنف أو الجهاز الهضمي . والسعال الدامي أو ما يسمى أيضا النزف

التنفسي ، تختلف شدته بين مريض وآخر ، وقد يصل ، في حالاته الخطرة ، إلى أن تبلغ كمية الدم النازف ٦٠٠ سم^3 أو أكثر ، مما يشكل تهديدا حقيقيا لحياة الإنسان ، وينذر بالموت اختناقا بالدم الذي يملأ القصبات ، ويعيق التنفس ، أو بالهبوط الحاد في ضغط الدم ، نتيجة فقدان كمية كبيرة من الدم ..

متى يحدث النزف التنفسي :

إن أسباب النزف التنفسي متعددة ، وهي تتراوح بين ما هو بسيط هين ، كالتهاب القصبات العادي ، أو التهابات الرئة المختلفة ، أو التدرن الرئوي . وبين ما هو أسوأ إنذارا وأخطر دلالة ، كأن يكون مؤشرا على وجود ورم في مكان ما ، من الجهار التنفسي . وفي مجال المشاهدة السريرية ، الأكثر شيوعا ، لالتهاب القصبات وتوسعها ، وحالات التدرن الرئوي ، وخراجات الرئة ، وإصاباتها الفطرية ، تقف هذه الأمراض في مقدمة الأسباب الانتانية INFECTIOUS المؤهبة للنزف التنفسي ، إضافة إلى سرطانات الرئة ، سواء ما كان منها تحت العلاج ، أو ما جاء النزف ليكشف عنها لأول مرة .

على أن النزف التنفسي قد يحدث ، في أحيان أخرى ، بأسباب خارجة عن الجهاز التنفسي ، فبعض حالات قصور القلب وفشله ، وبعض الأمراض التي تصيب صمامات القلب ، قد تؤدي إلى احتقان الدم في الرئتين ، وبالتالي الى تمزق بعض الشعيرات الدموية الرقيقة فيها ، وخروج الدم مع السعال ، وبطبيعة الحال فإن علاج تلك الحالات يجب أن يتركز على علاج العلة المسببة لها .

علامات على طريق التشخيص :

اعتمادا على ما سبق نستطيع أن نقول : ان ظهور الدم في قشع المريض ، أو في أثناء سعاله ، ليس هو المشكلة ، فهذا ليس أكثر من عرض ، لمرض يجب الكشف عنه ، ليس في وسع الطبيب أن يحدد المرض بمجرد رؤيته لهذا الدم ، بل لا بد له من التماس وسائل تشخيصية أخرى ، كما لابد له من الإصغاء إلى تفاصيل الشكوى وتاريخها ، وما يرافقها من ظواهر ، قد لا يفطن المريض إلى أهميتها ، وإلى ارتباطها بشكواه الراهنة ، في سبيل التوصل إلى التشخيص السليم المحدد .

إن أول ما ينبغي على الطبيب أن يوجه عنايته إليه ، وهو يستقبل حالة نزف صدري ، أن يتأكد من أن هذا النزف مصدره الصدر فعلا ، ففي أحيان كثيرة يلتبس دم الرعاف بدم الصدر ، وذلك حين يصل دم الرعاف إلى مؤخرة الحلق ، ويثير سعالا مصحوبا بدم ، وفي أحيان أخرى يلتبس الدم الصادر عن الجهاز الهضمي بدم الصدر ، وذلك حين تكون هنالك التهابات أو قرحات نازفة في المرىء أو المعدة ، فيصل الدم إلى البلعوم ، ويتم طرحه بعملية تقيؤ مصحوب بسعال دام . ومن أجل هذا فإن طبيب الصدر قد يستأنس باختصاصيي الأنف والحنجرة والهضم والقلب ، لنفي كل شك في مصدر هذا الدم ، قبل أن يجعل اهتمامه منصبا على الصدر ، وعلى جهاز التنفس ككل ، وقبل أن يبدأ بالتعامل مع الإصابة على أنها مشكلة صدرية بحتة .

إن عمر المريض له أهمية خاصة في توجيه الطبيب ودقة تشخيصه للمرض ، فمريض دون الأربعين من العمر ، يشكو من سعال مصحوب بدم ، هو في الغالب مريض يشكو من التهاب في القصبات ، أو من تدرن في الرئة . في حين أن الشكوى نفسها من مريض تجاوز الأربعين من عمره ، تحمل على الشك بإصابة ورمية ، ذلك أن احتمال سرطان الرئة ، لدى مريض دون الأربعين ، تقل نسبته عن ١٪ .

كما أن للتدخين ، ومدته ، وكثافته ، أهمية خاصة أيضا في مجال التشخيص . فإن التدخين يؤهب بدرجة عالية ، للإصابة بالتهاب



● عين الطبيب تسبر أغوار الجهاز التنفسي بدقة ووضوح .

القصبات المزمن الذي يعد من الأسباب الشائعة لحدوث نزوف صدرية متفاوته الشدة ، ناهيك عن دوره الذي بات مؤكدا الآن في إحداث سرطانات الرئة .

وبالاضافة إلى ذلك فإن مما يفيد الطبيب معرفته ما إذا كان المريض قد تعرض لإصابات قلبية سابقة ، وما إذا كان يتعاطى مميعات الدم ، وما إذا كان قد شكا مرة أو أكثر من مرة من نزوف من مصادر أخرى ، كالنزف في أثناء التغوط أو التبول ، مما يشير إلى وجود اضطراب ما في آلية تخثر الدم .

عدم التهاون :

ومن المفيد جدا أن نشير إلى أن كمية الدم التي تصاحب السعال ليست لها أهمية كبيرة في تقدير حجم المشكلة ، فالتهاب القصبات مثلا قد يرافقه نزف شديد ، يثير مخاوف المريض وطبيبه على السواء ، على الرغم من أن الأمر قد لا يكون بالدرجة التي تستدعي ذلك ، فإن السيطرة عليه بالمضادات الحيوية المتنوعة ، ومثبطات السعال ، أمر في متناول اليد آخر الأمر .

وعلى الوجه المقابل فإن سرطان الرئة ـ على ماينذر به من خطر قد يترافق بخطوط بسيطة من الدم عند التقشع ، مما لا يلقي المريض إليه بالا . وهذا يعني أن الطبيب والمريض جميعا مدعوان لعدم التهاون في أمر الدم المشاهد مع السعال ، مهما يكن مقداره ، لمواجهة المشكلة في بواكيرها ، واحتوائها قبل أن تستفحل وتستعصي على العلاج .

إن فحص الصدر سريريا له أهمية لا يستهان بها في تحديد سبب النزف ، فوجود الوزيز Wheezing أو ضعف الأصوات التنفسية ، عند مريض مدخن عدة سنوات ، قد يشير إلى التهاب قصبات مزمن ، كما قد يدل على احتمال وجود إصابة ورمية . وعلى صعيد آخر فإن بعض الأصوات القلبية قد يوجه الطبيب إلى وجود آفة في صمامات القلب ، من الممكن جدا أن تكون المسؤولة عن حدوث النزف الصدري .

ومن العلامات التي يسعى الطبيب إلى البحث عنها وجود بعض التضخم في العقد اللمفاوية في أعلى الصدر أو الرقبة ، فإن هذه العقد قد تكون دلالة على سرطان رئوي متقدم ، كما أن البحث عن كدمات أو بقع دموية تحت الجلد ، في مناطق مختلفة من الجسم ، قد يفيد في الكشف عن اضطراب في صفيحات الدم أو في تخثره .

ومع أن هذه الفحوص والاستقصاءات

المبدئية توجه الطبيب ، وتساعده على اقتراح تشخيص محدد ، فإنه لن يستغني - للوصول إلى الجزم والتأكيد - عن وسائل تشخيصية أخرى ، كالفحوص المخبرية ، وفحوص التحسس ، وتخطيط القلب ، فضلا عن الأشعة والتنظير القصبي ، وتصوير الأوعية الصدرية ، وتصوير الأوعية الدموية ، وتصوير القصبات ، وغير ذلك .

التنظير القصبي :

لقد كان التصوير الشعاعي وما يزال واحدا من أبرز وسائل تشخيص الأمراض الصدرية ، وفي حالات النزف التنفسي كان التصوير الشعاعي يعد الوسيلة التشخيصية الأقرب تناولا ، والأكثر يسرا ، والأقل عبئا ، إلا أنه في بعض الحالات تكون الصورة الشعاعية عاجزة عن إعطاء التشخيص الصحيح ، وتوقع الطبيب في ما يعد اطمئنانا كاذبا . وهنا يبرز دور التنظير القصبي كوسيلة لا تخطيء النظر ولا تكذب الخبر ، فهو عين ترى بوضوح ، تجوس خلال القصبات ، وتدلف إلى دهاليزها الضيقة المعتمة ، وتنقل بدقة ووضوح واقع الشكوى وبعدها الحقيقي . فما الذي يعرفه الناس عن هذه الأداة التشخيصية المتطورة التي باتت تستخدم بشكل شبه يومي في العيادات والمشافي الصدرية ؟

إن التنظير القصبي يعني إدخال منظار لين عبر الأنف أو الفم ، تحت التخدير الموضعي ، إلى القصبات الهوائية ، والنظر إليها وإلى تفرعاتها ، والبحث عن مكان النزف ، وتبين درجته . وقد يتطلب الأمر أخذ خزعات مختلفة من الأنسجة (BIOPSY) لإخضاعها للفحص الجرثومي أو النسيجي ، فيتم ذلك بالمنظار نفسه .

إن الأشخاص الذين يتعرضون لنزف رئوي شديد ، قد يحتاجون إلى تنظير قصبي إسعافي ، وذلك لتحديد سبب النزف ومكانه ، ولتحرير الطرق التنفسية من الدم ، عن طريق سحبه ، ووضع أنبوب قصير في القصبة الهوائية الرئيسة ، للإبقاء عليها منفذة ، تسمح بتنفس المريض ، وتمنع اختناقه بدمائه .

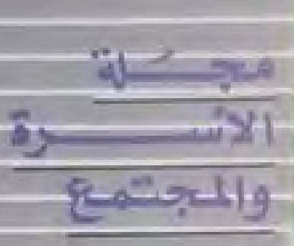
ونحب هنا أن نشير إلى أن التنظير القصبي عملية مأمونة العواقب ، إن هي أجريت بأيد خبيرة ، كما أن الاختلاطات فيها أمر قليل الحدوث ، فضلا عن أن تلافيها واحتواءها - إن حدثت - أمر في متناول اليد .

على أن في الحالات الشديدة التي يتطلب الأمر فيها تدخلا جراحيا ، لمنع النزف من التكرار ، وبعد استنفاد الوسائل الآنفة الذكر ، يبرز « تصوير الأوعية الصدرية » وسيلة تشخيصية مهمة ، وذلك بغية الكشف عن اتصالات وعائية صدرية ، شاذة خلقيا ، كما أنه يمكن خلال عملية التصوير هذه سد تلك الأوعية الدموية النازفة عن طريق حقن بعض المواد التي تساعد على تخثر الدم والتئام الوعاء الدموي النازف .

التدبير العلاجي :

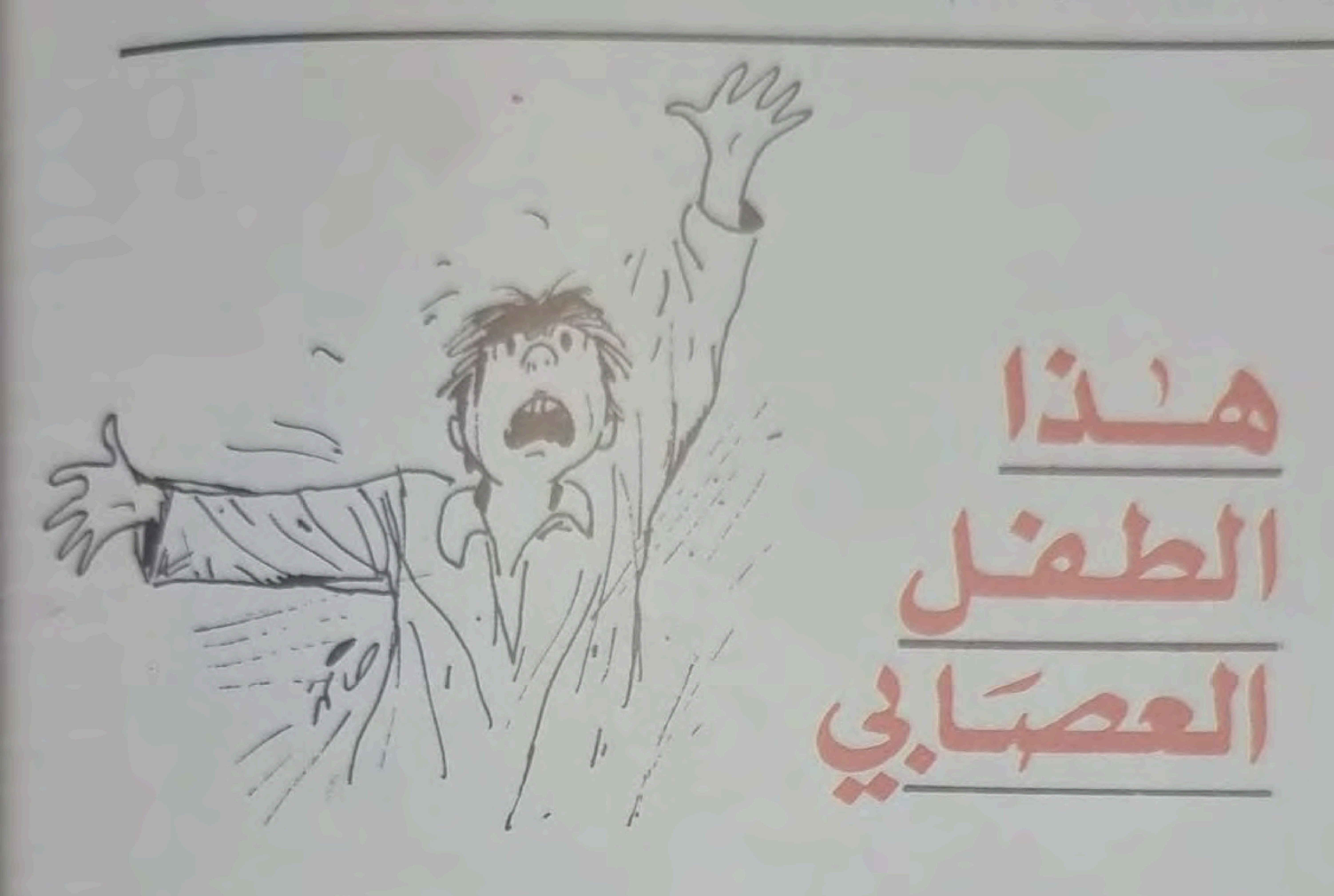
بعد هذا العرض المختصر نخلص إلى العلاج ، فنقول : إن ظهور الدم مع القشع في أثناء السعال أمر مقلق للمريض حقا ، وهو قلق في مكانه ، لما قد ينطوي عليه هذا الأمر من دلالات خطرة ، ولكن على المريض أيضا ألا يسرف في الخوف ، فإن العديد من أسباب هذا المرض يعود إلى التهابات عادية ، تحدث كثيرا ، وتتم السيطرة عليها بالمضادات الحيوية المناسبة ، إلا أنه في الحالات الشديدة يتطلب الأمر إدخال المريض إلى المستشفى للمراقبة والراحة في السرير ، وإعطاء مثبطات السعال لتقليل حدة النزف . أما في الحالات الأخطر والأشد فإن المكان الأنسب للعلاج هو في وحدة العناية المشددة ، إذ يتم وضع أنبوب خاص في القصبة الهوائية للمريض ، لتمكينه من التنفس ، بعيدا عن خطر الاختناق . وفي وقت ما ، قد تكون الجراحة هي الفرصة الوحيدة المتوافرة لإنقاذ المريض ، وتأمين سلامته . □

البيت العربي



هذا الطفل العصبي

■ الموهبة ورعايتها



هذا الطفل العصابي

بقلم : الدكتور عبدالستار ابراهيم

خطأ ما في تربية الطفل ، أو في التعامل معه ، قد ينتج عنه شخصية قلقة ، غير قادرة على التوافق مع المجتمع ، وهذا القلق في أحد جوانبه ، يعكس اضطرابات الآباء أنفسهم التي تعيق قدرتهم على تربية أبنائهم تربية جيدة .

الطفل العصابي طفل مثقل بالهموم والقلق ، وهو كما قال أحد العلماء المعاصرين : طفل يصعب عليه أن يسبح في بحر الحياة ، أو يستمتع بها ، دون شعور دائم بأنه في سباق لا توجد فيه خطوط للنهاية ، والطفل العصابي القلق يدفع نفسه للتحدي بأكثر مما تساعده به طاقته ، فهو مكتئب ، يتعرض بسرعة للإحباط والأمراض الجسمية . إن البحوث الحديثة تثبت أن هناك قائمة طويلة من الأمراض الجسمية ، كالصداع والتعب السريع ، وأمراض الحساسية والتنفس التي تنتشر بين هؤلاء الأطفال ، وتكون أحيانا نتيجة مباشرة للقلق والصراع والهروب من التفاعل الصحي مع الحياة ، وتنتشر بين أطفال هذه الفئة أيضا المخاوف المرضية من الظلام ، أو الحيوانات ، أو الوحدة ، أو غير ذلك ، وتشيع بينهم أعراض أخرى ، كعدم الثقة بالنفس ، والخجل الشديد . صداقاتهم قليلة ، مشحونة بالخلافات . وحساسيتهم مفرطة ، ويسود بينهم شعور

عام بعدم الرضا عن النفس .

وأيا كانت مصادر القلق والسلوك العصابي بين الأطفال ، فإن هناك ما يؤكد أن اتجاه الطفل للقلق والعصاب نتيجة مباشرة لعلاقات اجتماعية بيئية ، تفتقر للصحة والاتزان . صحيح أن هناك ما يؤكد أن الطفل العصابي يولد منذ البداية باستعدادات وراثية ، تتسم بوراثة جهاز عصبي سريع الاستثارة ، إلا أن هذا الاستعداد الموروث لا يتحول بالضرورة إلى القلق والعصاب ، فلابد من وجود عوامل مباشرة تفجر هذه الحساسية ، وتوجهها إلى هذا الوجه السلبي من الحياة .

ويبدى المعالجون النفسيون اهتماما واضحاً بنقاط الضعف في العلاقة الأسرية بالطفل ، على أساس أنها ترشدنا لوضع الخطط الوقائية ، لحماية الطفل من القلق قبل تفاقمه .

أسر صناعتها القلق :

الأسر التي تنتج القلق وتصنع العصاب تتسم أساليبها بشكل عام بالتركيز القصدي المتعمد على إثارة القلق ، بمقارنة الطفل دائما بالآخرين ، وتذكيره الدائم بأخطائه ونقاط ضعفه ، وهي تحقر إمكانيات أطفالها ، وتقلل من قدرتهم على حل مشكلاتهم ، ويستخدم الوالدان في هذه الأسر أساليب من الضبط ، تعمل مباشرة على إثارة القلق ومشاعر الذنب . بعبارة أخرى فإن هناك كثيرا من العبارات يسهل تداولها في داخل هذه الأسر ، كأن يقول الأب أو الأم لابنهما : (لا تتدخل في مناقشات الكبار) ، (هذا رأي طفل لم ينضج بعد) ، (إنك أناني ، ولا تحب إلا نفسك) ، (لقد حصلت في الحساب على درجة أقل من درجة الطفل الفلاني ، إنك غبي) ، وهكذا .

ونلاحظ هنا أن العبارات السابقة جميعها تجعل الطفل مثقلا بالمشكلات ، والمنافسة ، والأعباء ، في فترات مبكرة من العمر . وهي تثير مخاوفهم مبكراً من العالم ومن الناس ومن قدرتهم الشخصية على التفكير المستقل والنضوج . ومن الطبيعي أن يتحول الطفل في ظل هذه الأساليب إلى كائن مذعور ، يصعب عليه أن يؤمن بأنه صاحب إمكانيات قيمة جديرة بالاحترام .

ويلاحظ أحد العلماء أن التربية الأسرية التي تتصف بالخصائص السابقة أو بعضها تخلق ما يسمى طفل « النمط أ » ، وهو طفل يتصف بخصائص مبكرة ، يبقى بعضها معه العمر كله ، منها : الاهتمامات المحدودة والفقيرة ، وميول التعصب والتعالي ، والنفور الشديد من الآخرين ، والاضطراب الشديد عند المرور بتغيرات غير متوقعة . وطفل « النمط أ » يعجب بالسلطة وبالنماذج التسلطية ، ولهذا فهو يعمل جيداً إذا كان الهدف هو إرضاء المحيطين به من الكبار والأقوياء ، لكنه يصبح فاتر الحماس ، متقاعساً ، عندما لا يخضع للرقابة .

قبل فوات الأوان :

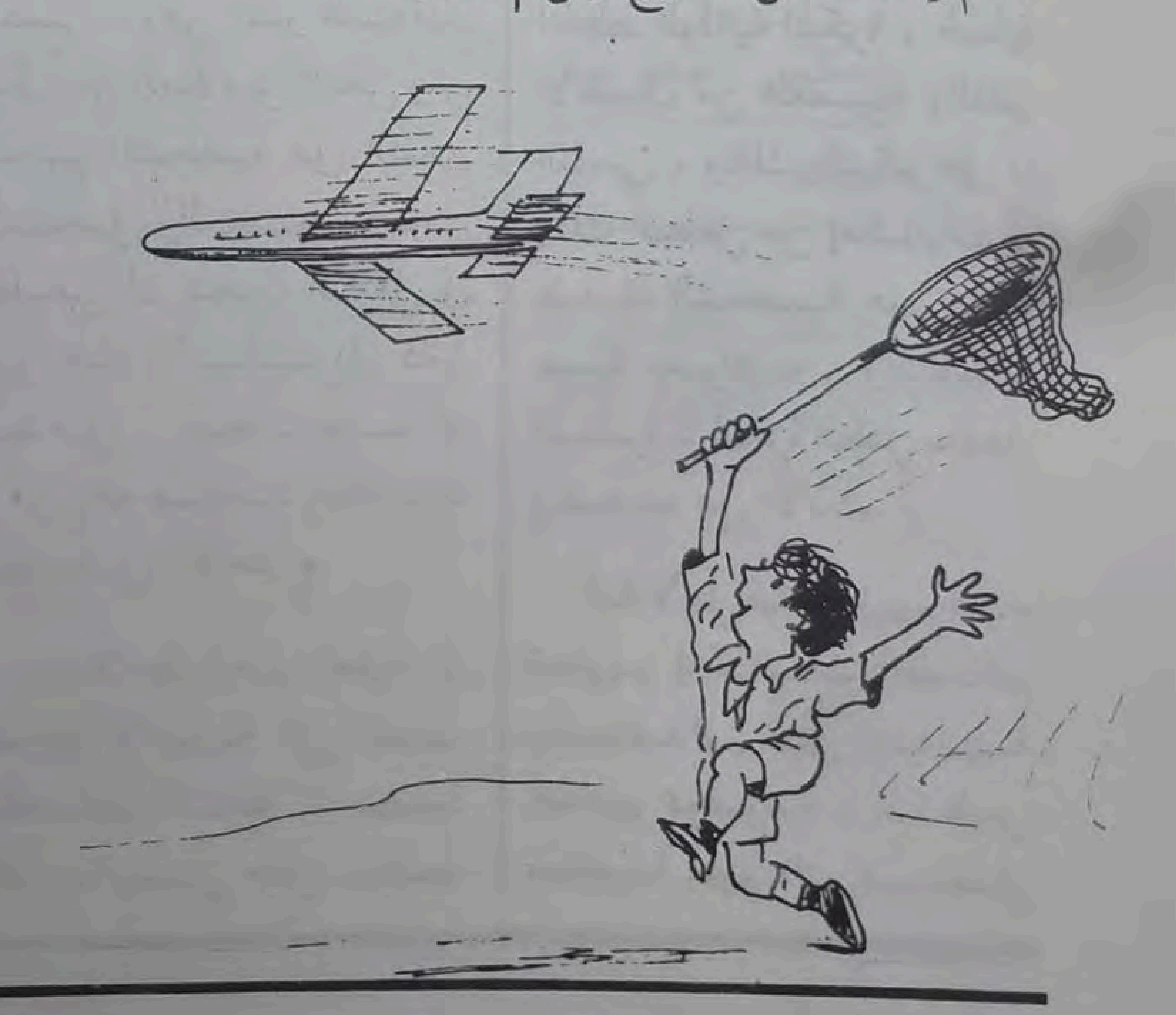
يمكن النظر لبدائل هذا الأسلوب على أنها تمثل خطوطاً عريضة لما يجب أن تكون عليه الخطط الوقائية المبكرة ، لحماية الأطفال من العصبية والقلق النفسي ، وذلك بالتركيز على ما يملك الطفل من إمكانيات ، بقدرته الشخصية على تنمية نفسه ومواهبه ، والمتابعة المستمرة لما أنجزه الطفل بالفعل وتشجيعه على الاستمرار .

أما الأهل فيقع عليهم عبء تطوير إمكانيات أطفالهم ومساعدتهم على مواجهة أزماتهم بموضوعية ، لذا فليس مطلوبا منهم التركيز على

الكمال المطلق ، بل على ضرورة أن يكون الطفل مقتنعا في داخله بإمكانياته ، وعلى ما يمكن أن يحصل عليه من رضا أو إشباع إذا أنجز عمله في وقته مثلا ، ثم محاولة التقليل من الشكوى الدائمة والتبرم بالحياة أمام الطفل ، ولا يجدر بالوالدين قبول أعذار الأطفال ، عندما يعلمان أنها مجرد حجج يخلقها الطفل ليهرب من المسؤولية ، وإنما عليهما تشجيعه على المواجهة ، وعلى التعرض التدريجي لمصادر الإحباط والخوف ومناقشتها .

ولا داعي كذلك لفرض طلبات غير واقعية ، لا تتحملها إمكانيات الطفل ، بل التعامل مع أهداف واقعية قصيرة المدى . ومن الضروري عدم إخافته من الخارج ومن الآخرين ، وتشجيعه على المجازفة المحسوبة ، كالسباحة مثلا ، بدلا من إخافته من الغرق وإقناعه بارتداء الملابس الثقيلة الملائمة ، بدلا من تخويفه من البرد ، واللعب مع الآخرين فعند ذلك سيكون بالتأكيد أفضل .

وأخيراً فإن كثيرا من مشكلات الأطفال لا تنتج دائما عن الاضطراب ، بقدر ما تصدر عن عدم الخبرة وعدم النضوج ، لذا يجب التزود ببعض الثقافة الملائمة عن سلوك الأطفال في الأعمار المختلفة ، وجعل الطفل يسعد بالتصرف الملائم لعمره ، بدلا من الغضب والغيظ عندما يسلك الطفل سلوكا حسب ما تمليه عليه طفولته وعدم نضجه .



العلاج داخل الأسرة :

لكن ما العمل لو أن الطفل تحول بالفعل للإصابة بواحد أو أكثر من الأعراض العصابية ؟ هنا يجب الحديث عما يسمى العلاج النفسي السلوكي الذي يأخذ عدة محاور ، يكمل بعضها بعضا ، ويكون من أهدافها التخلص من القلق بمظاهره السلوكية ، والانفعالية ، والمعرفية مجتمعة ، بحسب الخطوط العلاجية العامة . وعلى الأهل يقع العبء الأكبر في التعرف على سبب هذه المخاوف التي هي مصدر قلق الطفل واضطرابه ، وذلك بالقيام بكل الجهود الممكنة لإبعاده عن الأشياء التي تثير مخاوفه ، لتجنب تعرضه المفاجيء لمصادر القلق ، بناء على بعض التصورات الخاطئة .

وتتطلب العقلانية أن يتسلح الآباء بالهدوء عند التعامل مع مخاوف الأطفال . ولا يعني هذا أن نلوم الطفل على مخاوفه أو نسخر منه ، فالسخرية من الطفل في مثل هذه المواقف ستجعله يتجنب فيما بعد الشكوى ، والتعبير عن مشاعره بصدق ، مما سيقلل فرص مساعدته . فضلا عن هذا ، فليست كل مخاوف الأطفال

وهمية أو حمقاء فقد يكون لها ما يبررها ، بل قد تكون علامة على ذكاء الطفل ووعيه وحسن تقديره للأمور .

وإذا كانت السخرية والتهكم من الطفل في مواقف القلق ممنوعين ، فإن الإحساس بالفكاهة ، وخلق روح مرحة ضاحكة أمران تتطلبهما الصحة . إن الفكاهة والمرح يشجعان الطفل على التخفيف من الهموم ، ويساعدانه على مغالبة مخاوفه . وإن للروح المرحة الضاحكة وظيفتين : فهي من الناحية « الفسيولوجية » تستثير وظائف معارضة للقلق ، كما أنها تكشف له عما في الموقف المخيف من ضعف ، أوغموض أو مصداقية ، مما يساعد الطفل على التخلي عن معتقداته الخاطئة عن هذه الأشياء .

التدريب على التعبير :

وما العمل إذا كان القلق عاما ، غير محدد بموضوع بعينه ، يتخفّى خلف مشاعر النقص ، وعدم الكفاءة ، والعجز عن التعبير عن النفس ؟

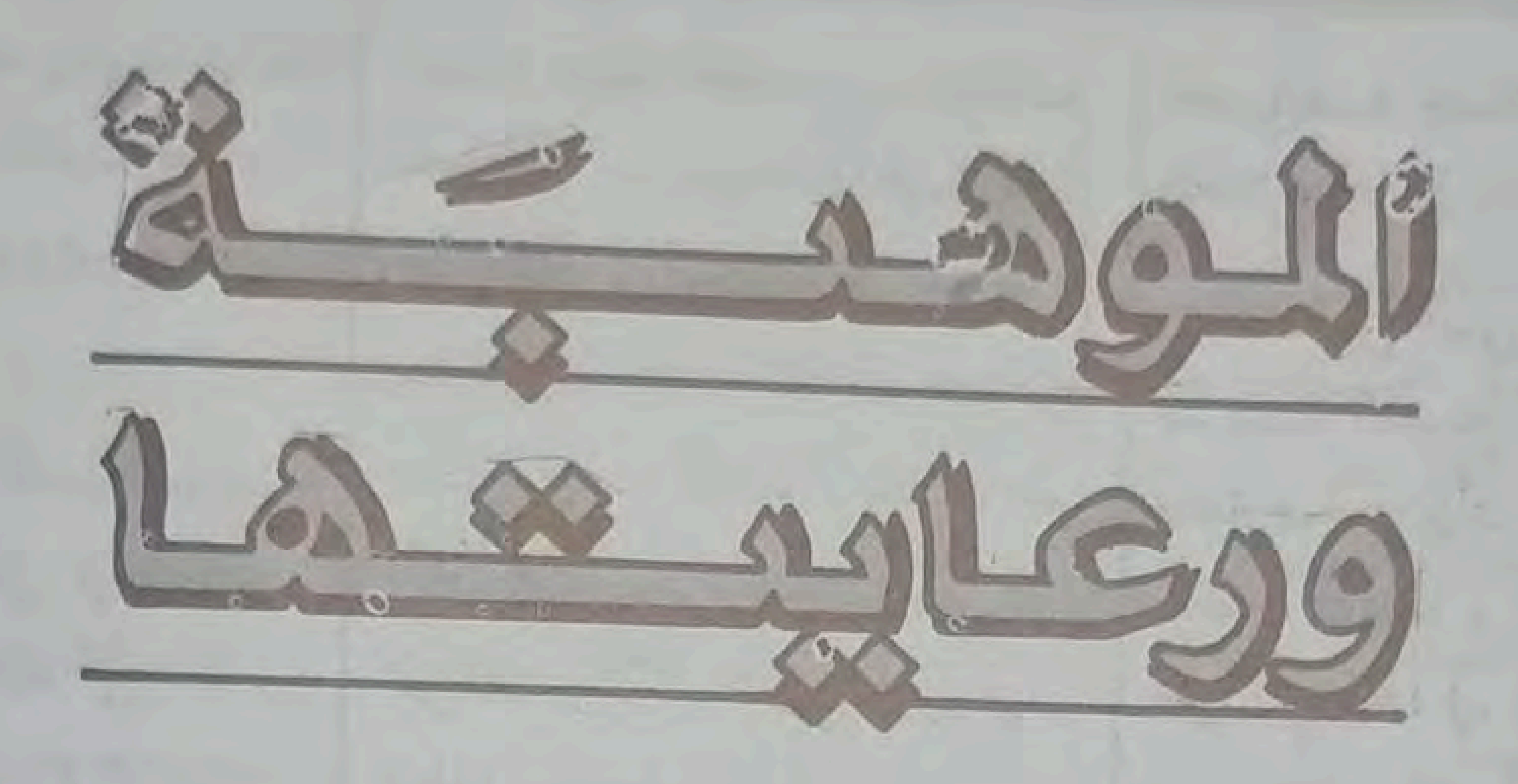
لقد علمتنا خبرة التعامل مع هذاالنوع من الأطفال أن نسبة كبيرة منهم تخضع ، نتيجة لمفاهيم تربوية وأخلاقية خاطئة ، لضغوط حادة ، يضطرون نتيجة لها أن يتعلموا مبكراً كيف يكتمون مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه كثير من المواقف والأشخاص ، فيتحول الطفل نتيجة لهذا إلى ما يسميه علماء النفس الشخصية المكفوفة (أو المقيّدة) ، وهنا نجد طفلا انسحابياً ، ينقصه وهج التعبير عن مشاعره بالحب أو السخط أو الغضب ، أو الإعجاب .

لهذا فإننا نبذل من ناحيتنا جهدا كبيرا في تدريب القدرة على تأكيد الذات ، وعلى التعبير الحر الطليق عن المشاعر والانفعالات ، فنشجع الطفل (ونشجع الآباء على أن يشجعوا الطفل المصاب) ، ونعطيه الفرصة للتعبير عن كل المشاعر الإيجابية (كالحب ، والإعجاب ، والدهشة) ، والسلبية (كالتعبير عن الغضب والضيق) ، بما يلائم الموقف .

وقد طور المعالجون النفسيون في هذا العقد عدداً من الأساليب العملية الفاعلة التي من شأنها أن تدرب قدرات الطفل على تأكيد نفسه والتعبير بحرية عن انفعالاته ، كتدريب الطفل على التعبير عن مشاعر متنوعة خلال جلسات العلاج .

فالطفل الذي يتيح له والداه فرصة التعبير عن مشاعر متعارضة ، وأن يغير انفعالاته بتغير الموقف ، أو أن يُشجّع على الانتقال في سلسلة متنوعة من التعبيرات الانفعالية من الإعجاب إلى الغضب ، ومن الفرح إلى الحزن مثلا ، سيكون بإمكانه فيما بعد أن يكيّف نفسه سريعاً مع المواقف ، بفضل اكتسابه القدرة على تلوين انفعالاته ، وتطويعها بشكل ملائم للظروف . ومن المؤكد أن الطفل القادر على تنويع مشاعره ، والتعبير عن أحاسيسه في المواقف المختلفة ، سيكون أقل قلقا واضطرابا من طفل لم تتح له إلا فرصة التعبير عن القلق .

إن الإكثار من لعب الأدوار بصورة واثقة ، وتشجيع الطفل على إعادتها عدداً من المرات في مواقف مختلفة متنوعة ، سيمدان الطفل برصيد هائل من المهارة الاجتماعية . ومثل هذا الطفل سيكون من الصعب عليه أن يلجأ إلى الهروب ، أو إلى التصرفات الخرقاء ، وسيكون بإمكانه لهذا أن يقاوم قلقه ، وأن ينطلق بإمكانياته إلى آفاق انفعالية أكثر نضجاً مما كان عليه من قبل . □



بقلم : عبدالكريم فتح الله *

كانت ظاهرة التفوق العقلي أو العبقرية مثار تساؤلات كثيرة على مر العصور وما زالت كذلك . حاول الفلاسفة والعلماء ، بل حتى عامة الناس الإجابة عنها ، وعكست إجاباتهم جميعا قدراً من الحيرة والتقدير ، وربما قدراً من الحسد أيضا .

الطفل الموهوب هو من يتمتع بذكاء رفيع ، يضعه في الطبقة العليا التي تمثل أذكى ٢ ٪ ممن هم في سنه من الأطفال ، أو هو الذي يتمتع بموهبة بارزة في أي ناحية .

والعبقرية في معناها العام هي النبوغ الذي يبدو عند بعض الأفراد في الأداء والسلوك الذي تتطلبه الثقافة القائمة . ولذا ترتبط العبقرية ارتباطا وثيقا بالشهرة ، فالسباح الماهر بهذا المعنى عبقري ، شأنه في ذلك شأن الشاعر النابغة ، والفيلسوف المشهور ، والعالم المبتكر . ويقاس النبوغ بمدى التفوق عن المستوى العادي للأفراد الآخرين . والمواهب تختلف فيما بينها بالنسبة لمدارجها وطبقاتها ، فالنبوغ في العلم أقوى من النبوغ في السباحة بالنسبة للثقافة العلمية والحضارة القائمة . وهكذا يمكن أن نرتب نواحي النبوغ للمواهب ، ودرجة التفوق في كل موهبة .

إن الحديث عن العبقرية يتضمن اشارة إلى المستويات العليا للذكاء ، وإلى القدرات العقلية المعرفية . وبما أننا نوزع نسب الذكاء إلى طبقات ، يعلو بعضها فوق بعض ، فالمستويات التي تدل على العبقرية إذن هي المستويات العليا لتلك النسب .

نستنتج من هذا أن الموهبة قدرة خاصة ، يملكها الإنسان وتكون في باديء الأمر استعداداً أو قابلية ، فإذا ماتوافرت لها الظروف المناسبة ، تفتحت ونمت ، وانطلقت من إسارها . وهذا ما يبدو لنا من ملاحظتنا لعدد من الموهوبين في شتى مجالات الحياة : في الشعر أو الموسيقا ، أو غير ذلك .

* كاتب من القطر العربي السوري

جنون أو نقص ؟

حاولت بعض النظريات تفسير الموهبة . ومن أهم هذه النظريات النظرية المرضية ، ونظرية التحليل النفسي ، والنظرية الوصفية ، والنظرية الكمية .

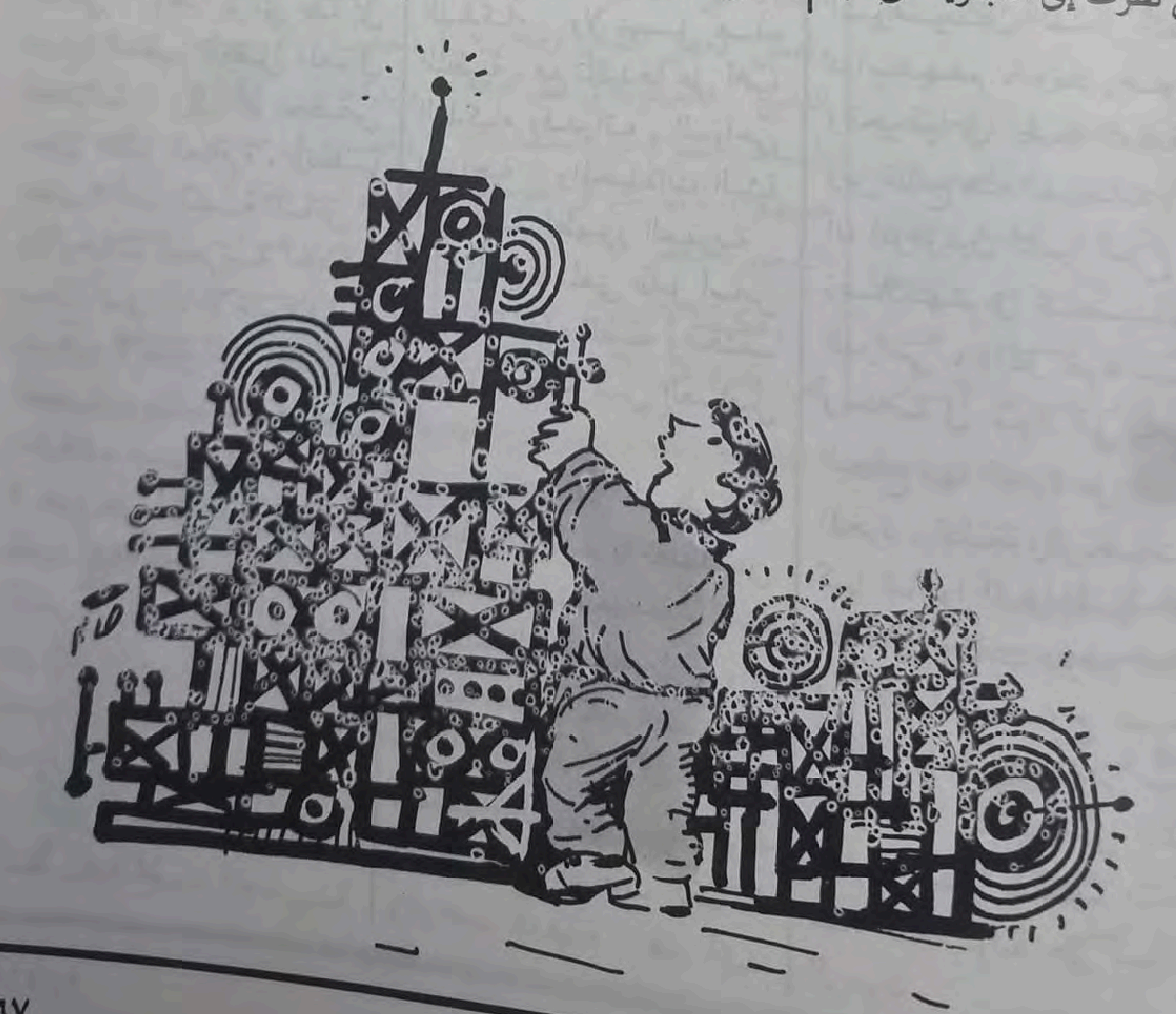
النظرية المرضية : تفسر الموهبة على أنها ظاهرة مرضية ، تصيب بعض الأفراد ، وتقرر هذه النظرية أن الصلة وثيقة بين العبقرية والجنون . وقد تأثرت الثقافة اليونانية وغيرها من الثقافات القديمة بهذه الفكرة التي نظرت إلى العبقرية على أنها سلوك شاذ ، يصعب على الإنسان العادي فهمه وتفسيره ، ولذا ظنت أن لكل شاعر عظيم شياطين يوحون إليه روائع شعره ، ويعلمونه الفصاحة والبيان .

ولقد أثبتت الأبحاث العلمية خطأ هذه النظرية ، لأنها أكدت ، بطريقة قاطعة ، أن نسبة الجنون بين العباقرة أقل من النسبة العادية للمجتمع القائم .

نظرية التحليل النفسي : تعتمد في تفسيرها للعبقرية على أساس قوة الدافع النفسي للتفوق والامتياز ، وهي تغالي في تأكيد هذا الدافع ، إلى الحد الذي تنسب إليه وحده ظهور العبقرية . والعبقرية عند دعاة هذه الفكرة إعلاء للدوافع الأولية ، أو تعويض عن النقص ، مع المبالغة في هذا التعويض ، أو العمليات الابتكارية اللاشعورية كما يرى « فرويد » وغيره من رواد التحليل النفسي .

وأيا كان الرأي في جوهر هذا الدافع فهو لن يقفز بالأبله إلى مستوى التفوق ، ولن يصنع من المعتوه عبقريا .

فالدافع وحده لا يكفي لتفسير هذه الظاهرة ، لأن



العبقرية تعتمد على الاستعداد الممتاز ، والقدرة الفائقة ، كما تعتمد على الدافع في حفز تلك المواهب إلى الظهور في أرقى صورها وأسماها .

أعلى درجة

النظرية الوصفية : تفسر العبقرية تفسيرا يعزلها عزلا تاما عن قدرات الفرد العادي ، فالاختلاف بين أي فيلسوف عادي وبين أرسطو أو برتراند راسل ، هو اختلاف في النوع ، أكثر منه اختلاف في الدرجة ؛ أي أن هؤلاء العباقرة يتميزون بقدرات ومواهب لا تظهر عند الفرد العادي . وهذا يؤدي بنا إلى تغيير التنظيم العقلي المعرفي للقدرات ، وإلى أن نخصص تنظيما عقليا للعباقرة ، وتنظيما عقليا آخر لبقية الناس . والأبحاث التجريبية الحديثة تدل على أن الاختلاف في جوهره لايقوم على اختلاف الصفة ، وإنما يقوم على اختلاف مستواها ؛ أي أنه لا يقوم على أن العبقري يتميز بقدرة عقلية معينة عن غيره من الناس ، ولكنه يسفر في أدائه عن أرقى مستويات القدرة التي تبدو عند بقية الأفراد عادية أو ضعيفة .

النظرية الكمية : إن تفسير النظرية الكمية للعبقرية



يخضع ، في جوهره ، لنتائج الأبحاث التجريبية في القياس العقلي ؛ فالعبقرية بهذا المعنى تميز في نسبة الذكاء وتميز في مستويات القدرات العقلية المعرفية التي يشتمل عليها هذا الذكاء . ولا تهمل هذه النظرية - مع تأكيدها على أهمية الذكاء وقدراته - النواحي المزاجية ، والمحددات البيئية التي تمهد لظهور العبقرية . فالذكاء بهذا المعنى عامل أساس في تحديد هذه الصفة والكشف عنها ، لكنه ليس العامل الوحيد .

نستخلص من النظريات السابقة أن العبقرية تعتمد على الذكاء ، كما تعتمد على المثابرة والكفاح الشاق الطويل ، وأن الدافع القوي يساير المستويات العليا للذكاء ، كما أن المثابرة والكفاح الطويل يلعبان دورا مهما في تفتح الطاقات الكامنة والمواهب الدفينة . فقد أكد « اديسون » ، المخترع المشهور ، هذه العوامل في تحليله لأسباب نجاحه عندما قرر أن أكثر من ٩٠٪ من أسباب نجاحه عرق وكفاح وصبر وعمل . ومهما يكن من أمر هؤلاء العباقرة ، فإنهم يؤكدون أهمية العوامل المزاجية والبيئية ، ويتحفظون في تأكيدهم للعوامل العقلية المعرفية تواضعا وخشية أن يظن بهم الغرور .

مظاهر العبقرية

لقد أجريت عدة دراسات ميدانية على عينات من الموهوبين الذين أتموا دراستهم ، وتزوجوا ، وانخرطوا في الحياة العامة . ومن نتائج هذه الدراسات وجد أن الموهوبين كانوا أسرع من زملائهم في تحصيلهم الدراسي ، وأكثر تفوقا منهم ، وبخاصة في المواد التي يتطلب النجاح فيها القدرة على التفكير المجرد ، كاللغة والرياضيات ، كما كانوا أكثر إقبالاً على القراءة . وكانت ميولهم العقلية والاجتماعية خارج المدرسة أحفل وأكثر تنوعا من ميول غيرهم . ومما يستحق الذكر أنهم احتفظوا بذكائهم مرتفعا منذ الطفولة حتى مرحلة الرجولة .

الموهبة لا تكفي

إن ميول الموهوبين خصبة متعددة واقعية ، وإرادتهم قوية ، ومثابرتهم ممتازة ، ورغبتهم في التفوق شديدة ، وثقتهم بالنفس عظيمة ، وزعامتهم واضحة ، وتفاعلهم الاجتماعي واسع وشامل ، لأنهم سرعان ما يندمجون في الجماعات الكبرى ، كما أن تحصيلهم المدرسي يفوق المستوى العادي للتحصيل .

والعبقري هو من يسعى عامداً ، ويقدر على إحداث تغير مبتكر أصيل في ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية أو العلمية أو الفنية أو الأدبية أو السياسية أو الحربية . هو من يأتي بفتح جديد في ناحية من هذه النواحي . وللعبقرية شروط كثيرة ، عقلية وخلقية وانفعالية ، لا بد من توافرها حتى يصل الفرد إلى هذه المرتبة ؛ فالشرط الأساس للعبقرية هو القدرة على الإبداع والابتكار ، مع ما يتضمنه الابداع من أصالة وسبق وتفرد وامتياز ، لكن الموهبة الابداعية لا تكفي وحدها ، بل لا بد من صقلها وقدحها بالاطلاع والتعلم والتدريب ، حتى تتفتح وتنضج .

ومن شروط العبقرية أيضا سمات شخصية معينة ، منها : الحساسية للمشكلات ، والطموح المرتفع ، والثقة بالنفس ، والشجاعة في التعبير عن الرأي ، والمثابرة ، والمضي في العمل على الرغم مما يعترضه من صعوبات وعقبات ، ومنها القدرة على التركيز الشديد ، وتحمل العمل الشاق وسخرية الناس . فالعبقرية في نظر عامة الناس نوع من العدوان عليهم ، لأنها تثير في نفوسهم الشعور بالنقص .

وهكذا لا تكون العبقرية مجرد قدرة على الابداع أو قدرة على المثابرة ، بل تكون ضرورة نفسية ، وحاجة ملحة للإفصاح عن شيء يسبب للعبقري قلقا داخليا .

إن مظاهر النشاط الإبداعي للموهوبين يجب أن يكون موضع عناية واهتمام من المدرسة ، فالأطفال المتفوقون في الرسم ، أو عمل التصميمات والنماذج ، أو في الموسيقا ، يحتاجون إلى توجيه من المدرسة ، وإلى تشجيع مستمر ، وإلى تعزيز مناسب للإسهامات الناجحة التي يظهرونها .

ويكفي العبقرية أن مستقبل الحضارة الإنسانية مرهون بإبداعاتها ، ولولاها لراوحت الحضارة في مكانها ، وتجمدت في قوالب ثابته لا حراك فيها . فالمبدعون هم صناع الحضارة ، وهم بهذا يستحقون من الأمة كل رعاية واهتمام وتوجيه . □

فضل العلم



● قيل لبزرجمهر الحكيم : العلماء أفضل أم الأغنياء ؟ قال : العلماء . فقيل له : فما بال العلماء بأبواب الأغنياء أكثر من الأغنياء بأبواب العلماء ؟ قال : لمعرفة العلماء بفضل الغنى ، وجهل الأغنياء بفضل العلم .

هو.. هي

انحياز له أسبابه

■ خمسة عشر عاما هي عمر زواجنا ، وقبلها ثلاث سنوات فترة خطوبة ، ولم ينته خلافنا حول الموضوع عينه، والمشكلات نفسها .

كنت شقيقة لثلاث فتيات ، لست الكبرى ، ولا الصغرى ، فأنعم باحترام وإعزاز الكبرى ، أو أحظى بتدليل الصغرى ، وعندما توفي والدنا أوقفت أمنا حياتها على تربيتنا ، ومرت الأيام بقليل من الضحكات وكثير من الدموع ، وتزوجنا جميعا ، بعد أن أنهينا تعليمنا ، واستقرت بنا الحياة ، وإن كان لهذه السنين المريرة في حياتنا من أثر ، فقد أثمرت ترابطاً بالغ الشدة بيننا نحن الشقيقات ، فقد جمع بيننا قرب السن ، وكوننا فتيات بلا أخ ، وسنوات من تبادل الملابس وكتمان الأسرار الصغيرة . هذا التاريخ الطويل أحمله في قلبي محبة لشقيقاتي ، وحناناً لا ينتهي ، ومنذ أول أسبوع لخطوبتنا ثم بعد زواجنا وزوجي يشكو من تفرقة أمي في المعاملة ، وكيف أنها تجامل شقيقتي الصغرى ، وتحابيها وتغفر لها ، ولا تخطئها أبداً ، وإذا اشتكى أحد منها ، فشكواه غير ذات موضوع ، وإذا زارت أمي بناتها فأطول إقامة لها تكون لدى الصغرى ، وتخطيء الصغرى في حقنا ، وتتجاهل مجاملاتنا ، ونحكّم أمي فتحكم لها . نطلب من أمي - على كبر سنها - أن تحيك شيئاً من مشغولات الإبرة ، أو تعد وجبة ما ، فننتظر حتى تسمح ظروف أمي ، أما الصغرى فطلبها لا تمر عليه أربع وعشرون ساعة إلا ويلبى ، مهما كانت ظروف أمي الصحية . أيام الإجازات والعطل تذهب الصغرى فتقيم في بيت، أمي الواسع في الحي الراقي - نسبيا - فهو من بقايا منازل زمن مضى ، أما نحن فشكواها من الصداع ومن ضجيج الأطفال يكاد يبدأ قبل وصولنا . وأعترف أن كل ما سردته أنا اعترفت به صحيح ، ولكن على المقابل فأمي لاتقصر في واجب ، ولا تجور على حق واحدة منا ، وتحمل لنا حباً لابد أنه حب ، أما كونها تخص واحدة بمشاعر أكثر ، تحس تجاهَها بضعف ما ، فهذا حقها ، وهذا أمر لاتستطيع له دفعاً . وذات يوم قلنا - نحن الشقيقات - لأمي ملاحظات أزواجنا! ، فابتسمت ، وقالت : لاتنسين أن أباكن توفي وهي في الرابعة من عمرها ، فأنا أشعر أنني الأم والأب لها ، وإذا فاضت مشاعري فهذا على الرغم مني . وبكينا يومئذ ، وقصصنا ذلك على أزواجنا . شقيقاتي قلن : إن أزواجهن آمنوا واقتنعوا . أما زوجي فلا زالت معاركي معه مستمرة .

.. هي



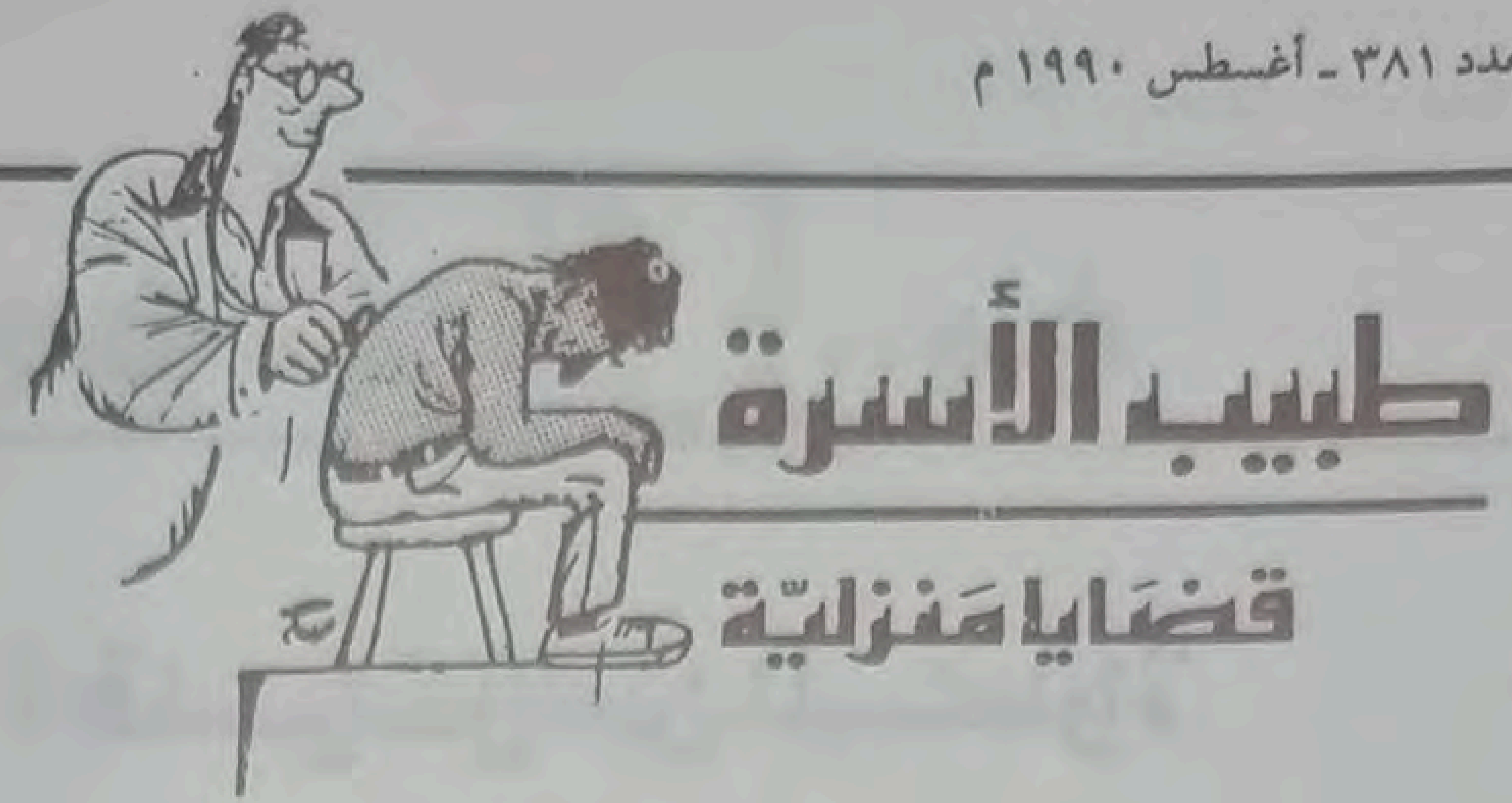
قليلٌ من المساواة

أقسم أنني لم آت من عرض الطريق، ولكنني تربيت وسط عائلة محافظة مترابطة، لنا أقارب، ونتمتع بعلاقات جيدة معهم، ولكنني لم أر مثل هذا الترابط الذي يفوق قدرة الوصف، ترابط أقرب ما يكون إلى جمعية سرية، وحلف مقدس. عجيب أمر هؤلاء الشقيقات الأربع وأمهن. عرفت هذه العائلة منذ ثمانية عشر عاماً، لم يحدث مرة واحدة أن اعترفت واحدة منهن أن شقيقة لهما أخطأت أو قصرت أو تجاوزت حدود اللياقة، أو تجاهلت واجباً مفروضاً. وعندما نتحدث نحن الأزواج أحيانا نكتشف أن كل واحدة تصر وتقول لزوجها: إنه هو المخطيء في هذا التصرف. حلف هكذا غريب. الأزواج لايمكن أن يقال أمامهم: إن إحداهن مخطئة، أو أن أي سوء تفاهم كان سببه تصرفا غير مسئول من واحدة منهن.

ولكن ما يثير غيظي هو موقف الأم، كنت أتصور أنها خارج الرابطة، وأن هذا التحالف هو حلف شقيقات، لكن الأم تفرط - على الرغم من حرصها - في تدليل الصغرى، وكل ما يتعلق بها وبزوجها وأولادها وطلباتها، وعلى الرغم من كل الحجج التي تسوقها زوجتي لتبرير موقف الأم، وحكايتها الدرامية عن يتم الصغيرة المبكر، فإنني أقول لها: في الكبر عندما يستقر الأبناء، يحتاجون أن يدركوا ويشعروا بعدالة الحنان، وإن الصغرى قد تجاوزت أزمة الاحتياج، واستقرت، والإفراط في التدليل والحنان يثير مشاعر ليست إيجابية، خاصة عندما يمنح زوج الصغرى محبتها نفسها، وتغفر له هناته، وتنسى سلبياته، ولا يرى أحد أخطاءه، وأنا قد أفهم سر هذا التعاطف، ولكن بعد أن استقرت الحياة وتمتع الجميع بعلاقات مستقرة، فليس هناك ما يمنع من قليل من الموضوعية، فالإفراط في المحاباة يثير ويغيظ. وعندما أقول هذا تثور زوجتي، وتقول: هذا أمر عادي، ودوماً هناك شخص مميز في كل عائلة، وما دمنا نحن راضيات، وأمنا لاتقصر في حقنا، فما دخلك أنت؟ وتعاطفنا بعضنا مع بعض هو نوع من الإيمان، فالحديث يقول: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما». أصرخ قائلا: يا زوجتي العزيزة أكملي الحديث، بأن ترده عن ظلمه أليس كذلك؟ لكنها لاترى إلا نصف الأشياء الذي يخدم وجهة نظرها فقط. □



هو..



الثراءُ الغذائي لهُ أمراض

بقلم : الدكتور حسن فريد أبوغزالة

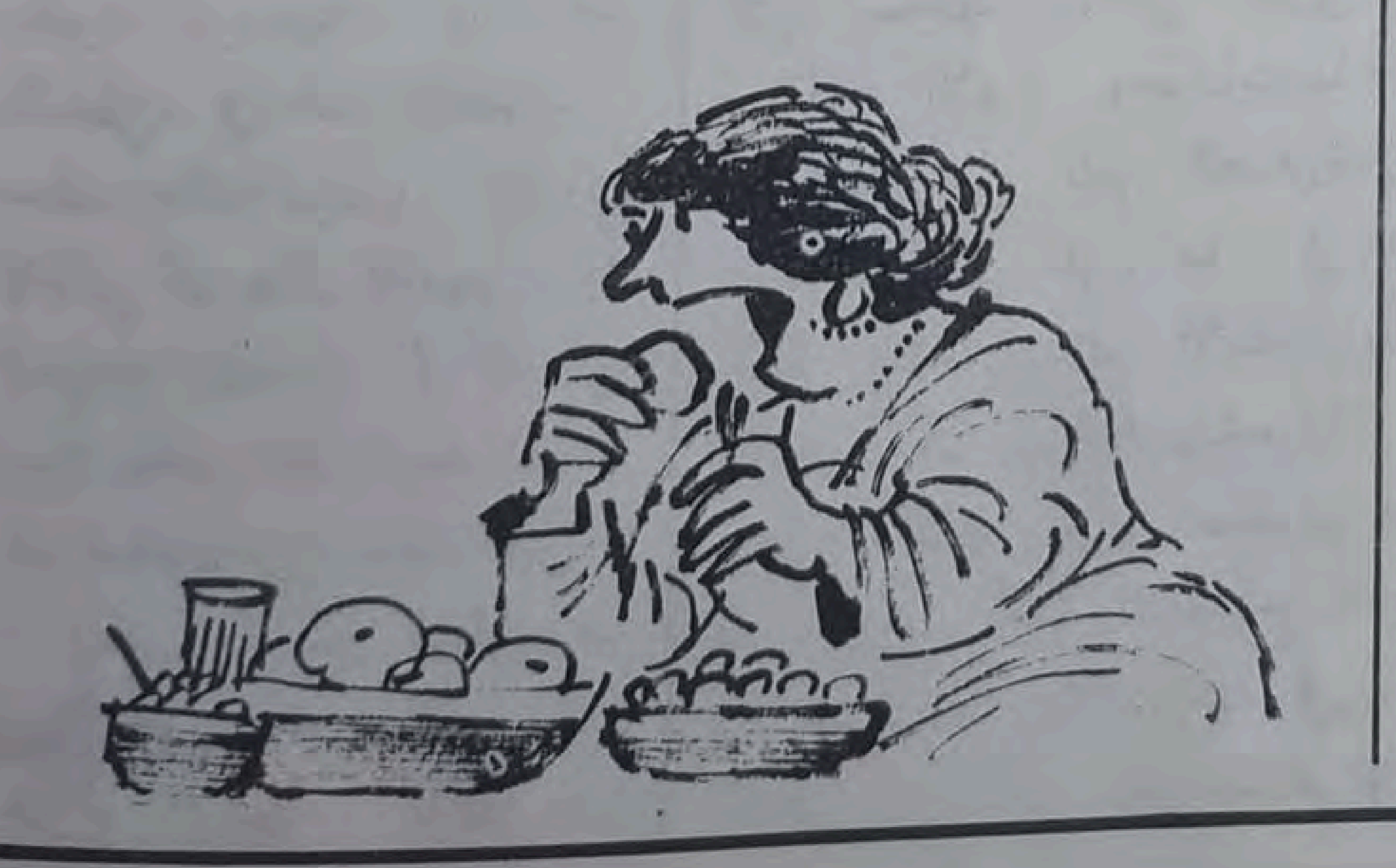
الدول التي تعاني فقرا في الطعام تسعى لتحقيق الأمن الغذائي لشعوبها ، بينما الدول التي توفر لأهلها الثراء الغذائي تسعى لتحقيق الوعي الغذائي ، لأن لفقر الطعام وثرائه منعكسات صحية ضارة ، تلحق أمراضا بالأفراد والجماعات لها ثمن فادح ، يدفعه الفرد كما تدفعه الدولة أيضا .

لقد ألفنا فيما ألفنا أن نسمع عن وظائف الطعام تلوكها الألسن ، إنها البناء وتعويض التالف من أنسجة الجسد الهالكة ، وتوليد الطاقة ، والوقاية من الأمراض ، ولكن الناس على أرض الواقع لا يتعاملون مع هذه القيم الغذائية ، وإنما هم - على حد تعبير المثل - أحد فريقين : إما فريق يأكل ليعيش ، أو يعيش ليأكل . ومن هنا صار للدول الثرية غذائيا، المتخمة بطونها أمراض غذائية ، مثل ما للدول الفقيرة غذاء وأهلها خمص البطون أمراض أيضا .

وإذا ما كانت أمراض الغذاء في الدول الفقيرة تدور حول محور تلوث الطعام ، أو عوز بعض عناصره ، فإن أمراض الغذاء في الدول الثرية أساسها الإسراف والتخمة ، وتدني الوعي الغذائي .

وخلال العقود الأخيرة طغت على سطح المشكلة أمراض ترتبط بالمعاناة النفسية لصاحبها ، يغلفها الجهل الغذائي ، ضمن دائرة ما يعرف بالثراء الغذائي .

إن مجتمع الثراء رسم لأعضائه مقاييس جمالية جديدة ، تغاير تلك التي بناها المجتمع الفقير لأهله ، وهي معايير لم يألفها الناس من قبل ، ولم يألفوا أمراضها ، وليس لهم بها خبرة أو تجربة .



تقول دراسة أجريت على مجموعات طلابية من الطالبات العربيات الدارسات في جامعات لندن قبل أربع سنوات ، مع مجموعات أخرى من الطالبات العربيات الدارسات في جامعات القاهرة إن ١٢٪ ؛ أي حوالي ست طالبات بين كل خمسين ، يعانين من مرض النهم ، وهو فقدان الشهية . وهو مرض لم تألفه مجتمعاتنا ، ولم يطرق أسماعنا . في المقابل لم يجد الدارسون أي فتاة عربية في القاهرة تعاني من هذا المرض إطلاقا .

لكن السؤال الذي طفا على السطح هو : هل كان السبب في الأمر هو المجتمع ، أو هو جو الجامعة ؟ وللبحث عن الجواب لهذا السؤال قام الباحثون على دراسة الطالبات العربيات الدارسات في الجامعة الامريكية بالقاهرة ، فوجدوا أن المفاهيم التي تتناول مقاييس جمال الجسم البشري وتناسقه ومتطلباته هي المقاييس الغربية التي تختلف عن المفهوم الشرقي الذي يميل إلى الامتلاء ، بينما يميل أهل الغرب إلى اعتماد النحافة أساساً للصحة والعافية .

فما هذه الأمراض الجديدة التي استشرت في عالم أهل الغرب حتى نعد لها العدة لندفع بلواها عن مجتمعنا وأهلنا ؟



١) النهام :

مرض النهام قديم ، عرفه الإغريق من قبلنا ، وسموه مرض الثور الجائع ، وتعني هذه التسمية في لغتهم بوليميا ، لأن « بولّي » معناها : الثور ، بينما تعني كلمة « ليموس » معنى الجوع . وقد سمينا هذا المرض نحن في لغتنا الدارجة باسم الضَّوَر المرضي ، وسماه مجمع اللغة العربية باسم النهام أو القشم . وهو مرض يتخير ضحاياه من بين الإناث أكثر مما يتخيرهم من بين الرجال ، لأننا نجد خمسين مريضة في مقابل كل رجل مريض واحد . والغريب المضحك أن المصابين بالقشم أو النهام يلتزمون بقواعد الحمية الغذائية نهارا ، بل إنهم يسرفون ويغالون ، ثم يعمدون ليلا إلى التهام الطعام بشره ، وبسرية تامة ، حذرا من أن يراهم أحد . وبعد أن تمتلىء البطون يعتريهم الندم ، وتأنيب الضمير ، فيعمدون إلى التقيؤ . وهكذا تدور الحلقة الغريبة ، حرمان في النهار ، وإسراف وتقيؤ في الليل ، يصاحب هذا كله إسراف في تناول أقراص منع الشهية ، وأقراص مدرات البول والمسهلات .

مجموعة من التناقضات والتصرفات اللامنطقية التي لا تتطابق مع المعايير العلمية ، وإنما هي من وخي معايير وهمية خاطئة ، ترسبت في قناعات أصحابها من المرضى ، يعزوها الطب إلى مرض الاكتئاب النفسي ، مما ينضوى تحت اختصاص الأطباء النفسانيين .

٢) فقدان الشهية العصبي :

حتى نفهم طبيعة هذا المرض لا بد لنا في البداية أن نميز بين مفهوم الشهية ومفهوم الجوع ، لأن الجوع يعني الحاجة إلى الطعام ، بدافع غريزي ، بينما الشهية تعني

الرغبة في بعض أصناف الطعام، بدوافع نفسية، تشكلها العادات، لهذا فهي سمة مكتسبة، فالطفل نراه يجوع ولا يشتهي، وكذلك الحيوان، لكن الشهية سمة حضارية مستحدثة.

لهذا ففقدان الشهية مرتبط بأسباب نفسية على الأغلب، إذا لم يكن هناك مرض عضوي يكبتها. والضحايا أغلبهن من النساء الصغيرات السن، أو المراهقات على الأرجح، ممن داخلتهن القناعة بأن النحافة مطلب جمالي للمرأة، فأسرفن في تحقيق هذا المطلب، حتى أصابهن الهزال، ومظاهر سوء التغذية، مع ضعف الدورة الدموية واختلال دورات الطمث الشهرية.

ويؤكد جمهور كبير من الأطباء المتخصصين بأن هذه الظواهر ما هي إلا صورة من صور معاناة نفسية، تعزى إلى ما يعرف بالهستيريا يداخلها الاكتئاب.

لن نختلف في اسم المعاناة، ولا في أسبابها أو طبيعتها، وإنما معرفتنا الحديثة بهذا المرض يجب أن لا تغلف حقيقة واقعة، وهي أنه مرض قديم، بدأ ينتشر ويستشري، بل ربما تسرب إلينا وإلى مجتمعاتنا الشرقية، فقد أصبحنا نجد واحدة من بين كل ٥٠٠ قد انزلقت إلى منحدر هذه المعاناة التي قد تحتاج شهورا من العناية والطبابة.

إنها قائمة طويلة، قدمنا لها نموذجين لم نألفهما، لهذا وجب علينا التنبيه والتنويه قبل أن يجرفنا الطوفان ونغرق في مياهه. □

ردود سريعة

* الأخت عالية أحمد - الحسكة - سوريا

هناك خلل هرموني على مايبدو، لكن النخامية تبدو سليمة، وعملها جيد، وتقويم الحال لايعتنى فيه إلا طبيب مختص في أمراض النساء والغدد الصماء.

* السيد/ حيدر رضا - اللاذقية - سوريا.

إن احتمال إصابتك بالسكر أمر يصعب تحديده على ضوء غموض التفاصيل. فهل يتعاطى والدك حقن الأنسولين أو يتعالج بالأقراص؟ وما درجة المعاناة؟ ومامستوى سكر الدم لديه؟

غير أن مايطمئن ان والدك أصيب في سن متقدم وهو أمر مألوف قد لاتكون الوراثة سببا فيه على عكس حال صغير السن الذى تتحكم في اصابته عوامل الوراثة، ومادامت والدتك غير مصابه بالسكر فاحتمال إصابتك يكون ضعيفا.

ومرض السكر لم يعد وحشا يخاف منه المرضى على ضوء العلاجات المتوافرة والوعي الصحى المرتفع والمعلومات الطبية الوفيرة. □

مساحة ود !

عن الحياة والموت

غريب أمر هذه الحياة ، وأغرب منها علاقتنا بها ، وعلى الرغم من كثرة ما كتب عنها وحولها تظل حالة فيها من التناقض والتعقيد والغموض الشيء الكثير .

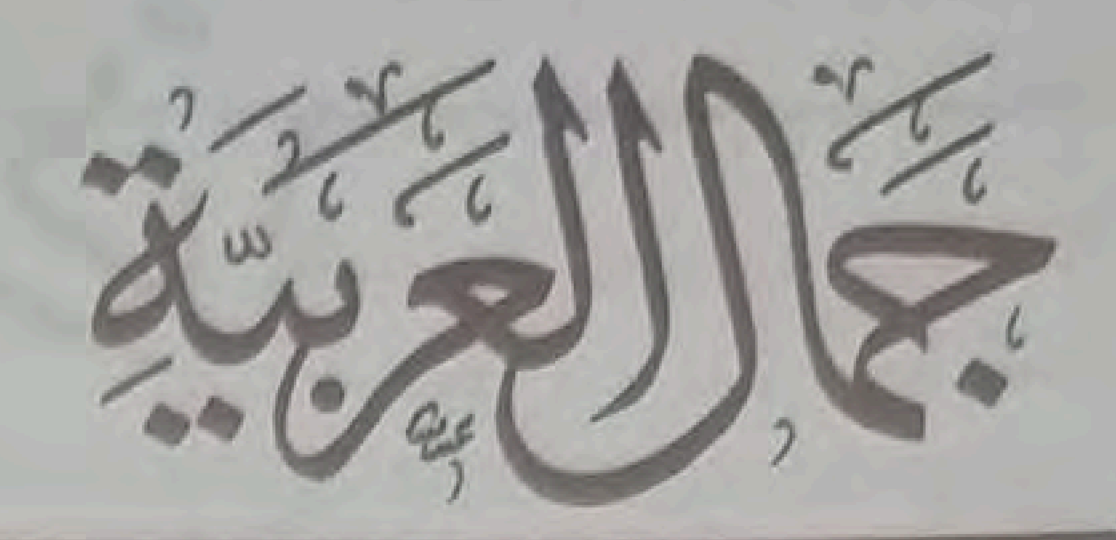
فكلما مكثنا في الحياة زمنا أطول أصبح تشبثنا بها أكثر وأشد ، ونحن في صدر شبابنا أكثر جرأة واندفاعاً وحماساً ، إلى الحد الذي قد يكلفنا حياتنا نفسها ، ولانبالي ، ولكن كلما تذوقنا طعم الحياة ، وزعمنا لأنفسنا أننا خبرناها ، قَلَّتَ الجرأة ، وفترت الحماسة ، وزاد التردد ، وتعمق الحساب ، ثم نسمي هذا حكمة ومعرفة .

فعندما توفي والدي ـ رحمه الله ـ كنت في سن الفتوة ، وأعترف أنني عندما أعود بذاكرتي إلى تلك الأيام ، أجد أن مذاق الحزن ووقعه كان غير ماجرعته من أحزان بعد ذلك ، ولقد كان كمعظم آبائنا الشرقيين ، حنوناً عطوفاً ، ذا قلب يسع العالم ، لم نألف منه شدةً ولا عنفاً ، بل توجيهاً برقة ، وحزماً بغير لين .

ومضت بنا السنون ، ونضجنا ، وازدادت خبرتنا ، وعرفنا أناساً ، وكسبنا أصدقاء . وفي السنوات الأخيرة بدأت صدمتنا بالموت المفاجىء ، والرحيل بغير موعد ولا ترقب لكثير من الأصدقاء . وأكتشف أن الحزن داخلي يدوم طويلاً ، وأن مذاقه يظل عالقاً بالفم ، وأن مساحة الأسى تزداد . وأتساءل مع كثير من الأصدقاء : مابالنا نصطدم بالحزن ، ونتوجع منه كل هذا التوجع ؟ وما بال الأسى يشدد وطأة ضغطه على القلوب ؟ أليس المفروض أن تقدمنا في السن كفيل بأن يجعلنا أكثر دراية بهذه الدنيا ، وأكثر تقبلاً لقوانينها ؟

أتصور أن العكس صحيح ، فكلما مكثنا في الحياة فترة أطول ، أدركنا أن هناك أياماً تستحق أن تعاش ، وأن هناك مؤجلات كثيرة لم نصل إليها . في العشرين نقول لأنفسنا : الحياة ستأتي في الثلاثين ، وفي الثلاثين نقول : لا ، هذا هو سن العمل والكد ، وتحقيق الذات في الأربعين ، سنلتقي مع الحياة ، وعندما نبلغ الأربعين نقول : قليلا من الصبر ، هذا سن تحقيق الطموحات ، وعندما نصل إلى الخمسين نلتفت وراءنا ، فندرك أن الحياة مرت في كل ما سبق . ولأنني أدرك أن هناك عقوداً قادمة تنتظرني ، سأرجيء فيها الحياة أيضا مثل الكثيرين ، فإن حزننا على الراحلين مبكراً هو تعبير عن خوفنا على أنفسنا ، وعلى عشقنا للحياة ، وتمسكنا بها ، وإدراكنا أن هناك صداقات يجب أن نرعاها ، ومودة علينا أن نوصلها ، وأمسيات نستمتع بها ، وأفكاراً ننشرها ، وأحلاماً نحاول أن نحققها ، قبل أن يسرقنا الموت ، السارق الأكبر . □

محمود عبدالوهاب



بقلم : الدكتور حسن عباس

صفحة لغة

الجيم حرف قلق

الجيم من بين الحروف العربية جميعا حرف قلق ، لايكاد يستقر على حال من اللفظ ، فهي - في لفظها - تتراوح بين الشدة واللين ، فيختلف بذلك مخرجها ، ويتراوح بين أقصى الحنك ومقدمة الفم ، وقد تجدها معطشة شديدة التعطيش تارة ، وخالية منه تارة أخرى . وقد تكون شديدة عند النطق ، كأنها انفجار بعد احتباس ، وقد تكون رخوة غاية في الرخاوة . وهي فوق ذلك كله تنازع عدداً من الحروف النطق ، وتشاركها في اللفظ . كل هذا التباين وغيره ، مما سنرى ، جعلنا نقف إزاءها وقفة قصيرة ، نجلو فيها بعض ما غمض من أمرها .

جاء في لسان العرب : الجيم من الحروف المجهورة ، وهي ستة عشر حرفاً ، وهي أيضا من الحروف المحقورة ، وهي : القاف والجيم والطاء والدال والباء . سميت بذلك لأنها تُحْقَرُ في الوقف ، وتُضْغَط عن مواضعها ، وهي حروف القلقلة ، لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت ، وذلك لشدة الحقر والضغط . والجهر في قوله « من الحروف المجهورة » هو الصوت المسموع الذي يضطرك عند النطق به إلى اهتزاز الوترين الصوتيين في أثناء مرور الهواء بهما ، وهذا الصوت هو نقيض الصوت المهموس .

حرف الجيم من الحروف التي يصح فيها التذكير والتأنيث ، وهي من الحروف التي يختلف العرب في نطقها أيما اختلاف ، وهو اختلاف لاينحصر في لهجاتهم المعاصرة فحسب ، بل يجاوز ذلك إلى ماورد في تراثهم ، ومنه مالايخلو من طرافة : فالجيم في اللهجة الكويتية ، وفي بعض اللهجات العربية الأخرى في منطقة الخليج العربي تقلب ياء عند النطق بها ، فيقال عن الشجر : شِير ، وعن الدجاجة : دِياية ، وعن الرجل : رَيَّال ، فقلبت الجيم من حرف مجهور عالي الصوت - كراهة واستثقالا - إلى حرف هوائي ضعيف هو الياء . ولم يكن الأمر كذلك في ما مضى ، فقد أتى حين من الدهر كان بعض القبائل فيه يقلب الياء جيماً ، طلباً للشد والجهر ، وفي ذلك يقول أبو عمرو بن العلاء ، وهو من الرواة القدامى : بعض العرب يبدل الجيم من الياء المشددة ، قال : وقلت لرجل من حنظلة : ممن أنت ؟ فقال فُقَيْمِجٌ فقلت : من أيهم ؟ قال : مُرِّجٌ ، يريد : فُقَيْمِيّ ، مُرِّيّ . وقال خلف الأحمر ، وهو من قدماء الرواة أيضا : أنشدني رجل من أهل البادية :

خـالي عُـوَيْـفٌ وأبـو عَلجّ
المـطعمـان اللَّحْمَ بـالعَشجِّ
وبالغداة كِسرَ البَرنْج

وهـو يـريـد بعِلّج : علِيّ ، وبـالعشّج : العشّي والبَرنْج : البَرنْي .

وقد أبدلوها من الياء المخففة أيضـا ـ فضلاً عن الياء المشددة ـ ومن ذلك ما أنشده أبو زيد :

يـارب إن كنتَ قبلتَ حِجّتِـجْ
فـلا يزالُ شـاحجٌ يـأتيكَ بِـجْ
أقمَرُ نهّازٌ يُنزّي وَفْرَتِجْ

والأصل في حِجّتِجْ : حجتي ، وفي بجْ : بي ، وفي وَفْرَتِجْ : وَفْرَتي .

وإذا جاوزنا منطقة الخليج العربي إلى أجزاء أخرى من الوطن العربي وجدنا للجيم في كل منها أحوالاً مختلفة ، فهي في العراق تلفظ شديدة ، في حين يلفظها أهل بـلاد الشام رخـوة ، تكاد تقترب من حرف الشين ، لما فيها من تعطيش ، ويشاركهم هذه الطريقة في اللفظ أهـل المغرب العربي . أما اللهجة القاهرية فإن أشد ما يميزها هو لفظ الجيم فيها بجهر وشدة . ولا شـك أن هذا الحرف قد أصابـه كثير من التـطور ، لكن أحداً لايعرف ، على وجه التحديد ، كيف كان ينطق في القرون البعيدة ، والراجح هو أنه حرف كثيراً ما اختلف الناس في نطقه .

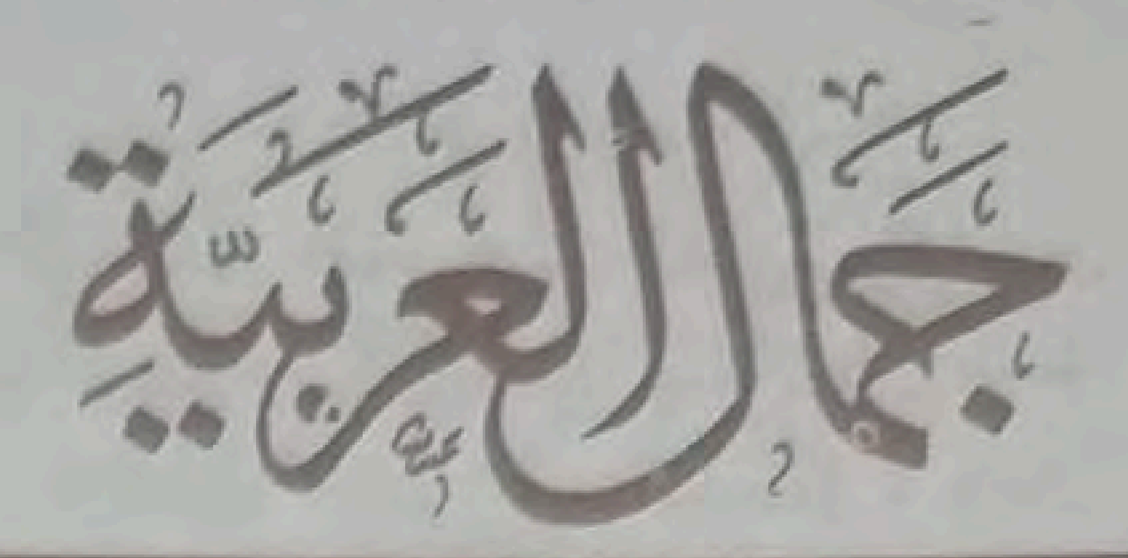
حاول القدماء تحديد مخرجه ، فقال سيبويه ، في القرن الثاني للهجرة : ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء . وقال ابن جني ، في القرن الرابع ، مثل هذا القول ، ثم تلاه الزمخشري في القرن السابع الهجري ، فقال : « ثم الجيم والشين والياء ، ولها حيز واحد ، هو وسط اللسان ، بينه وبين وسط الحنك ، وهي شَجْرية ، والشجر مفرج الفم ، لأن مبدأها من شَجْر الفم » . . وجاء في كتاب « النشر في القراءات العشر » ، من كتب القـرن التـاسـع الهجـري : للجيم والشـين المعجمـة . . من وسط اللسان بينـه وبين وسط الحنـك ، ويقـال : إن الجيم قبلهـا ، وقـال المهدوي : إن الشين تلي الكاف ، والجيم والياء يليان الشين ، وهذه هي الحروف الشَّجْرية .

وقد اهتم القدماء أيضا بتحديد صلة الجيم مع بعض الحـروف ، فقـال الجـواليقي في كتابـه « المعرب » : إن الجيم لاترد مع الصاد والقاف والطاء في كلمة عـربيـة « ولـذلـك اعتبـرت الكلمـات : منجنيق ، صـولجـان ، طـاجن ، كلمات أعجمية » ، ويستنتج من ذلك أن الجيم تـرد مع الحـروف المـرققـة في الغـالـب الأعم .

ويضيف الدكتور ابـراهيم أنيس في « الأصوات اللغوية » قوله : « أمـا مجيء الجيم مع حـروف التفخيم الأخرى فنادر جداً ، والكلمات التي من هذا النوع ، في كل اللغة العربية ، لاتكاد تجاوز أصـابع اليـدين عـداً ، رغم أن منهـا كلمـات مشهورة جداً ، مثل خرج ، نضج ، جحظ » .

وليست العربية هي اللغة الوحيدة التي تعاني من قلق حرف الجيم فيها ، فإن عدداً من اللغات الأوربية ، تشاركها في هذه الظاهرة . إن الحرفين (G) و (J) هما اللذان يقابلان الجيم العربيـة ، فكيف يلفظان ؟ يلفظ الحرف (J) في الانجليزية شديداً نسبياً ، كما تلفظ الجيم في العراق ، ولكنه في الفرنسية يلفظ كما تلفظ الجيم في بلاد الشام وأقطار المغرب العربي . أما في الالمانية والسويدية فيلفظ ياء ، كما تلفظ الجيم العـربية في منطقة الخليج ، ويتحول في الاسبانية الى خـاء . وأما الحرف (g) فهو يخضع لقانون الصوت الحنكي ، كما سماه علماء اللغة الاوربيون في القرن التاسع عشر ، فهو يلفظ لفظ الجيم العربية المعطشة إذا وليتـه الحـروف (E, I, Y) ، ويلفظ كـالجيم القاهرية إذا لم يأت بعده أي من هذه الحروف .

ظاهرة الجيم القلقة ـ إذن ـ لاتختص بها الجيم العربية دون غيرها من اللغات ، وإن بدت صور القلق فيها أكثر تعدداً لكثرة اللهجات . □



صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

مواطن الجمال

هؤلاء الشعراء الذين وقع اختيارنا على بعض أشعارهم ، لا يجمع بينهم زمان ولا مكان ، ولكن الذي ألّف بينهم ، على هذه الصفحات ، جمال أخّاذ ، تبوح بأسراره هذه الأبيات التي أودعوها كثيراً من نبل العواطف ، وسحر البيان ، ورقة التعبير . وهم ليسوا من مشاهير الشعراء ، ولا هم من مقدميهم ، ولكن لكل شاعر فلتات وسوانح ، يحلق فيها بعيداً ، ليطل من عليائه بألوان شتى من الجمال .

هذا ابن ناهوج الاسكافي الذي ولد في بغداد في القرن السادس الهجري ، ثم ارتحل الى الحجاز ، فحج وجاور ، ثم ذهب إلى الشام فأقام في حلب ، ثم غادر إلى مصر وأقام فيها . كل ذلك يوم لم يكن في وطننا حدود تصد ، ولا قيود تمنع . كان وهو في حلب يحن إلى العراق ، وكان وهو في مصر يحن إلى الحجاز ويتشوق ، فيذكر من معالمه خَيْفَ مِنى والمحَصَّبَ والمأزمين ووادي نَعمانَ وغيرها من المواضع :

خليليَّ هل يَشفِي من الوجدِ وقفةٌ ... بِخَيْفِ مِنىً والسامرون هجوع ؟
وهل لِلُيَيْلات المحصَّبِ عودةٌ ... وعيشٍ مضى بالمأزمين رجوع ؟
وإني متى أعصِ التجلُّدَ والأسى ... فللشَّوقِ مِنِّي والغرام مطيع
فياجيرتي إذ للزمان نَضارةٌ ... وعُودي نُضارٌ والخيام جميع[1]
بنَعمانَ والأيام فينا حميدةٌ ... ووادي الهوى للنازلين مَريع[2]
كَفَى حَزَناً إني أبيتُ وبَيْنَنَا ... من البيدِ مَعْدُوُّ الفِجاجِ وسيعُ[3]
أعالج نفساً قد تولى بها الأَسَى ... وطرفاً يجفّ المزن وهو هموع[4]

لم تبق الأماكن على ما كانت عليه في حالتها العامة ، فقد أضفى عليها الشاعر من ذكرياته ومشاعره ما جعلها رموزاً خاصة لبعض ما يملأ نفسه ، بل لقد عقد بينها وبين أحبابه وأيام أنسه صلة لاتنفصم عراها . انظر إليه وهو يتساءل إن كان الوقوف بخيف منى يشفي النفس من بعض وجدها ، وهل لما مضى من الليالي المؤنسة بالمحصَّب ، وما سلف من العيش الرغد بالمأزمين

عودة ؟ فالتشوق لهذه الأماكن يكسبها غنى ، لما يضفيه عليها من تجسيد . حبذا ذلك الزمان الذي كان فيه الشباب يافعاً كالغصن الغض ، وكنا نجتمع في وفاق بنعمان ووادي الهوى الخصب والأيام هانئة باسمة . فإذا نظرتُ اليوم إلى حالي ألفيتُ نفسي بعيداً ، بيني وبين الديار السعيدة بمن فيها من الأحباب صحراء ممتدة ، كفاني في مقامي هذا أن أعالج نفسي وقد ذهب بها الحزن .

وإذا كان ابن ناهوج قد اتخذ من المكان تعلّة لذكر الأحباب ، فقد سلك الشاعر علم الدين الشاتاني طريق البوح والإفضاء ، ليزيل عن النفس بعض ما يثقل عليها ، ولعل جمال هذه الأبيات يأتيها من صدق التعبير وبساطته وعذوبته :

أهـدي إلى جسـدي الضَـنَى فـأعَـلَّهُ ... وَعَـسَـى يَـرِقُّ لـعـبـدِهِ ولَـعَـلَّهُ

مـا كـنـت أحـسـب أن عـقـد تجلدي ... يَـنْـحَـلُ بـالهـجـران حـتى حَـلَّهُ

يـا ويـح قـلـبي ! أيـن أطـلـبُـهُ وقـد ... نـادى بـهِ داعـي الهَـوَى فَـأضَـلَّهُ ؟

هذا ما جناه عليه حُبُّه ، فقد كان يحسب أن له في الصبر ما يُعينه على احتمال المصائب ، ولكن هجر من يحب حل عقد صبره ، وقد كان واثقا أن ذلك العقد قوي على الأيام ! كيف السبيل إليه وقد نادى به داعي الهوى فأضله .

المعاني في هذه الأبيات ضعيفة ، لاتغري أصحاب العقول ، ولو عَوّل الشاعر عليها كثيراً في شعره لما ظفر بأيِ إعجاب ، ولكنه عَوّل على اللغة الطيعة السلسلة ، والأسلوب البسيط العذب ، وقد أعانه كثيراً حسن اختيار القافية،ولعل أبيات الفخر الرازي التالية ، في معاناة التفكير ، وفي القضاء والقدر ، تكتسب جمالها من الفكر الرزين والتأمل الهادىء العميق :

نهايـةُ إقـدامِ الـعـقـولِ عِـقـالُ ... وأكـثرُ سـعـي الـعـالمـين ضَـلالُ[5]

وأرواحـنـا في وَحشـةٍ مـن جُـسـومنـا ... وحـاصِـلُ دنـيـانـا أذىً ووبـالُ[6]

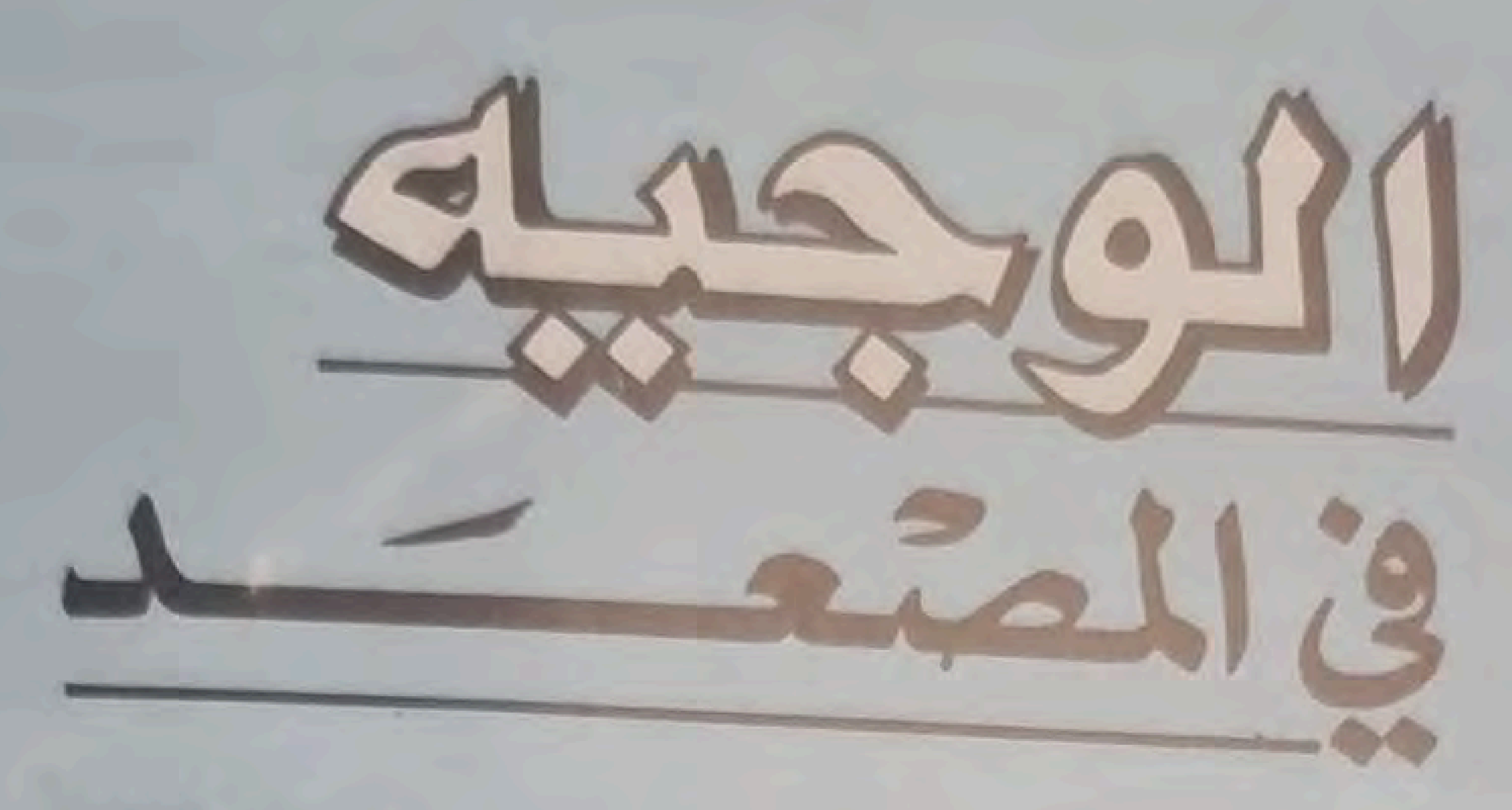
ولم نستفـد من بـحثِنـا طـولَ عمـرِنـا ... سـوى أنْ جمعنـا فيـه قيـلَ وقـالـوا

إنه يرى أن أي بحث فيما وراء الطبيعة لاينتهي إلى نتيجة علمية حاسمة ، وكل ما فعله الإنسان في هذا الصدد ضلال ، لم يجن منه إلا خيبة أمل . ليس هذا فحسب ، بل إن أرواحنا مفارقة لأجسامنا ، بعيدة عنها في الغايات والمآرب ، بحيث لانجني في النهاية إلا الأذى والهلاك . ما الذي أفدناه من البحث الدائب طول عمرنا ؟

قد لانقرّ الشاعر على كثير من المعاني التي ذهب إليها ، ولكننا لاننكر أن جلال الحكمة ، ووقار العقل سببان من أسباب الجمال في هذه الأبيات .□

---


(١) العود النضار : الغصن الذي يبقى أخضر طوال العام ، ولا تسقط أوراقه ، وفي ذلك كناية عن الشباب . والخيام جميع بنعمان : تجمعنا الخيام في نعمان (في وفاق) (٢) مَريع : مخصب (٣) البيد : جمع بيداء ، وهي الصحراء . الفج : الطريق في الجبل . معدُوّ الفجاج : الطرق التي لايسلكها الناس لبعدها عن العمران (٤) تولى بها الأسى : ذهب بها الحزن . أنحلها : أضعفها . المزن : المطر هموع : متساقط ؛ أي يتوقف المطر ولا تتوقف دموعي (٥) إقدام العقول : جرأتها في البحث فيما وراء الأمور المحسوسة. عقال: رباط ، مانع (٦) أرواحنا في وحشة من جسومنا : غاية أرواحنا من الوجود مختلفة عن حاجات أجسامنا ، ولايمكن التوفيق بينهما في غاية. وبال : هلاك .



قصة بقلم : **محمد عبدالملك**

لم يشبع من المال على وفرته ، فقرر الدخول في مشروع آخر . البلد في حالة عمران ، والعمارات تزرع بدل النخيل . فلماذا لايستورد المصاعد ؟! كان قد بدأ حياته في التدريس ، والتحق عصرا بإحدى المؤسسات العقارية لتغطية نفقات المعيشة . هناك تعلم كيف يبيع العقار ويشتري . وجد الفرصة سانحة عندما تعرف على جميع السماسرة في البلاد ، وحفظ أسعار الأراضي ، والمواقع المهمة ، وآفانين وخدع البيع والشراء . دهش في البداية عندما وجد أن ما يكسبه في خمس سنوات يتم كسبه هنا في دقيقة واحدة ! وتحت أضواء المكيف ! وعبر اتفاق ، تعقبه زيارة إلى موقع العقار ثم توقيع بعض الأوراق الرسمية ! اكتشف كما يكتشف الأطفال لعبة جديدة مسلية ، تسلى دون خوف من أي مخاطرة مالية .

فعلها بالسر أولا . كان يعرض بعض العقارات التي اتفق مع أصحابها مسبقا على سعر معين ، ثم يقتنص الزبائن من المكتب ، وبعد فترة افتتح مكتبا صغيرا ، وبدأ يشق طريقه بسهولة ، فهو معروف ، وجه من وجوه السوق ، في السبعينيات كان من أنشط الوسطاء العقاريين ، وتعدت ثروته الملايين بعد سنوات ، ثم كانت مشاريع تجارية كثيرة ، عمارات مؤجرة ، وكالات ، مقاولات ، بيع سلع غذائية ، مطاعم الوجبات السريعة ، أدوات كهربائية ، قرطاسية ، أدوات صحية ، واتسعت تجارته . انتقل بعد ذلك من حي قديم إلى أحد الأحياء الجديدة . وكان - في تلك اللحظة - في أحد المصاعد عندما بدرت له فكرة استيراد المصاعد . بعد سنوات كان يشعر بارتياح وهو يدخل في مصعد استورده هو ، يقرأ « الماركة » ، يبتسم ، يتذكر ربحه من كل مصعد ، ومن آلاف المصاعد . مع الوقت صار يأنس بمنظر المصعد ، هذا الصندوق العجيب يجتذبه شكله ، ويحس بداخله بنوع من الاستقرار والوداعة ، لكن حدث ذات يوم أمر مفاجىء ، فقد كان في العمارة التي يملكها ، وفي المصعد الذي استورده حين توقف المصعد بعد الطابق الثالث مباشرة ! رآه وهو يسحب بدنه الثقيل كزحافة عريضة ، ويتسلق الجدران بهدوء ، ثم يتوقف عن الحركة ويهمد في لحظة ، لحظة لم يكترث لها ، لم يتصورها ، لم يحسب لها حسابا وجد نفسه في موقف حرج ، كيف حدث ؟ لماذا ؟ لماذا هذه الساعة وهو يفكر في أول عهده باستيراد المصاعد ويبتسم ؟ لماذا وهو ذاهب الآن لتوقيع طلب شراء مصاعد جديدة ؟! لم هذه الساعة ؟ كان ذلك أول



الأسئلة ، لكن الاسئلة التي تبعتها غيبت كل شيء ، وجد نفسه وسط مساحة صغيرة ، تابوت من حديد صلب ، ولا منفذ للهواء ، هل فكر في ذلك من قبل ؟ في مخاطر المصاعد ؟ في أنه سيقف هذا الموقف الحرج في مصعد جلبه من بلاد بعيدة دون أن يعي ضرب الجرس ؟ لكن لم يسمع حركة في الخارج أعلى رأسه . كان المصعد قد توقف بين الدور الثالث والرابع ، رأى الجدار صامتا . ولو تحرك المصعد قليلا ، لكان هو الآن تحت المكيف يرشف الشاي ، ويدخن ويداعب سكرتيرته الجميلة - دق الجرس ، لاأحد ، قد يكون مقطوعاً ، ولا أحد يسمع ! إذن ؟ « ماذا أفعل ؟! » دق الباب ، ظهر المصعد ، جانبه دم ! دم ! دم ! دم ! بقوة أكثر ، لأن الصوت لم يكن له صدى « دم دم ! دم دم ! دم دم دم سريعة ! أقوى ، سريعة ! دم دم دم دم ! توتر ، خاف ، ارتعب دم دم دم د . . دم ! دم ددم م » كان يوم ١٥ من شهر اغسطس ١٩٨٩ والرطوبة عالية ، رأى - دون أن يدري - أن عرقا وماء غزيرا يجريان تحت ثوبه ، فوق صدره ، جبهته ، رقبته ، بين شعر رأسه ، أخيرا ، هبط ماء من ظهره ، مع ارتفاع درجة الحرارة ازداد انهمار العرق ، التصق ثوبه بجسمه ، وضع « السامسونايت » تحت قدمه ، خبط - الآن - باليدين . كان قد سمن كثيرا (كان يحب الأكلات الدسمة والسفر والنساء) . ضرب المصعد لكنه لم يتحرك ، هذا المخلوق الصامت يجب أن يتحرك ، ماذا يحدث ؟ ضرب بكفه العريضة ، صار يضرب بقوة أكبر ، الجرس ثانية ، ثانية بطن المصعد بكفه العريضة الثقيلة ، تنقلت يده بين بطن المصعد الحديدي والجرس ، وعينيه أيضا تنقلت هنا ، هناك ، الحرارة تشتد ، الخوف يشتد مع الحرارة ، لأحد ، لاأحد ! هل يصرخ ؟ ينادي ؟ من يسمع ؟ لم يسمع أحد الصوت الذي صدر عن كفه ، إذن لابد من الصوت ، رفع صوته بالنداء ، نادى أسماء كثيرة ، ضغط الجرس ، ضرب بيده ، نادى . لاأحد . لا أحد . نادى بصوت شديد الارتفاع جهير : محمود ، سالم ، ابراهيم ، جميع موظفيه في الطابق الرابع ، الموظفون أنفسهم الذين كان يرفع صوته في وجوههم . كانوا يحدثون ردود أفعال مختلفة ، محمود ، سالم ، ابراهيم ، لكن الآن لاأحد ، لاأحد يسمع أو يجيب أيضا ، مرة أخرى ، جهر بصوته آه ، ازداد خوفه لأن لاأحد يسرع إلى نجدته . خاف أكثر ، عرق أكثر ! ثم وجد نفسه يفعل دون أن يفكر ، يتصرف دون أن يرتب أفكاره ، خلع عقاله ، غترته ، مسح وجهه بغترته ، رقبته ، صدره ، ماء ! عصر غترته ، كلها ماء ، رفع ثوبه ، ضرب المصعد ، رفس المصعد بقدمه ، ضرب الجرس . . ثم جهر بصوته ، هذه المرة كان صوته رجاء ، رجاء حارا ، محمو ، سال ! وبدا بحذاء وجورب ، « وفانلة » داخلية ، « وشورت » داخلي ، غاية في السمنة (كان يحب الرز مع اللحم والشحم ويأكل بشراهة ويشرب بشراهة) ، دهش عندما لاحظ بلل الماء أسفل قدمه ، تحت حذائه الصقيل الأسود (لايخرج من البيت إلا بعد أن تنظف الخادمة حذاءه للمرة الأخيرة) كم مضى من الوقت ؟! هل يموت ؟! أخيرا جاءته فكرة الموت ، الاكسجين . الثروة ، الحياة ، ضرب بكلتا يديه ، رفس ، انهمر العرق وغطى جفنه ، خلع حذاءه ، جوربه ، ازدادت الحرارة بالداخل ، حرارة جسده ، خوفه ، توتره ، وحرارة المصعد الحديدي ، الجدار المواجه له ، متى ينتهي كل شيء ؟! هل يموت ؟ هل تكتب له حياة ثانية ؟ لماذا فكر في استيراد المصاعد ؟! لأول مرة يتصوره قبرا متحركا ، جامد الملامح ، قاسي التقاطيع ، لن يركب مصعدا مرة اخرى ! لكن كيف يخرج ؟ كان يفكر بارتباك واضطراب

دون انتظام ، جمع ثروة كبيرة في سنين قليلة ، لم يستمتع ، عندما اكتشف لذه الحياة ، خنقه المصعد ! آه . حظ بائس !، يجب أن يخرج ، يحطم هذا القبر المصقول . رأى وجهه هناك وخلف ضباب الحديد المصقول مشوها ، غير واضح ، ضائعا ، مذعوراً ، موزعا بين اللحظة والأخرى ، « هل هذا وجهه ؟» كان ينظر إلى وجهه ويرتعب أكثر، يعود للضغط على الجرس ، ثم يتحفز ، ويتحفز ويرتمي بجسده الثقيل على المصعد ، يريد تحطيمه ، يجب ألا يموت ، ألّا يموت ! الحياة حلوة ! أحلى مما تصور ! فيها ملذات غامرة ، مغمورة ، اكتشفها هذه الأيام فقط آه ، ما أتعسه ! كان جسده الثقيل يهز المصعد ، وكان يأمل أن تفعل هذه الهزات فعلها ، أن يسمع حركة ، وضجة ، وضجيجاً بعد ذلك ، لكن لم يحدث أي شيء من ذلك . يسود صمت يتدرج صمت ، ثم يعود يخبط بكتفه ، بكتفه الآخر ، بجثته كلها ، بصوته كله يجهر ! الخوف ، خلع « فانلته »، ظل واقفا « بشورته » الداخلي ، كرشه الكبير المغطى بالشعر يتجول في المصعد ، العرق ينفلت ويغطى جسده ويشكل بقعة رطبة تحت قدمه ، الآن ، لاجدوى ، عليه اذن أن يرفع صوته بدأ الاوكسجين ينفذ . شعر بالاختناق أكثر . ظن أن الاوكسجين قد نفذ ! زاد العرق ، زاد الحر ، زاد الخوف ، زاد الضرب في بطن المصعد والجرس ، ضغط الجرس ، اذن بعد الصمت الخوف ، الموت ! فكر في الموت إذن ، ونادى محمود ، سالم ، ابراهيم ، ودون أن يتوقع سمع حركة ، وجلبة أعلى رأسه ، مات من الفرح ، فزع من الفرح ، توقف من الأنس ، حركة بالفعل ! جلبة بالفعل ! . . أصوات بشرية ! محمود ! . سالم ! ابراهيم ! أعاد اعاد ! الحركة تزيد ، الجلبة تزيد ، الأصوات تقترب ، خطوات فوق رأسه ، فوق رأسه تماما ، من جهة المكاتب التي يديرها ، شعر ببرودة في جسده ، تنفس . كان نفسه ثقيلا ، وكانت عيناه مفتوحتين وكذلك أنفه ، وفمه يريد الهواء ! الخارج ! النور ! الفسحة غير المحدودة (هذه الساعة لم يفكر في الثروة) وجلبة أخرى ، ثم صوت محمود : آه ! كيف ينتظر ! منذ متى وهو ينتظر ؟

طال عمرك انتظر !

- بسرعة يامحمود ! « باموت » !
- سلامتك طال عمرك !!
- باموت !!، باموت !!
- دقيقة طال عمرك !!
- أرجوك !
- حاضر طال عمرك !

وفكر ، هل سيطول عمره ؟ وتحرك المصعد الميت الهامد ، وآه - دون أن يصدق - وهو يتحرك ، بهدوء أولا ، ثم بهدوء ، ثم بسرعة أكثر ، ثم يستقر ، يقف ، ويتمهل ، ثم فتح الباب على مصراعيه - ثم تهب نسمات باردة إليه داخل المصعد ، من الخارج ، ويشعر بارتياح لاحد له ، بفرح لاحدله ، بتعب لاحد له ، ثم يرى الموظفين والموظفات وهم يبتسمون ، وهو الوجيه - صاحب الهيبة - « بالشورت » الداخلي الذي يستر عورته فقط ، ومن الفرح يبتسم الوجيه ، بل يضحك ، ويضحك الموظفون ، ويلتمون خارج المصعد أمامه ، أمام المكاتب ، الأول يلبسه ثوبه ، والثاني حذاءه ، والثالث جوربه ، والرابع غترته ، والخامس عقاله والسادس يمسح عرقه بمنديل ، بغترة أخرى خلعها ، وهو - الوجيه - يبتسم في ود ، في ارتياح ، ويستند على كتف محمود ، والخدم يركضون بالماء ، الماء ، والوجيه يشرب ، ويستريح ويقول لمحمود وهو يلهث : - آه آه آه آه آه

ثم سقط ميتاً .□

وزارة الإعـــلام

الإعلام الخارجي

دوريات وزارة الإعلام

اسم الدورية		قيمة الاشتراك السنوي			
		الوطن العربي		البلاد الأجنبية	
		فلس	دينار	فلس	دينار
مجلة « العربي »	(شهرية)	٠٠٠	٦	٠٠٠	٨
كتاب العربي	(فصلي)	٥٠٠	٢	٠٠٠	٣
مجلة « العربي الصغير »	(شهرية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
مجلة « الكويت »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
سلسلة « من المسرح العالمي »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
مجلة « عالم الفكر »	(فصلية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »	(أسبوعية)	٠٠٠	١٧	٠٠٠	٢٠

تحول قيمة الاشتراكات في دوريات الوزارة المبينة أعلاه بالدينار الكويتي ، أو بما يعادله من العملات الأجنبية ، بموجب شيك مصرفي أو حوالة مصرفية ، باسم وزارة الاعلام ، ويرسل الشيك أو الحوالة مع اسم وعنوان المشترك والدورية التي يرغب الاشتراك فيها إلى :

الإعلام الخارجي ـ قسم التوزيع والاشتراكات
وزارة الاعلام ـ ص. ب ١٩٣ ـ الصفاة
الرمز البريدي ١٣٠٠٢ ـ الكويت

قسيمة الاشتراك

الاسم والعنوان : ....
....
....

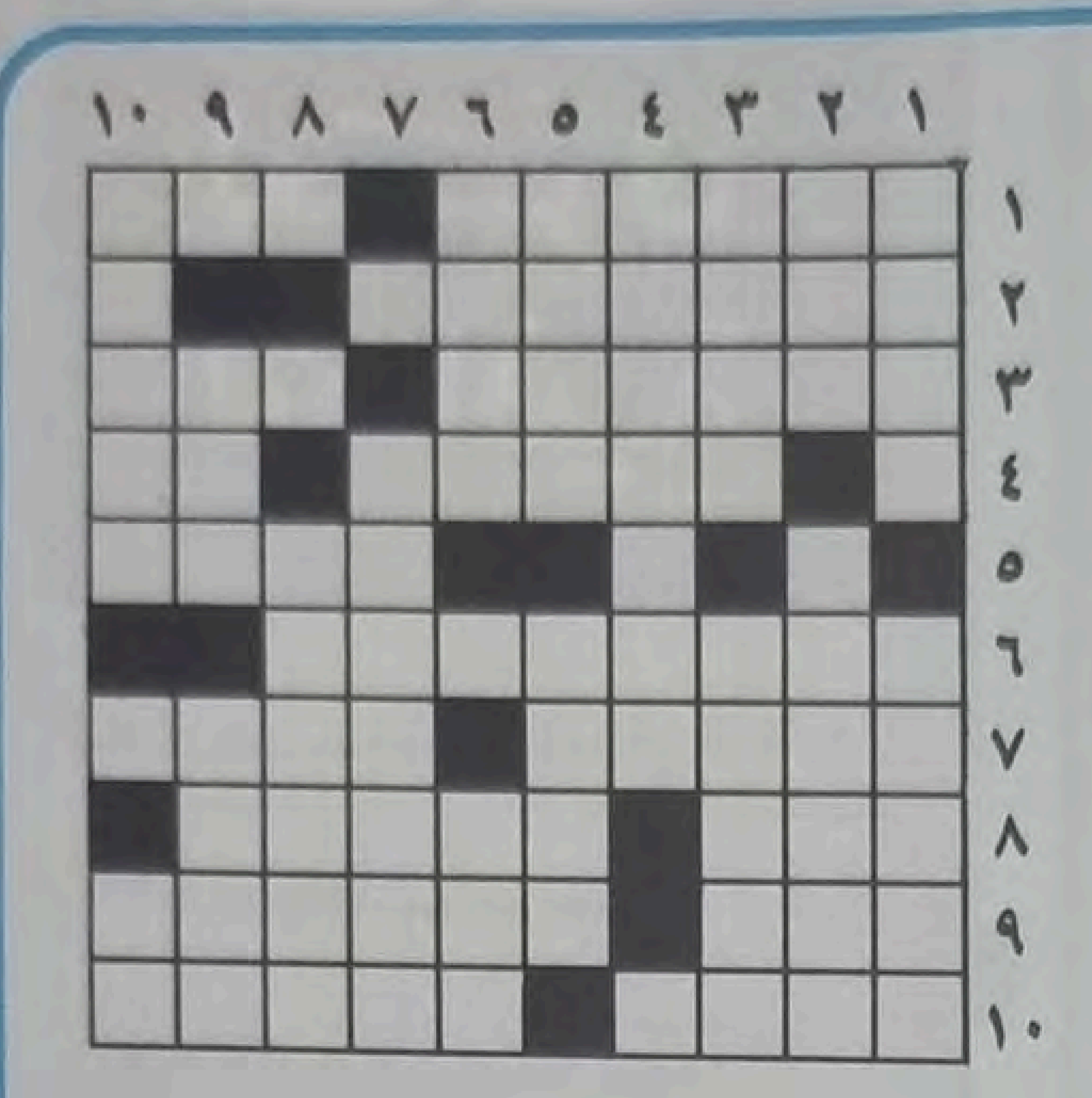
أرغب الاشتراك في الدورية أو الدوريات المشار إليها أدناه ، وأرفق لكم طيه ☐ شيكا
☐ حوالة مصرفية بمبلغ ....

☐ مجلة « العربي » ☐ مجلة « الكويت » ☐ سلسلة « من المسرح العالمي »
☐ مجلة « العربي الصغير » ☐ مجلة « عالم الفكر » ☐ الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »
☐ كتاب العربي .

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر فى المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذى سينشر فى العدد القادم .



كلمات أفقية

١ - مصطلح جغرافي يتعلق بطبيعة الأرض ، أرض واسعة ذات نبت كثير .
٢ - صحارى .
٣ - دائري أو حلقي الشكل ، رجع الصوت .
٤ - صوت مجلجل (منصوبة) منوَّنة ، غَض أو قليل التجربة .
٥ - الواحدة من الليالي .
٦ - أماكن تجمع المياه الراكدة .
٧ - أملاح (الصوديوم مثلاً) ، من أسماء الأسد .
٨ - نوع من الأفاعي ، القعر من الشيء في صيغة الجمع .
٩ - اضربي على نحو متلاحق ، بلادهم .
١٠- متعلق بالرعد ، مثيرة للريب .

كلمات عمودية

١ - تحول الأراضي إلى صحراء ، أرض منحدرة .
٢ - غير عميق ، مياه آسنة .
٣ - شَجَرة أرز ، تخطيط رشيد .
٤ - حاولت إغراءَنا .
٥ - يعتزم معكوسة ، شجر صلب له شوك كالإبر .
٦ - سارَ معه وجاراه ، سَحاب .
٧ - أراضٍ مغمورة بالمياه الآتية من الأنهار كما في العراقِ .
٨ - يختفي ويتسترَّ .
٩ - حرش ، أدخل الرعب في القلوب .
١٠- أرض يابسة محاطة بالماء ، اسم فعل بمعنى اكفف .

● حل مسابقة العدد الماضي يوليو ١٩٩٠

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	م	ي	ك	ر	و	س	ك	و	ب	■
٢	ا	ل	م	س	ب	ا	ر	■	ر	م
٣	ي	ق	ي	■	ر	ه	■	ن	ى	ه
٤	ك	م	ن	ت	■	م	ب	ت	س	م
٥	ر	ه	■	ل	ن	■	و	ش	ك	ا
٦	و	ا	ه	ي	■	م	ص	■	و	ر
٧	ف	■	ا	س	ط	ر	ل	ا	ب	■
٨	ي	س	ب	ك	■	ق	ه	ر	■	خ
٩	ل	م	ي	و	■	ب	■	ا	ن	ا
١٠	م	ع	ل	ب	ه	■	س	د	ي	م

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٨١

اغسطس ١٩٩٠

جوائز المسابقة:

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط:

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الصفاة . الرمز البريدي 13008 - الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٨١ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات إلينا هو ١٥ سبتمبر ١٩٩٠م . والرجاء كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين - ورقم الهاتف إن وجد .

أرفق هذا الكوبون بالحل
كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٨١

١

أقدم قناة عرفها التاريخ اكتشفوا آثارها سنة ١٩٦٨ ، وحدد علماء الآثار زمن شقها بحوالي سنة ٤٠٠٠ ق . م . ترى أين كانت تلك القناة ؟

× في الصين .
× في مصر القديمة .
× في العراق القديم .

٢

أين توجد أطول قناة عرفها التاريخ ؟

× في الصين .
× في الاتحاد السوفيتي .
× في العراق .

٣

القنوات أنواع مختلفة ، والنوع الذي يهمنا هنا هو نوع القنوات المعدة لعبور السفن الكبيرة . ترى أي هذه القنوات هي الأطول في العالم ؟

× قناة السويس .
× قناة بناما .
× قناة كيل .

٤

قناة السويس وقناة بنما . من المعروف أن قناة السويس هي الأقدم ، إذ يعود إنشاؤها إلى سنة ١٨٦٩ ؛ أي قبل إنشاء قناةبنما بنحو ٤٥ عاما . ترى أي القناتين أعرض ، وأيها أعمق ؟

× قناة السويس هي الأعرض والأعمق .
× قناة بنما هي الأعمق والأعرض .
× قناة السويس هي الأعرض وقناة بنما هي الأعمق .

٥

يذكر التاريخ أن أول نفق أنشأه الإنسان تحت أحد الأنهار ، تمَّ إنشاؤه سنة ٢٠٠٠ق . م . ترى أين كان ذلك ؟

× في ما بين النهرين .
× في وادي النيل .
× في المكسيك .

٦

أين يوجد أطول نفق في العالم ؟ وما نوعه ؟

× نفق نيويورك ديلاوير ، وهو نفق لجر الماء .
× نفق سمبلون في جبال الألب ، وهو نفق للقطارات .
× نفق أبايان الروماني القديم ، وهو نفق يجر الماء إلى روما .

٧

جبال الألب جبال صخرية شاهقة ، ومع ذلك فقد شُقّت أنفاق في صلب هذه الجبال ، وذلك من أجل سير القطارات . ترى ما عدد أنفاق جبال الألب هذه ؟

× عدد أنفاق القطارات التي في صلب الألب أربعة .
× عدد الأنفاق أربعة حقا ، لكن واحدا منها فقط شُقّ في صلب الجبال الصخرية ، أما الثلاثة الأخرى فتسير في الأودية أو الممرات القائمة بين الجبال .
× عدد أنفاق الألب أربعة ، كلها غير مشقوقة في صلب الجبال الصخرية ، فقد كان ذلك متعذرا تقنياً في القرن التاسع عشر .

٨

المعدات التي تُشق بها الأنفاق عبر الصخور ، لاغنى لها عن مادة صلدة ، بالغة الصلابة ، تكسا بها رؤوس الحافرات . ترى ما هذه المادة ؟

× ماس صناعي .
× فولاذ بالغ القساوة .
× الشعيرات المصنوعة من كربيد التنجستن (المستعملة في مصابيح الكهرباء) .

٩

يذكر التاريخ ثلاث محاولات فاشلة لإنشاء نفق تحت مياه المانش ، أو « القنال » الانجليزي ، وقد قام بأولى هذه المحاولات المهندس ثومي دي جاموند ، وقضى في تلك المحاولة نحو ٤٠ عاما ، وأنفق فيها ثروته الخاصة كلها . ترى ما جنسية ذلك المهندس ؟

× فرنسي ، كما يدل على ذلك اسمه .
× انكليزي ، من أحفاد النورمان الذين غزوا سواحل بريطانيا الجنوبية واستوطنوها قبل نحو عشرة قرون .
× ألماني ، من مقاطعة الالزاس واللورين .

١٠

أنجزت اليابان سنة ١٩٨٥ نفق القطارات التابع لسكك حديد سايكن ، وهو محفور في أعماق البحر ، ليصل بين جزيرة هوكايدو وجزيرة هونشو . ترى على أي عمق حفر هذا النفق تحت سطح الماء ؟

× على عمق ٣٤٠ مترا .
× ١٤٠ مترا .
× ٢٤٠ مترا .

١١

مازال العمل منذ سنة ١٩٨٧ في شق نفق « القنال » البريطاني مستمراً . ترى كم تبلغ التكاليف المقدرة لهذا النفق ؟

× ١٠٠٠ مليون جنيه .
× ٣٠٠٠ مليون جنيه .
× ٦٠٠٠ مليون جنيه .

١٢

الأنفاق إما أنفاق مائية ، وإما أنفاق قطارات وسكك حديدية ، وإما أنفاق « مترو » (مركبات مرور داخلية) ، أو هي أنفاق طرق معبدة ، أو غير ذلك . ترى أين توجد أطول أنفاق « المترو » في العالم ؟

× في باريس .
× في موسكو .
× في لندن . □



١ بلغ مجموع ما عدّنه الإنسان من الذهب منذ العصر الحجري حتى الآن حوالي ١٠٠,٠٠٠ ألف طن.

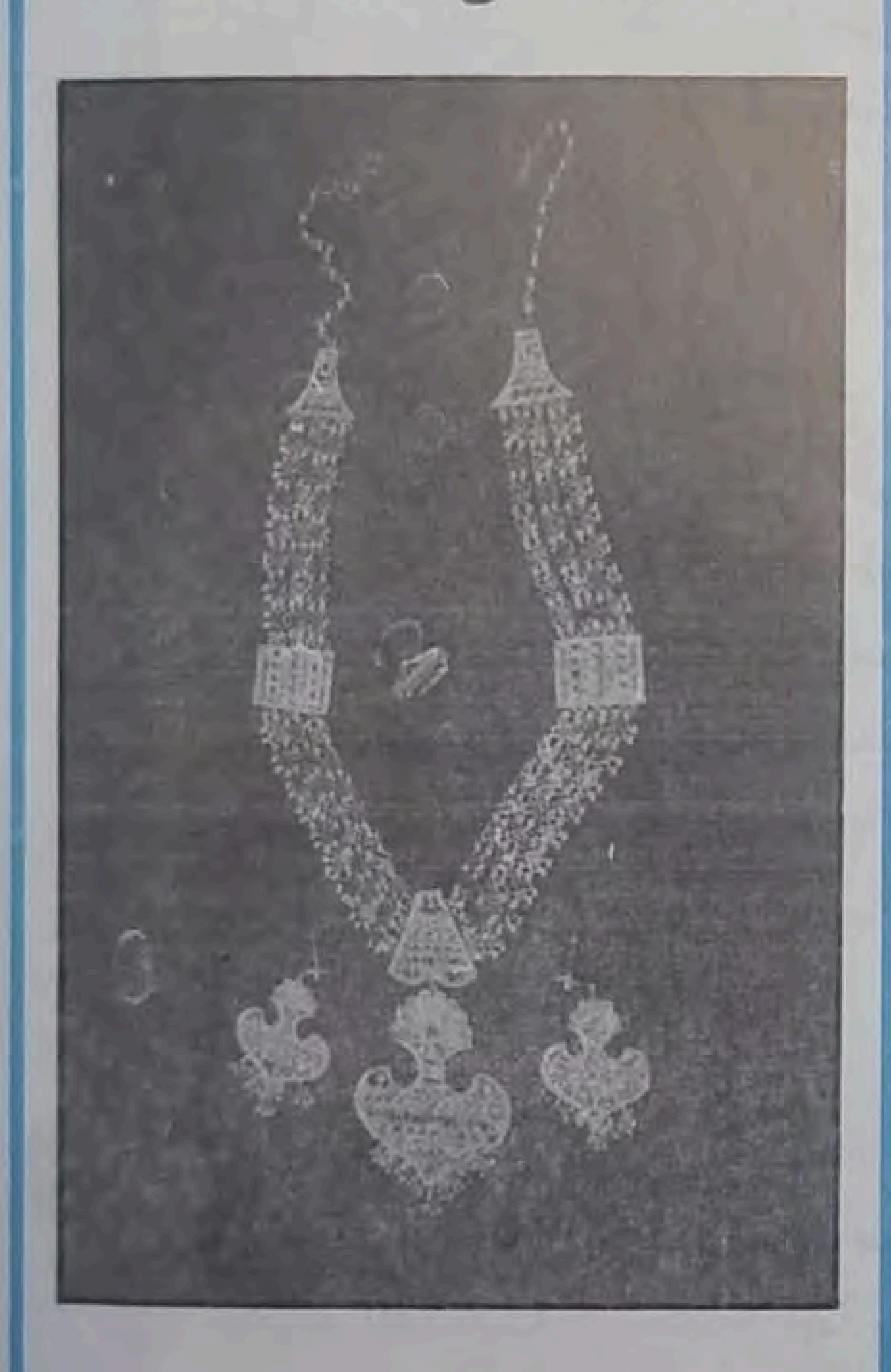
٢ الحجران هما الفضّة والذهب.

٣ اسحق نيوتن (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧) هو العالم الذي اعتقد بوجود حجر الفلاسفة وبفاعليته في تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب.

٤ ذهب البلهاء من الحديد، بل من إحدى خاماته التي تعرف باسم بيريت الحديد أو ثاني كبريتيد الحديد، وقد عد هذا الذهب الكذاب عديم القيمة في باديء الأمر، ولكنه أصبح ذا قيمة حقيقية في هذه الأيام فهو يستعمل على نطاق واسع في صنع حامض الكبرتيك.

٥ تستأثر جنوب افريقيا بنصيب الأسد من ذهب العالم كله، فهي تستخرج سنويا ما يقارب ٨٠٠ طن ذهب مكرر، أي ما يعادل ٧١٪ من مجموع ما تستخرجه سائر الدول.

٦ هجمة الذهب الأولى كانت هجمة كاليفورنيا وقد جاءت قبيل منتصف القرن الماضي أي سنة ١٨٤٨ ـ ١٨٤٩ تلتها هجمة استراليا وقد شهدتها سنة ١٨٥١ ثم كانت هجمة جنوب افريقيا في أواخر القرن التاسع عشر سنة ١٨٨٦.



٧ المبلغ الذي قبضه جورج هاريسون مكتشف الذهب في جنوب افريقيا لم يجاوز ١٠ جنيهات استرلينية، وقد قبضها من دائرة المناجم في بريتوريا ثمنا لمنطقة تبلغ مساحتها نحو ٨٠ كيلومترا مربعا وتعرف باسم «رواسب الذهب» وكان ذلك سنة ١٨٨٦.

٨ يتميز الذهب على كل المعادن الأخرى في قابليته للطرق، فهو المعدن

المطروق الأول بلا نزاع ، وحسبك أن في الإمكان صنع رقائق ذهبية أو أوراق بسمك لا يزيد عن جزء واحد من ۱۰,۰۰۰ جزء من المليمتر .

٩

المكسيك هي الدولة الأولى في تعدين الفضة ويقدر انتاجها السنوي من هذا المعدن الثمين بحوالي ٤٠ مليون أونصة ، وتلي المكسيك في تعدين الفضة الولايات المتحدة ، فكندا فالبيرو فالاتحاد السوفيتي فاستراليا فاليابان .

١٠

الحداد الذي اكتشف أغنى عروق فضة في العالم سنة ۱۹۰۳ اسمه فرد لاروز وكان كنديا ، وقد اكتشف العروق المذكورة في كوبلت في ولاية اونتاريو الكندية ، وذلك بطريق الصدفة ، إذ أراد ضرب ثعلب بفأسه فضرب تلك العروق - أو الكنوز - بدلا من الثعلب .

١١

تقاس صلادة المعادن بمقياس موس نفسه ، وهو المقياس الذي تحدد به صلادة الأحجار الكريمة .

١٢

القيراط وحدة وزن بالنسبة إلى الماس ، ولكنه ليس كذلك بالنسبة إلى الذهب ، فهو الوحدة التي تقاس بها نقاوة الذهب لا وزنه ، فالذهب الخالص النقي الذي لا تشوبه شائبة ، تبلغ نقاوته ٢٤ قيراطا ، أما الذهب الذي يبلغ ١٨ قيراطا - على سبيل المثال - فليس ذهبا نقيا ، ولكنه مخلوط بمقدار (٦) قراريط . ويخلط الذهب من أجل إكسابه المزيد من الصلابة أو التغيير المطلوب في لونه وكثيرا ما يخلط بالنحاس أو الرصاص . □

الفائزون في
مسابقة العدد ٣٧٨
مايو ١٩٩٠

الجائزة الأولى : شكرية عبدالعال أبو يوسف / جمهورية مصر العربية
الجائزة الثانية : ريم محمد عطية محمد نور / الجمهورية العربية السورية
الجائزة الثالثة : نادية رشك باني / الجمهورية العراقية

الفائزون
بالجوائز التشجيعية

١ - حسن عوض باعوم / الجمهورية اليمنية
٢ - كامل ثابت عبدالمجيد / الجمهورية اليمنية
٣ - عبدالمطلب محمد نور فكي / جمهورية السودان الديمقراطية
٤ - حنان تيسير الكمشة / دولة الكويت
٥ - زياد ابراهيم زهران / المملكة العربية السعودية
٦ - مراد بن حسن الفقي / الجمهورية التونسية
٧ - سمية عبدالغني محمود / المملكة الأردنية الهاشمية
٨ - ياسين خضير علي محمود / الجمهورية العراقية

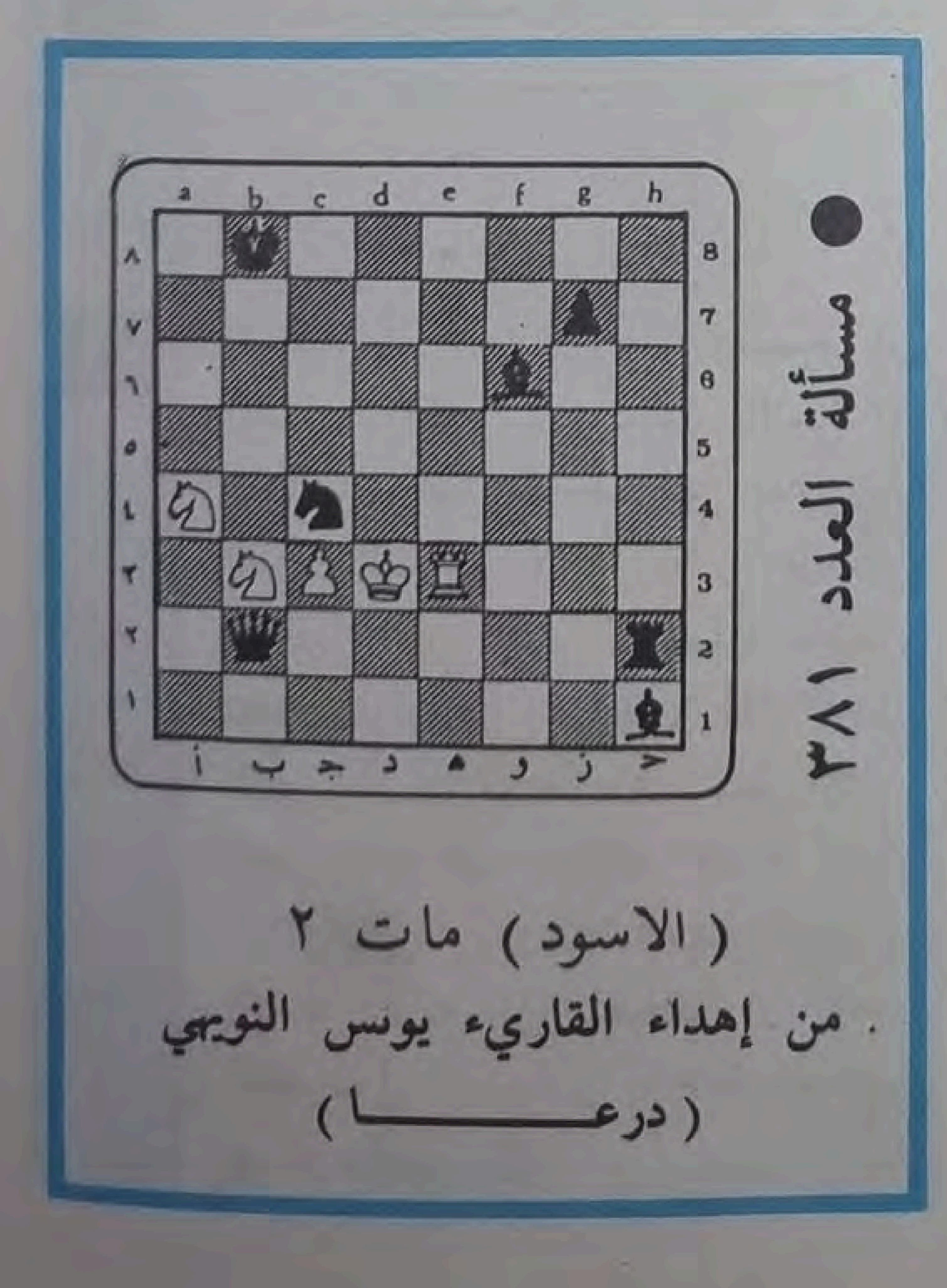
معركة بلا سلاح



حقق بطل العالم الحالي السوفيتي جاري كاسباروف أكبر قفزة نوعية له في دورة تيلبورغ (هولندا) المنعقدة من ١٥ سبتمبر إلى ٢ أغسطس من العام المنصرم ، بأن رفع تصنيفه الدولي إلى أكثر من ٢٨٠٠ نقطة محطما بذلك الرقم القياسي المسجل باسم الأمريكي بوبي فيشر (بطل العالم ١٩٧٢ ـ ١٩٧٥) البالغ ٢٧٨٠ ، وقد تمكن كاسباروف (٢٧سنة) من تحقيق هذا الانجاز في دورة تيلبورغ الدولية المشهورة،عند فوزه بالمرتبة الأولى مسجلا ١٢ نقطة من أصل ١٤ محققا عشرة انتصارات،وأربعة تعادلات ضد سبعة من أكبر لاعبي العالم نوردهم في ما يلي حسب ترتيبهم في البطولة المذكورة : السويسري فيكتور كورشنوي (٨,٥ نقطة) ، اليوغوسلافي ليوبوجفك (٧ نقاط) ، المجري ساكس (٧ نقاط)، السوفيتي ايفانتشوك (٦,٥ نقطة) ، النرويجي اغدشتاين (٥,٥ نقطة) ، الايسلندي هيارتارسون (٥,٥ نقطة) ، وأخيرا الهولندي بيكيت (٤نقاط) ونلاحظ من هذه النتائج أن الفارق بين كاسباروف وبين اللاعب الذي يليه في المركز ٣,٥ نقطة ، وهو فارق كبير جدا ، ليس له سابقة في مثل هذا النوع من المباريات الدولية الكبرى ، إذ أن هذه المباراة قد صنفت في الفئة ١٦ ، وهي أرفع فئات لوائح الاتحاد الدولي للشطرنج ، وقد أجريت وفق طريقة الدوري ، أي أن كل لاعب من اللاعبين يلعب مرتين مع كل من اللاعبين الآخرين .

وفيما يلي أحد الانتصارات المثيرة التي حققها كاسباروف في تيلبورغ ١٩٨٩ .

□ كاسباروف	■ هيارتارسون
١ . د٤	ح ـ و ٦



مسألة العدد ٣٨١

(الاسود) مات ٢

. من إهداء القاريء يونس النويهي (درعـــــا)

٢ . ح - و٣ — د٥
٣ . جـ ٤ — هـ ٦
٤. ح - جـ ٣ — د×جـ ٤
٥. هـ ٤ — ف - ب ٤
٦. ف - ز٥ — جـ٥
٧. ف× جـ٤ — جـ × د٤
٨. ح× د٤ — ف× جـ ٣+
٩. ب×جـ ٣ — و - أ٥
١٠ .ف - ب ٥+ — ف - د٧
١١ . ف× و٦ — ز ×و ٦
١٢. و - ب ٣ — أ ٦
١٣. ف - هـ ٢ — ح - جـ ٦
١٤. ت — و - جـ ٧
١٥. رأ - ب ١ — ح - أ٥
١٦. و - أ ٣ — ر - جـ ٨
١٧. رو - د ١ — أنظر الشكل أعلاه

١٧ .... — و × جـ ٣
مضحياً بالبيدق لفتح الخطوط
١٨. و - د ٦ — و - جـ ٧
محاولاً تلافي الخطأ بالتبادل

١٩. ح - و٥ — هـ × و ٥؟
الجشع يعميه عن رؤية العواقب
٢٠. و× و ٦ — ت(لات ساعة مندم)
٢١. ر - د ٣ (لاحتلال العمود القاتل) — و٤
٢٢. ر - د ٥ — حـ ٦
٢٣. و× حـ ٦(والآن؟!) — و٥
٢٤. ر- ب ٦ — ف - هـ ٨ (يائساً)
٢٥. ر × أ٥ — و- حـ ٧
٢٦. وزير × و٤ — يستسلم

□□□

الفائزون في مسابقة الشطرنج العدد رقم ٣٧٨ مايو ١٩٩٠

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

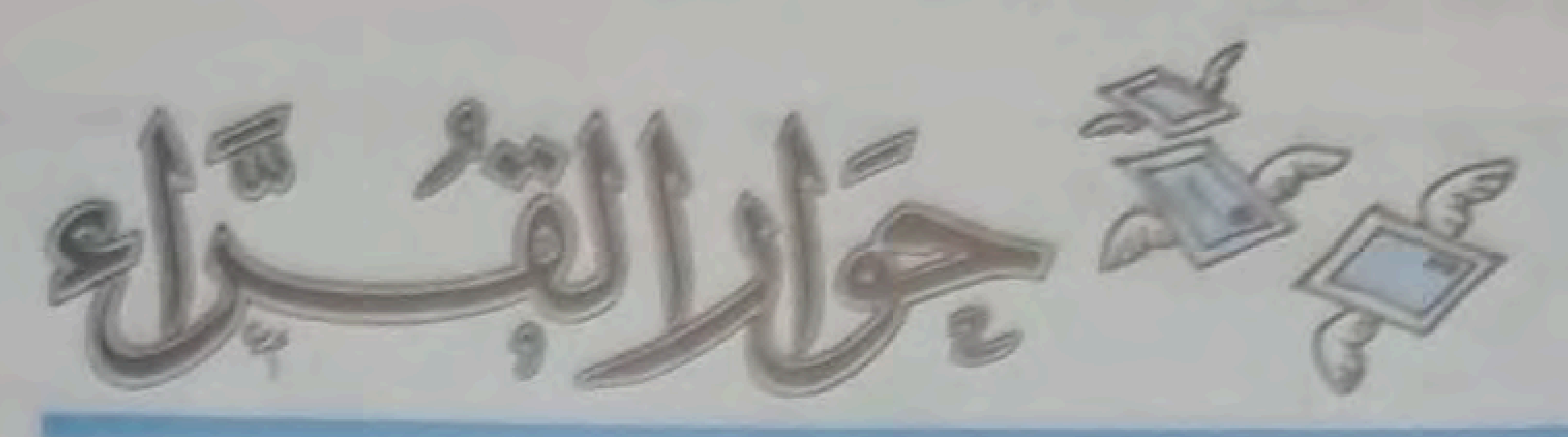
١ - سارة عوض - دمشق / سوريا
٢ . شريف عبدالخالق - القاهرة / ج.م.ع
٣ . وسام ابراهيم حسن - بغداد / العراق
٤ . عبدالواحد أحمد المغايل - القطيف / السعودية
٥ . فتنة قسوس - الكرك / الاردن

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ . أنس عبدالرزاق - المنامة / البحرين
٢ . محمد يحيى ناجي - أب / الجمهورية العربية اليمنية
٣ . محمد سالم أحمد - نواكشوط / موريتانيا
٤ . أحمد بن سعيد - بنزرت / تونس
٥ . برباري أحمد أولاد فرج - غرداية / الجزائر

حل مسألة العدد ٣٧٩ يونيو ١٩٩٠م

١. ف - جـ ١ — ب ٤
٢. ر - د ٢ — م - و ٤
٣. ر - د ٤ — ++ مات



العربي - ص.ب : ٧٤٨ الصفاة - الرمز البريدي : 13008 الكويت

الأهمية التاريخية لاكتشاف الآثار العربية

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير

تحية طيبة وبعد ،

● قرأت في العدد رقم (٣٧٥) فبراير ١٩٩٠ م ، استطلاعا عن الاكتشافات الأثرية الجديدة في مصر ، وعرفت من خلاله أن بعثة دار الآثار الإسلامية بالكويت قامت بحفريات ناجحة هناك .

وأنتم تعلمون ما تزخر به اليمن من ماض عريق ، وآثار لاحصر لها ، لحضارات متعاقبة ، في مناطق متفرقة من اليمن ، لم ينقب عنها حتى الآن . بالصدفة فقط اكتشفت عدة مومياءات بالقرب من صنعاء ، منذ عدة سنوات ، وهي موجودة حاليا في متحف الجامعة بصنعاء ، وفي الشهر الماضي ، بالصدفة أيضا ، اكتشفت عدة مومياءات بالقرب من العاصمة صنعاء أيضا .

وحتى الآن فإن كل الآثار الموجودة في المتحف الوطني بصنعاء كان اكتشافها بالصدفة والجهود الشخصية التي كان يقوم بها المستشرقون وهواة الآثار الأجانب ، ومنها ما استعيد من متاحفهم .

وهنا أود أن أشير إلى أنه لم يتم أي نوع من أنواع الحفريات الأثرية في اليمن مهد الحضارة . ومن المناطق الغنية بالآثار التي بحاجة إلى حفريات منطقة مأرب ، والجوف التي تحاذي الربع الخالي ، إذ يتوقع أن تكون الآثار في هذه المنطقة مدفونة في جوف الصحراء . وتتوافر لدى الهيئة العامة للآثار ودور الكتب بصنعاء دراسات كثيرة جاهزة عن كل المناطق الأثرية في اليمن .

إنني أوجه الدعوة إلى دار الآثار الإسلامية في الكويت ، لتقوم بواجبها في اليمن ، فاليمن غنية بآثار الحضارات القديمة ، والآثار الإسلامية التي تنتشر في كثير من مناطقها ، مثل صنعاء وزبيد والمخا وتعز وعدن وحضرموت ، وغيرها من مناطق اليمن الطبيعية .

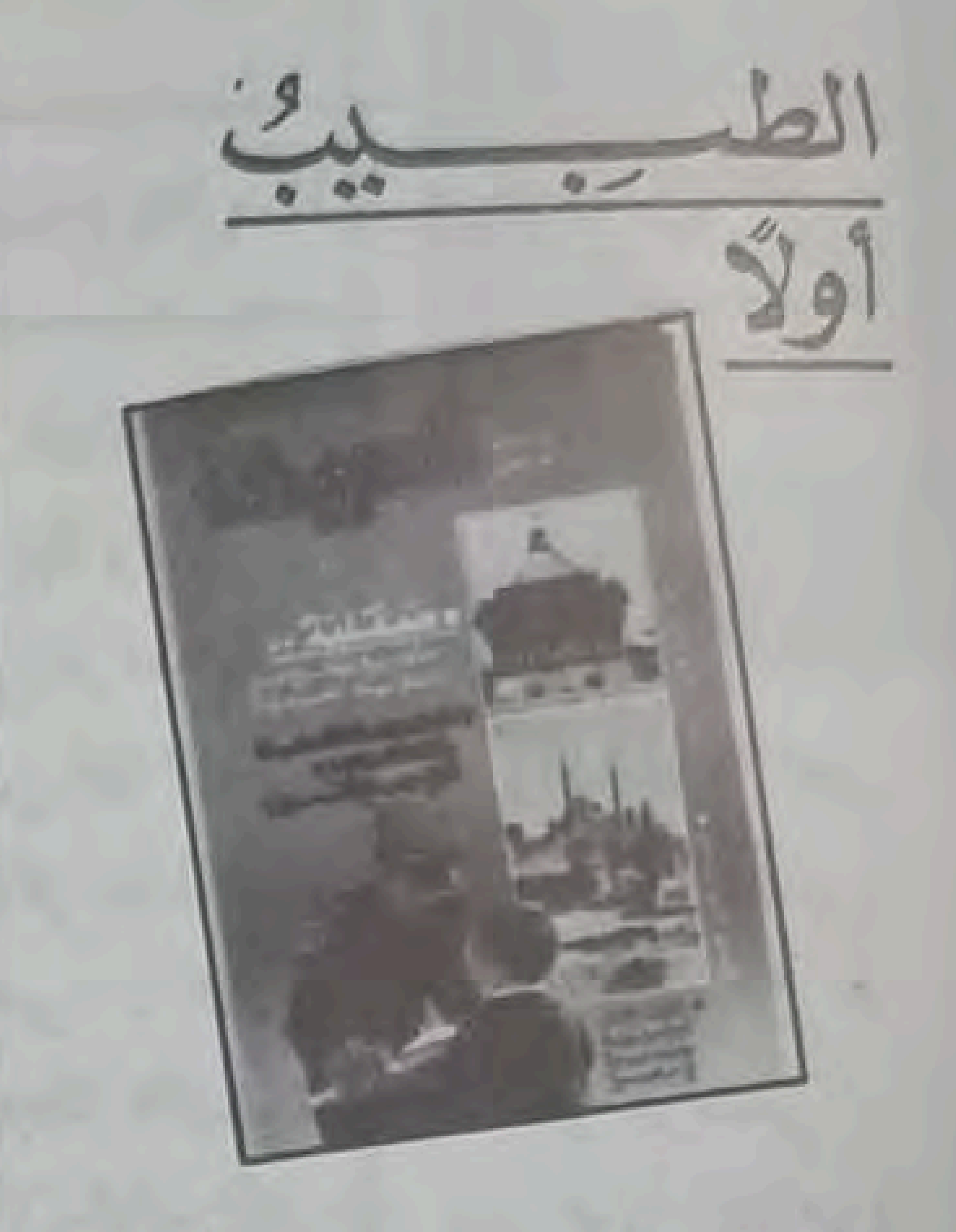
بالتنسيق بين كل من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ودار الآثار الإسلامية في الكويت ، والهيئة العامة للآثار ، ودور الكتب في صنعاء ، وقسم الآثار بجامعة صنعاء ، يمكن أن نحصل على كنوز تاريخية تعتز بها الأمة العربية كلها ، وبهذا نقطع الطريق أمام العابثين بتراثنا وآثارنا من الأجانب .

القاريء منصور سليمان عبدالله

تعز - الجمهورية العربية اليمنية

على هذه الصفحات ... ترحب «العربي» بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

الطبيب أولاً



الأستاذ الدكتور رئيس التحرير

● قرأت في (العربي) العدد (٣٧٥) فبراير ١٩٩٠ مقالا طبيا حول معالجة القرحة بالأعشاب ، بعنوان : (الغذاء والأعشاب علاج لقرحة المعدة والاثنى عشر) ، للدكتور سامي محمد علي فاستوقفتني ملاحظتان :

الأولى : في صفحة ١٣٨ ، يذكر الكاتب تحت عنوان (دور الغذاء في العلاج) : وعند الضرورة يمكن تناول الاسبرين مع كوب من الحليب .أود أن أشير هنا إلى أن مريض القرحة لايمكنه تناول الاسبرين حتى لو كان ممزوجا مع مواد واقية أو مع الحليب ، ذلك لأن الاسبرين يؤثر على القرحة بطريقين :

الأول : تأثير موضعي ، وهو الذي تحدث عنه الزميل .

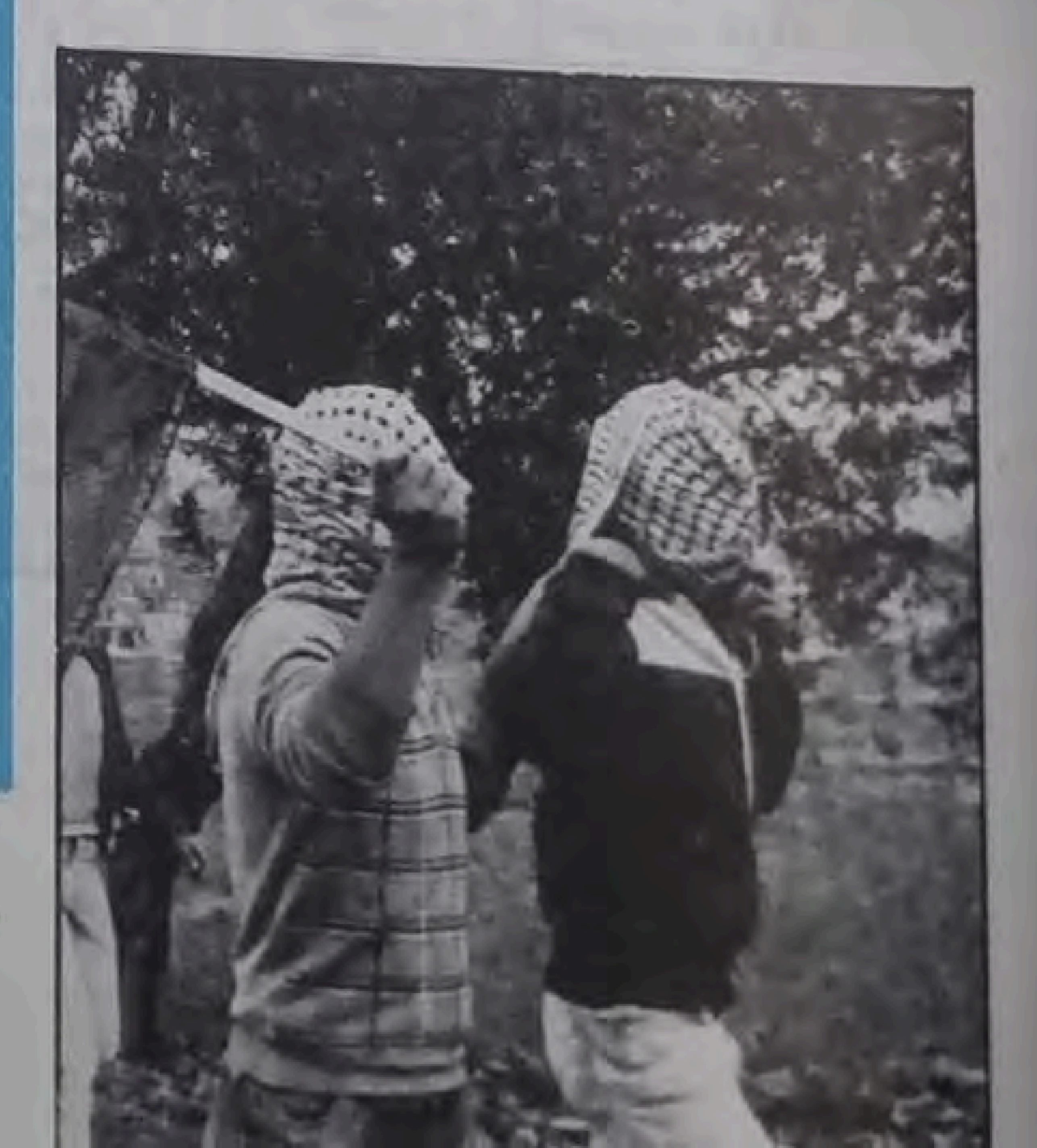
الثاني : تأثير دموي ، إذ يحدث الاسبرين تثبيطا للبروستاغلاندين ، وغياب هذه المادة من المعدة يجعل الغشاء المخاطي أكثر عرضة للإصابة بالتقرحات .

الثانية : لقد ذكر الزميل تحت العنوان نفسه أنه يمكن لمرضى القرحات أن يستعملوا (النوفالجين) مسكناً ، بينما لا يعطى هذا الدواء لهؤلاء المرضى ، وذلك بسبب التأثير المخرش الذي يحدثه جذر (الديبرون) الذي يدخل في تركيب هذا العلاج .

نستخلص من ذلك أن مرضى القرحات لا يمكنهم تناول الاسبرين أو النوفالجين ، وأفضل المسكنات لمرضى القرحة هو (الباراسيتامول) . وعليهم عند أخذهم لأي مسكن استشارة الطبيب .

الدكتور جمال حسين أبازيد
نقابة الأطباء درعا ـ سوريا

«العربي» مع أطفال الحجارة



الأستاذ الدكتور رئيس التحرير
تحية طيبة وبعد ،

● يسعدني أن أسطر لكم هذه الكلمات ، لأعبر لسيادتكم عن مدى حبي وإعجابي الدائم بمجلتكم الغراء « العربي » ، رائدة الصحافة العربية ، وعروسها ، فلقد شاهدتها منذ ثلاث سنوات،وبعد ذلك أصبحت مجلتي المفضلة ، أحتفظ بأعدادها في مكتبتي الخاصة . أشكركم جزيل الشكر على ماتقدمونه من موضوعات صادقة هادفة ، في سبيل تثقيف القاريء العربي ، وإعداده ثقافيا ، وما أجمل مجلتكم صاحبة الثوب الملون البديع التي استطاعت أن تحتل لها مكانا مرموقا بين المجلات العربية ، وذلك لأنها نجحت بدرجة امتياز ، وأصبحت المجلة المفضلة لدى الكثيرين .

حوار القراء

في العدد رقم ٣٧٦ مارس ١٩٩٠ نال إعجابي التحقيق الذي أعدته مجموعة من الكتاب الفلسطينيين تحت الاحتلال ، والذي يحمل عنوان : (فلسطين المحتلة : الحياة والموت في ظل الانتفاضة) لأننا كنا في حاجة لهذا الموضوع الذي قدم لنا صورة حية من داخل الأرض المحتلة ، مزودا بالصور المعبرة ، وكذلك عرّفنا على كيفية بدء الشرارة الأولى للانتفاضة ، وعلى أشكال المقاومة التي استخدمتها ، وعلى الصدامات والمواجهات والاشكال لزعماء الحجارة ، وتعرفنا على طرق الزواج في الأرض النضالية المحتلة ، وكيفية الحياة هناك ، ومشاكل التعليم والسكن والمعيشة والصحة . لقد قدمت مجلة « العربي » ، كما عودتنا ، عرضا شاملا عن حياة إخواننا هناك ، فأعطتنا فكرة عامة عنها ، لأن ما تقدمه مجلة « العربي » يجعلها متميزة عن جميع المجلات العربية التي تصدر في الوطن العربي . ونحن هنا في مصر سعداء لما تقدمة لنا مجلتنا الغالية من تحقيقات ومقالات ثقافية نافعة . ولا يسعني إلا أن أتقدم بكل الشكر والتقدير للسيد رئيس التحرير والإخوة العاملين بها ، متمنيا أن تقدموا العديد من هذه التحقيقات المهمة . وتمنياتي لكم بدوام التوفيق والتقدم . وفقكم الله وسدد خطاكم وجعل النجاح دائما حليفكم . وإلى الأمام .

القاريء محمد رضوان الحر

رمانة ـ شمال سيناء ـ جمهورية مصر العربية

العربي في السودان

الاستاذ الدكتور رئيس التحرير

تحية عربية وبعد ،

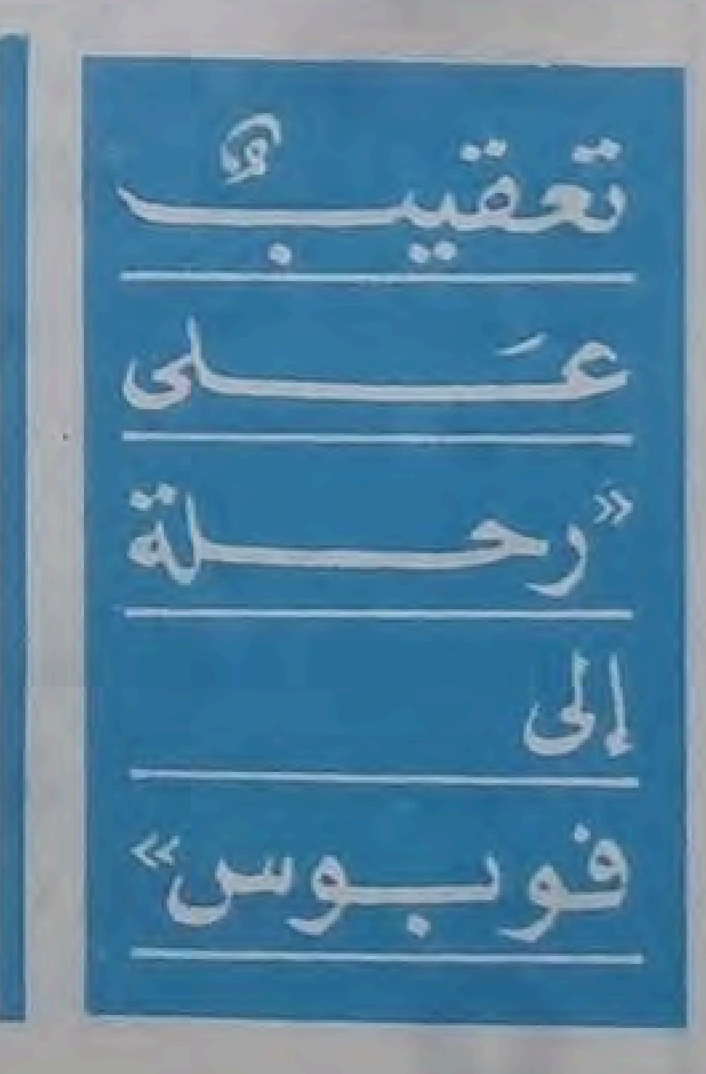
● نحن قراء العربي في السودان ، نعاني كثيراً من قلة الحصول على المجلة ، فهي لا تتوافر بالمكتبات . عسى أن يكون المانع خيراً ، كما أن هناك شكوى من أن باعة المجلة لا يتقيدون بالسعر الرسمي ، فهل بالإمكان التدخل لمنع هذه الظاهرة التي تثقل كاهل القراء هنا في ظل زيادة كل شيء حتى المطبوعات ؟

القاريء : عبدالله محمد الأمين

كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية بأم درمان ـ السودان

العربي

ظاهرة عدم التزام بعض الباعة بالسعر المكتوب على المجلة ، هي ظاهرة تتكرر بين فترة وأخرى في أقطار عربية متفرقة ، وعليك أن ترفض دفع أي مبلغ يزيد عن السعر الرسمي ، وتقديم شكوى لموزع المجلة بالسودان (دار التوزيع) .



● سرني أن أطالع في العدد ٣٧٧ ابريل ١٩٩٠ تعقيب د . مهيب عواد ، على مقالي : رحلات إلى أعماق الفضاء « المنشور بالعدد ٣٧٣ ديسمبر ١٩٨٩ » ، وأود أن أوضح أنه ، لايوجد قمر للمريخ باسم كوبوس ، كما ورد في التعقيب ، فللمريخ قمران فقط وهما : فوبوس ، ويسمي « الداخلي » لقربه من المريخ ، وديموس ، ويسمى الخارجي لبعده ، وهو صغير .

المركبة السوفيتية فوبوس (٢) ، صممت وأنشئت وأرسلت إلى فوبوس .

وهذا ما جاء فى المقال المنشور بالعدد ٣٧٣ ص ١٥٥

طاهر سكر القيسي

ردود
سريعة



● وصلت إلى المجلة من القراء مجموعة من الرسائل ، تشيد بالاستطلاع ، منهم : مأمون عبدالعزيز عنان - دير الزور - سوريا ، ومحمود السيد سمرة - الدقهلية - جمهورية مصر العربية .

● القاريء محمد وهيب طه - من عدن ، جمهورية اليمن الديمقراطية - يقترح عند نشر المواضيع العلمية في المجلة أن تتضمن مجموعة من الصور والرسوم التوضيحية . نقول له : إن معظم ما تنشره المجلة في الغالب يتضمن ما تطلبه .

● القاريء جمال كامل الشامي - من رأس البر ، دمياط ، جمهورية مصر العربية - يقترح الاهتمام أكثر بالمواضيع التي تتعلق بالعمارة وفنونها ، وبخاصة الإسلامية .

● القاريء صالح محمد المدحجي من ديدرويت ، الولايات المتحدة ، يقول : إن مقال : الصفاقة مرض نفسي للدكتور علي الوردي ، المنشور في العدد ٣٧٤ يناير ١٩٩٠ مقال رائع جدا ، وفيه الكثير من الآراء التي نتفق معها ، فقد سبق أن عارضت د . الوردي في مقالاته السابقة ، ولكن في هذا المقال نحن نتفق معه .

● القاريء السيد على ناصر الفقي - من كلية الآداب بدمنهور ، جامعة الاسكندرية ، جمهورية مصر العربية - يقترح نشر استطلاع عن محافظة البحيرة التي تعد من كبرى المحافظات بجمهورية مصر العربية ، وكذلك تخصيص صفحات للرياضة العربية .

● القارئة ربيعة بلاغيت - من ولاية غرداية ، والقاريء أوباح سالم ، من ولاية الجلفة ، والقاريء عوامر عبدالرحمن ، من العبادانه ، والقاريء عمر جميرى من ولاية البويرة وهم من ، الجزائر ، يشكون من عدم تمكنهم من الحصول على أعداد المجلة في ولاياتهم في الجزائر . ونقول لهم : إن عليهم الكتابة إلى موزع المجلة المعتمد في العاصمة الجزائرية ، وهو :
المؤسسة الوطنية لتوزيع الصحافة .

● القاريء صفوان أبو خديجة - من كاليفورنيا ، الولايات المتحدة - يقترح أن تنشر المجلة استطلاعاً عن الحاسوب ، ومدى استخدامه وانتشاره في الوطن العربي ، كما يطلب تخصيص صفحات لهذا الجهاز العلمي المتقدم .

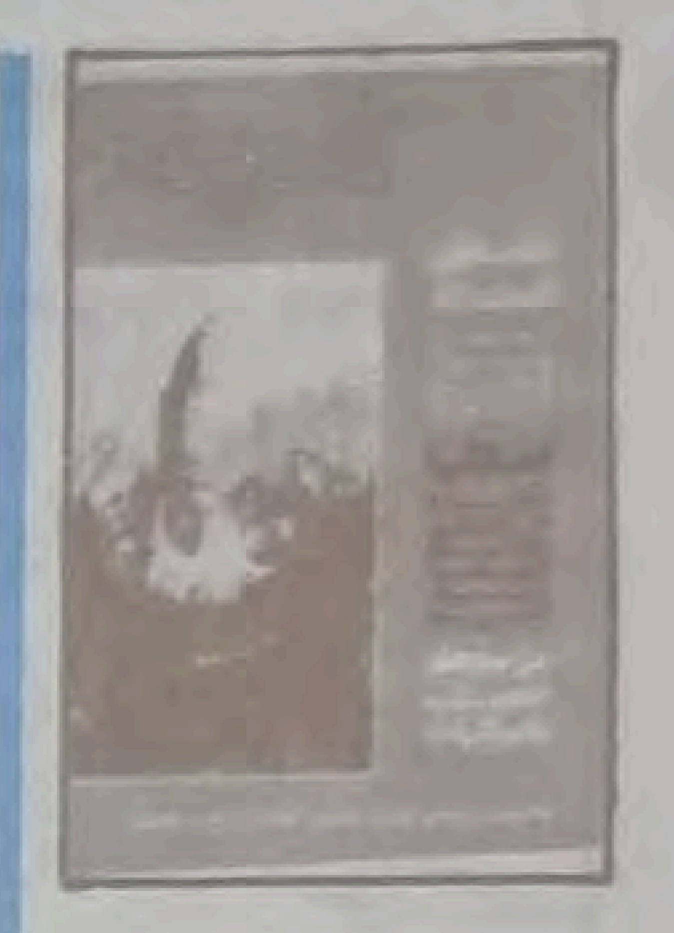
● القاريء فواز العيسى - من كلية الحقوق بجامعة حلب ، سوريا - يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع مصور عن مدينة دير الزور ، بسوريا .

● القاريء نوري محمد علي سليمان - من طرابلس ، بالجماهيرية الليبية - يشيد بدور المجلة الثقافي ، ويطلب أن تقوم المجلة باستطلاع للجماهيرية .

● القارئة أميرة الشاوش - من بنزرت ، بالجمهورية التونسية - بعثت تقترح تخصيص باب تطرح فيه بعض القضايا الاجتماعية ذات الصبغة الخلافية ، حتى يتسنى للقراء المساهمة في معرفة حقائق هذه المشكلات ، وكيفية وضع الحلول لها .

● القاريء زاهد أحمد - الناضور ، بالمغرب ، والقاريء ناصح السلوم - حماة ، سوريا ، والقاريء شاكر عبدالسلام ، من حي پام ، المغرب ، يشيدون باستطلاع المجلة : « استراليا القارة البكر » المنشور في العدد رقم ٣٧٦ مارس ١٩٩٠ .

حوار القراء



● القارىء حسن ناصر سليمان - من قرية بالوظة ، شمال سيناء بجمهورية مصر العربية - يقول في رسالته : أود أن أبدى إعجابي الشديد بالعدد ٣٧٦ مارس ١٩٩٠ ، وبخاصة حديث الشهر لرئيس التحرير « أصداء حركة الاستنارة في وطننا العربي » ، وكذلك باب « جمال العربية » الذي تناول العلاقة بين اللغة العربية ووسائل الإعلام .

● القارئة رندا بسام حبيب - من بيروت ، لبنان - تقترح أن يتم تناول موضوعات تتعلق بالأمراض النفسية ، والطرق الحديثة لعلاجها ، وكذلك عن الخوف الذي ينتاب بعض الناس من ركوبهم طائرة أو باخرة ، والحل الذي ينهي مشاكلهم النفسية هذه .

● القاريء رياض محمد شحادي - من قسم التاريخ ، بكلية الآداب ، دمشق ، سوريا - يشيد باستطلاع المجلة عن الاكتشافات الأثرية في مصر الذي نشر في العدد ٣٧٥ ، فبراير ١٩٩٠ م

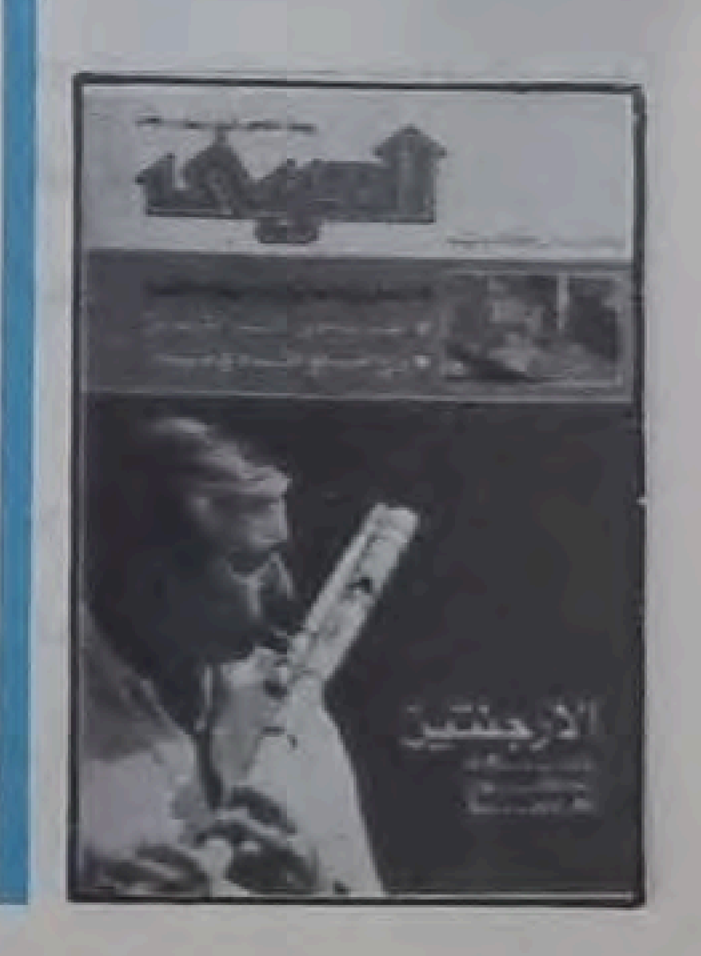
● القاريء عبدالرحمن طيب بعكر - من محافظة لواء الحديدة ، بالجمهورية العربية اليمنية - بعث رسالة طويلة ، فيها كثير من الاقتراحات والأفكار للمجلة ، ومنها تخصيص زاوية ثابتة ، تشرح مصطلحات اقتصادية معينة مثل : (التضخم ، ميزان المدفوعات ، الميزان التجاري) ليعرف القاريء عدداً من هذه المصطلحات ، تعينه على تجاوز الأمية الاقتصادية .

● القاريء رضاء عبدالرحيم أحمد كراد ، والقاريء يوسف محمد محمد ، من الجماهيرية الليبية ، بعثا رسالتين يسألان فيهما عن أسباب انقطاع مجلة « العربي » عن الجماهيرية . ونقول لهما : إن المجلة موجودة في الأسواق ، وعليهما الاتصال بالموزع المعتمد للمجلة ، وهو : المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، ص . ب ٩٥٩ - طرابلس ، ليبيا .

● القاريء يوسف اسماعيل الطائي - من حي المتنبي ، بغداد ، بالجمهورية العراقية - يقول في رسالته : إن دور مجلة « العربي » بارز في إيصال الفكر إلى عدد كبير من الناس ، على مختلف ثقافتهم . وقد شهدت المجلة قفزات كبرى ، ولكن الملاحظ أن جوائزها التشجيعية بقيت شبه ثابتة . لذا أقترح زيادة قيمة الجوائز ، كي يكون ذلك حافزاً لعدد كبير من القراء للاشتراك بالمسابقة الثقافية .

● القاريء أنور محمد - من محافظة الفيوم ، جمهورية مصر العربية - يقترح تخصيص صفحة خاصة بمتابعة شؤون الرياضة .

● القاريء عبدالله علي الحامد السليماني - محافظة شبوة ، مركز عتق ، جمهورية اليمن الديمقراطية - يشيد بمقال د . عبدالمالك التميمي ، المعنون : المسائل الأساسية في قضية الوحدة العربية ، في العدد ٣٧٧ ، ابريل ١٩٩٠ الذى وضح فيه العراقيل والصعوبات التي تقف أمام الوحدة العربية ووحدة الصف العربي . □





«السينما» والقضيّة الفلسطينيّة

تأليف : حسين العودات

عرض وتقديم : راوية حسنين*

طوال أربعين عاما ظلت القضية الفلسطينية مجالا خصبا للمعالجات السينمائية المختلفة ، فلسطينيا وعربيا وعالمياً ، لكن هل كانت هذه المعالجات بحجم القضية وخطورتها ؟

يحاول الكتاب الذي نعرضه الإجابة عن هذا السؤال .

صدر هذا الكتاب في طبعة محدودة عن دار الأهالي للطباعة والنشر بدمشق ، وهو من تأليف الباحث العربي حسين العودات . وهو في رأيي من أهم الكتب التي صدرت حول الفن « السينمائي » للقضية الفلسطينية ، إذ أنه موثق بطريقة بحثية جيدة ، كما أنه يتناول الموضوع نفسه في كل من « السينما » الروائية العربية في مصر وسوريا والعراق ، فضلا عن بلاد أخرى ، مثل المملكة المتحدة ، وألمانيا ، ويوغسلافيا ، وإيطاليا ، والولايات المتحدة ، بالإضافة إلى الحديث عن « السينما » التسجيلية . وقد بدا الكاتب مهتما بالتوثيق ، لدرجة أنه أفرد ثلث صفحات كتابه لرصد الأفلام التي تناولت هذه القضية من جميع الزوايا .

يقول الكاتب في مقدمة كتابه : « حاولت السينما العربية القيام بمهماتها ، وتأدية دورها في خدمة القضية الفلسطينية ، إلا أنها لم تنطلق من أهداف واضحة وخطط تنفيذية منبثقة عن هذه الأهداف ، بل حكمتها المبادرات الفردية ، أو الغايات التجارية ، فتم اختيار مواضيعها اختيارا طارئا أو عشوائيا ، أو اختيارا يهدف لرفع دخل « شباك التذاكر » . وفي الحالتين لم تغتنم « السينما » العربية إمكانياتها كلها في تحقيق مهمات قومية أو سياسية أو ثقافية شاملة وجادة . على خلاف ما فعلت « السينما » الصهيونية التي استطاعت أن تضع نفسها في خدمة الهدف الصهيوني العام ، وتبرمج خططها في ضوء الاستراتيجية الصهيونية واستراتيجية

* كاتبة من القطر العربي المصري

« اسرائيل » ، فاختارت المواضيع السياسية والتاريخية والثقافية التي تتطابق مع أهداف الصهيونية في كل مرحلة من مراحل تطورها ، ووضعتها في خدمة هذه الأهداف .

مهمتان متناقضتان « للسينما » :

وتحت عنوان : « دور السينما كوسيلة اتصال» يتحدث الكاتب : بأن « السينما » يمكن أن تلعب دورا إيجابيا وآخر سلبيا ، أي يمكنها أن تؤدي مهمتين متناقضتين ، فهي تستطيع أن تسهم في نشر العلم والمعرفة ، وتطوير الوعي الفردي والجماعي ، وعرض الحقائق ، وتحريض الجماهير ، وحقنها بروح الثورة ، وتعزيز أملها بالنصر ، فضلا عن تأديتها مهمات اجتماعية واقتصادية وفنية وخلقية . كما أنها تستطيع تشويه الوعي ، وأن تزور الحقائق ، وتحبط الجماهير . وتسلب تحفزها وأملها ، وتمتص توثبها ونقمتها . أو أن تمحوها أو تسهم في تحويلها إلى رأي عام تائه مسلوب تضيع منه الحقيقة . « والسينما » كأي وسيلة اتصال تخدم هدف من يملكها ، وبفاعلية تتناسب مع الإمكانيات المقدمة لها ، وحسن استخدام هذه الإمكانيات . ولها طبيعة ثلاثية كما يقول « لويس ماركو كوريل » ، فهي الآن ذات موضوع اجتماعي وثقافي ، وموضوع اقتصادي ، وموضوع سياسي .

أما عن أهمية « السينما » للقضية الفلسطينية ، فإن « سينما » القضية لم تكن على رأس سلم الأولويات الإعلامية والثقافية العربية والفلسطينية ، على الرغم من أنها الوسيلة الأهم والأكثر - كما جاء في الفصل الثاني - في مجال نقل واقع الشعب الفلسطيني وقضيته ، وتحصيل هذا الواقع ، وإيجاد تفاعل مع الشعب العربي والفلسطيني ، والتأثير عليها ، وتعميق وعيها بقضيتها وشخصيتها الوطنية ، وتحريضها على الثورة . وفي هذا الإطار يبدو أن هذه « السينما » لم تعط الأهمية التي تستحقها .

وقد بقيت التجمعات الفلسطينية فترة طويلة فاقدة كل حق في امتلاك وسائلها الإعلامية والثقافية الخاصة بها ، حتى كادت الشخصية الفلسطينية تذوب في المجتمعات التي توجد فيها التجمعات الفلسطينية ، وكادت الخصوصية الثقافية الفلسطينية ، والتقاليد والعادات تنقرض ، وكاد الوطن يتحول الى ذكريات محببة للكبار ، وحكايات معادة للصغار .

واستلزم العمل للقضية الفلسطينية التأكيد على جملة مفاهيم ، تشكل الإطار العام لنضال الشعب الفلسطيني ، أو على الأقل إبقاء قضيته حية متجددة . ومن هذه المفاهيم :

١ - الارتباط بالأرض .
٢ - هدف العودة .
٣ - الخصوصية الفلسطينية .

كانت القضية الفلسطينية هي الأكثر إلهاما للفنان العربي في « السينما » ، لدرجة أن عدد الأفلام العربية المنتجة حول القضية الفلسطينية قد تجاوز (١٥٠) فيلما منذ عام ١٩٤٨ في جميع أقطار الوطن العربي . وتتوزع هذه الأفلام بين أفلام تسجيلية وروائية ، قصيرة وطويلة . ويعود معظم هذا الإنتاج لفترة ما بعد عام ١٩٦٧م . ويلاحظ في هذا المجال أن مصر وحدها هي التي أنتجت أفلاما عن القضية الفلسطينية قبل عام ١٩٦٧م .

ويرى حسين العودات أن عدم وضوح الرؤيا لدى قسم كبير من القائمين على « السينما » العربية في ما يتعلق بالقضية يرجع إلى طبيعة الأنظمة العربية ، وسياساتها ، مما جعل النظرة للقضية برمتها نظرة جزئية دائما . ولذا لم تضع

« السينما » العربية في أى قطر عربي خطة مركزية ، تتضمن سلم أولويات محددة . وبقيت الهمة السينمائية في القطاع العام معتمدة على مبادرات فردية ، حسنة النية ، تواجه أحيانا كبحا من المنتج وصداً . وسوء النية أحيانا في القطاع الخاص التجاري ، إذ توظف القضية الفلسطينية أو جانب منها لصالح « شباك التذاكر » .

من النكبة إلى النكسة :

وإذا تتبعنا أحوال « السينما » والقضية بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، سنجد أن « السينما » المصرية قد انتجت في هذه الفترة خمسة أفلام تسجيلية ، وستة أفلام روائية ، ومن هذه الأفلام مثلا : « أرض الأبطال » لنيازي مصطفى ، « والله معنا » لأحمد بدر خان .

والأفلام التي أنتجت خلال هذه الفترة تناولت القضية الفلسطينية على أنها مادة صالحة لجذب الجمهور ، وزيادة دخل « شباك التذاكر » . كما أقحمت القضية إقحاما في مواضيعها . كما حدث مثلا في فيلم « فتاة من فلسطين » الذي أخرجه محمود ذو الفقار عام ١٩٤٨ ، حول طيار مصري يسقط على أرض فلسطين بعد إصابته ، فتعالجه فتاة فلسطينية . ثم تهاجر إلى مصر بعد أن يحتل العدو قريتها ، وتقيم عند أسرة الطيار . تحبه وتتزوجه . إذ يشكل الزواج معادلاً لتناسي الهموم ، أما الفيلم الثاني فهو « أرض السلام » لكمال الشيخ عام ١٩٥٧ ويدور حول ثلاثة فدائيين مصريين يقومون بعملية فدائية . ثم يختفي أحدهم داخل قرية فلسطينية ، وتعتني به فتاة تنتمى لإحدى أسر القرية ، ويفجر بمساعدتها خزانات وقود ، ثم يتزوجها ويعود معها إلى مصر .

ويهاجم المؤلف هذه الأفلام لأنها تناولت قضية فلسطين في إطار درامي ، تمزج فيه حكايات الحب والمبالغات،وقد بدا أن المؤلف لا يعرف شيئا عن فيلم « صراع الأبطال » إذ يذكر أن الحل فيه قد حدث من خلال الزواج والذوبان في المجتمع الجديد ، والحقيقة أن بطله قد استشهد في إحدى المعارك في حرب ١٩٤٨ . كما نسي المؤلف فيلما مهما تناول القضية تناولاً مباشراً ، وهو : « الدخيل » لخليل شوقي .

ويقول المؤلف : إنه بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ لم يكن أمام « السينما » العربية إلا خيار واحد ، هو الاهتمام بالقضية الفلسطينية وتبنيها ، والتعامل معها على أنها موضوع أساس له أولوية قصوى . وبذا توجهت « السينما » العربية إلى هذه القضية ، فزادت إنتاجها في الكم ، وغيرت مواضيعها وأساليب معالجتها ، فعالجت الأفلام موضوع المقاومة المسلحة . لكن هذه « السينما » - كما يرى المؤلف - قد خصصت أكثر من ثلث انتاجها لتتحدث عن العمل الفدائي بأسلوب « ميلودرامي » ، وبمبالغات ربما أساءت لهذا العمل أكثر بكثير مما أفادته ؛ ذلك أنها تناولت الفدائي ، على أنه رجل لا يقهر ، ولا يخاف ، وينتصر دائما ، وكأنه خارج إطار الزمان والمكان والظروف ، فهو أسطورة بعمله ونجاحه وأساليبه ، وعندما يستشهد يوظف استشهاده

لأسطورة جديدة .

من أبرز هذه الأفلام الروائية : « أجراس العودة » لتيسير عبود . وعماد هذا الفيلم هو الصدفة ـ كما يرى المؤلف ـ « والميلودراما » الساذجة الحماسية المزمنة ، ومفهوم النجومية الهوليودية . كما أن هناك أفلاماً أخرى من لبنان ، مثل : « فداك يا فلسطين ، لأنطوان ريمي ، وكلنا فدائيون ، لجاري جار مبريان » . وفي مصر فيلم : « الظلال على الجانب الآخر » لغالب شعث الذي يحكي الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أدت الى النكسة ، وهو محاولة جادة لطرح القضية الفلسطينية دون افتعال أو تصنع .

وفي هذه الفترة ، غدت القضية مهمة عند الجماهير كلها ، ولذلك فإنه كان من المتوقع جدا أن يلجأ المنتج التاجر إلى استغلال القضية من أجل الربح . وهكذا كانت دفعة الأفلام الأولى التي تصدت للقضية من أسوأ الأفلام وأكثرها تزويرا . ولم يطل الأمر بالجماهير حتى اكتشفت أن هذه الأفلام لاتمس القضية الفلسطينية ، وإنما هي استعراضات لمغامرات « كاوبوي » عربي .

وهناك مجموعة من الأفلام العربية الجادة في هذا المضمار ، من أبرزها « رجال تحت الشمس » عام ١٩٧٠ ، ويتكون من ثلاثة أقسام ، يعتمد كل قسم منها على قصة أخرجها كل من نبيل المالح ، ومحمد شاهين ، ومروان مؤذن . وقد حاولت هذه القصص عرض القضية ونشوء المقاومة والكفاح المسلح . أما الفيلم الثاني فهو : « المخدوعون » لتوفيق صالح عام ١٩٧٢ . و« كفر قاسم » لبرهان علوية عام ١٩٧٤ . وهي ، مع غيرها من الأفلام ، قد تم إنتاجها بين سوريا والعراق . وعلى الرغم من أهمية هذه الأفلام فإنها لم تستطع ، لقلة عددها ، الإحاطة بالأهداف كلها . ويخلص الى القول بأنه لم تقم مؤسسة عربية واحدة ، بوضع أهداف وأولويات وخطة تنفيذية لنشاطها « السينمائي » المتعلق بالقضية ، لكن هذا لا ينفي وجود محاولات جادة لطرح القضية ، إلا أنها عانت من غياب البرمجة ، ومن عدم الوضوح في المعالجة .

أما عن « السينما » التسجيلية وقضية فلسطين ، فقد كان الإنتاج العربي من هذه « السينما » مهما ، لكنه لم يرق إلى مستوى القضية التي يعالجها ، وعلاقتها بحاضر الشعب العربي ومستقبله . وكان هذا الانتاج ، غالبا ، متأثرا بالحدث أكثر مما كان يلتزم بأهداف محددة واضحة المعالم مسبقا ، كما كان ينشط أو تثبط همته ، ويتناول هذا الموضوع أو ذاك في ضوء سياسة حكومة القطر المعني وهمومها القطرية ورؤيتها للقضية الفلسطينية .

وقد عالج الإنتاج العربي من الأفلام التسجيلية العديد من المواضيع ، متأثرا بالأحداث الراهنة في زمن الإنتاج ، مثل : العدوان على جنوب لبنان ، القدس ومأساة الشعب الفلسطيني ، القصف والعدوان الصهيوني على المخيمات والمواقع الفلسطينية ، قمع العرب في الأراضي المحتلة .

« السينما الصهيونية »

وقد خصص الكاتب فصلا مهما تحت عنوان : « السينما الصهيونية » ، جاء فيه أن الانتاج « السينمائي » الصهيوني يتوافق دائما بين أهداف الصهيونية ودولة « اسرائيل » . وقد انقسمت « السينما » الصهيونية إلى مراحل عديدة ، الأولى بدءاً من المؤتمر الصهيوني حتى وعد بلفور حيث كانت « السينما » فيها تعمل ضمن أهداف محددة ، وسياسات تنفيذية واضحة المعالم ، فلا دور للصدفة أو للمبادرة غير



● غلاف الكتاب

المخططة فيها . أما المرحلة الثانية (١٩٤٧ - ١٩٤٨) فقد دعت فيها « السينما » الصهيونية الى الهجرة ، وبدأت تتناول قضايا ومواضيع من شأنها أن تسهم في نشر ثقافة موحدة بين اليهود ، ونشر اللغة العبرية ، وخلق إطار من التجانس بين التجمعات اليهودية القادمة من شتى الأنحاء . كما توجهت إلى تكريس الزعم بأن فلسطين أرض لليهود ، وأن اليهودي في أي مكان في العالم يمكنه (العودة) إلى بلاده ووطنه .

وبدأت المرحلة الثالثة من هذه « السينما » عقب قيام « اسرائيل » ، وعملت على بث دعايتها الصهيونية التي تغيرت بعد عام ١٩٦٧ تبعا لتغير أولويات السياسة « الاسرائيلية » ، فأخذت تركز على تبرير الاحتلال ، وإظهار « اسرائيل » دولة متقدمة متطورة ، لها الحق في الهيمنة على المنطقة العربية المتخلفة . كما تنادي بالسلام على الطريقة « الاسرائيلية » ، وفي الوقت نفسه تحاول معالجة القضايا الاجتماعية الداخلية ، وصولا الى ترسيخ ثقافة « اسرائيلية » ذات خصوصية ، فضلا عن محاولة المساعدة في ندوات جمع التبرعات للدولة العبرية .

وقد تمحورت الأعمال « للسينما » الصهيونية بعد قيام « اسرائيل » في أربعة مواضيع رئيسة هي :

١ - أفلام توراتية مقتبسة عن التوراة ، وتجسد العنصرية .

٢ - أفلام عسكرية تفلسف العنف وحب التدمير وتمجد الحرب .

٣ - أفلام تخدم أهدافا سياسية من خلال تأكيدها على آلام اليهود وإبراز عقد اضطهاد اليهود .

٤ - أفلام عنصرية مباشرة تظهر عنصر التفوق اليهودي عرقيا والتميز على الآخرين .

ويرى الكاتب في الفصل الخاص « بالسينما » الأوربية والقضية ، أنه قد بدأ الاهتمام لدى « السينما » العالمية بالقضية عقب عام ١٩٦٧ .

وقد خصص المؤلف آخر كتابه « للسينما » الفلسطينية . وما جاء بهذا الفصل مشابه لما جاء بكتاب قاسم حول عن « السينما » نفسها . ويرى أن الإنتاج « السينمائي » الفلسطيني قد عالج مواضيع متعددة متعلقة بالقضية أو الثورة . وتناول معظمها عمليات المقاومة والكفاح المسلح والعمل الفدائي ، والعدوان الصهيوني على المخيمات . وقد كان مطلوبا من « السينما » التعريف بالثورة ، وأن تواكب النهوض الجماهيري ، لذا عالجت « السينما » الفلسطينية أوضاع الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة ، ومواجهتهم لقمع العدو وهمجيته . كما تعرضت هذه « السينما » لقضايا الفن و « الفلوكلور » والعادات الفلسطينية أيضا .

وفي نهاية حديثه يؤكد المؤلف على أهمية صناعة أرشيف « سينمائي » فلسطيني ، يجمع بين جدرانه هذا الابداع المتعلق بالقضية . وهي أولوية ملحة الآن ، وتقع على رأس المهمات الثقافية ، إلى أن تتيح الظروف قيام مؤسسة « للسينما » الفلسطينية ، متعددة المهمات ، تقوم بالإنتاج والتوزيع والتوثيق . □



مكتبة العربي

مختارات

اسم الكتاب : رحلة أثرية إلى اليمن
اسم المؤلف : د . أحمد فخري ، ترجمة هنري رياض و د . يوسف عبدالله
الناشر : وزارة الإعلام والثقافة - صنعاء
عدد الصفحات : ٢٤٥ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٨



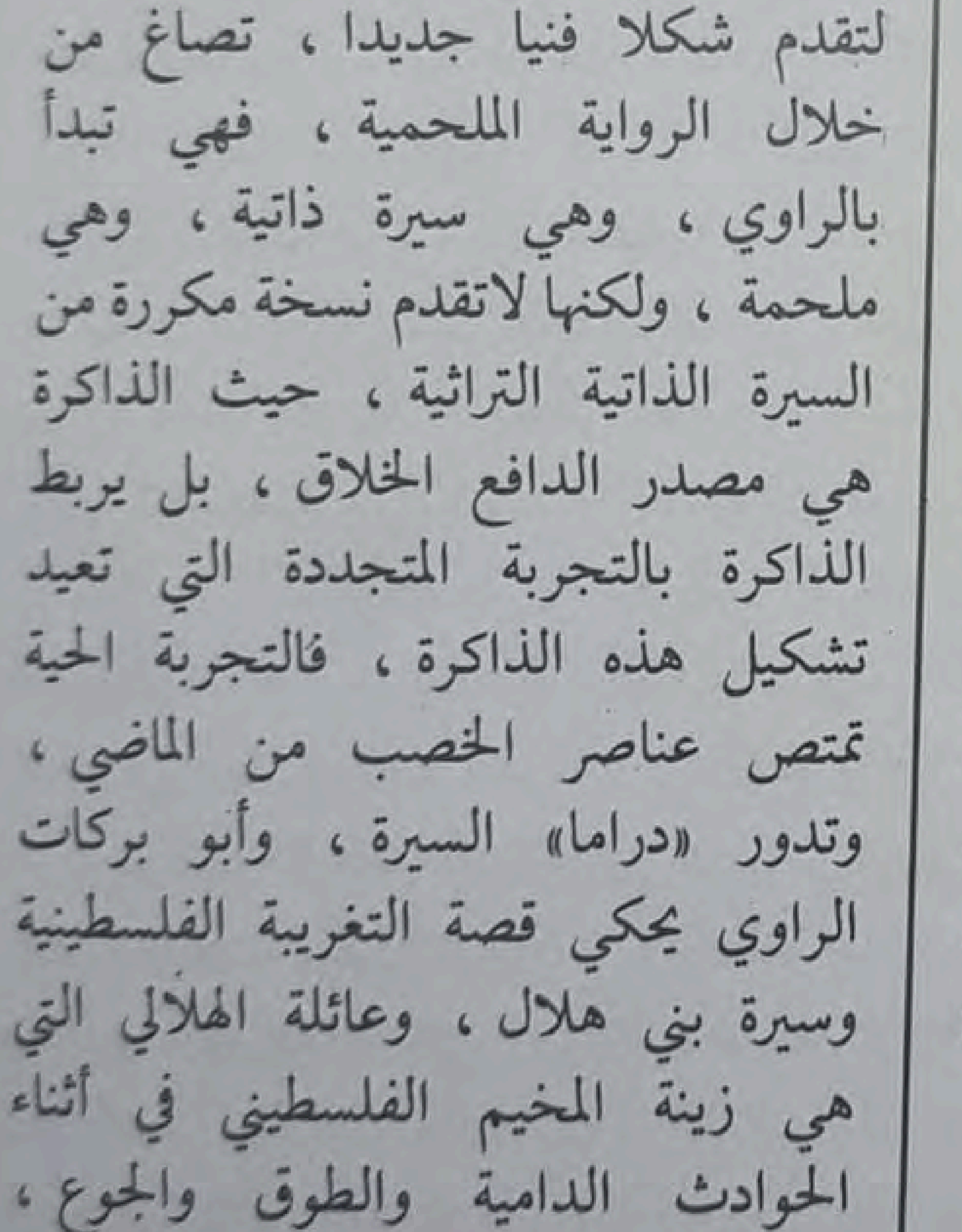
سياحة راقية عذبة على الورق ، يقدم فيها المؤلف ، وهو من أبرز علماء الآثار العرب ذوي السمعة العلمية العالمية ، وقائع رحلته وجولاته ، بين آثار اليمن ، وقراءة نقوشها ، والتعرف عليها ، فيطوف في أرجاء صرواح ، ويقترب من سد مأرب ، ثم مدينة مأرب ومعابدها ، ويقدم معلومات مهمة عن النقوش المجهولة في مأرب ، ووصفا علميا لاكتشافاته من الحجارة المزخرفة واللقيات الأثرية ، ثم وصفا بديعا لزيارته إلى بلاد الجوف . ويضم الكتاب ملحقا علميا مختصرا عن تاريخ السبئيين وديانتهم .

□□□

اسم الكتاب : الجراد يحب البطيخ . تغريبة فلسطينية
اسم المؤلف : راضي شحادة
الناشر : مصرية للنشر والتوزيع - القاهرة



عدد الصفحات : ٤٨٩ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٩٠



شكل فني جديد ، يعتمد التراث والملحمية والسيرة ، ولكنها ليست ذات المدلولات والاشكال الفنية المتعارف عليها ، فهي مزيج من هذه الأشكال ، لتقدم شكلا فنيا جديدا ، تصاغ من خلال الرواية الملحمية ، فهي تبدأ بالراوي ، وهي سيرة ذاتية ، وهي ملحمة ، ولكنها لاتقدم نسخة مكررة من السيرة الذاتية التراثية ، حيث الذاكرة هي مصدر الدافع الخلاق ، بل يربط الذاكرة بالتجربة المتجددة التي تعيد تشكيل هذه الذاكرة ، فالتجربة الحية تمتص عناصر الخصب من الماضي ، وتدور «دراما» السيرة ، وأبو بركات الراوي يحكي قصة التغريبة الفلسطينية وسيرة بني هلال ، وعائلة الهلالي التي هي زينة المخيم الفلسطيني في أثناء الحوادث الدامية والطوق والجوع ، ومرابطة الدوريات «الاسرائيلية» في الأزقة .

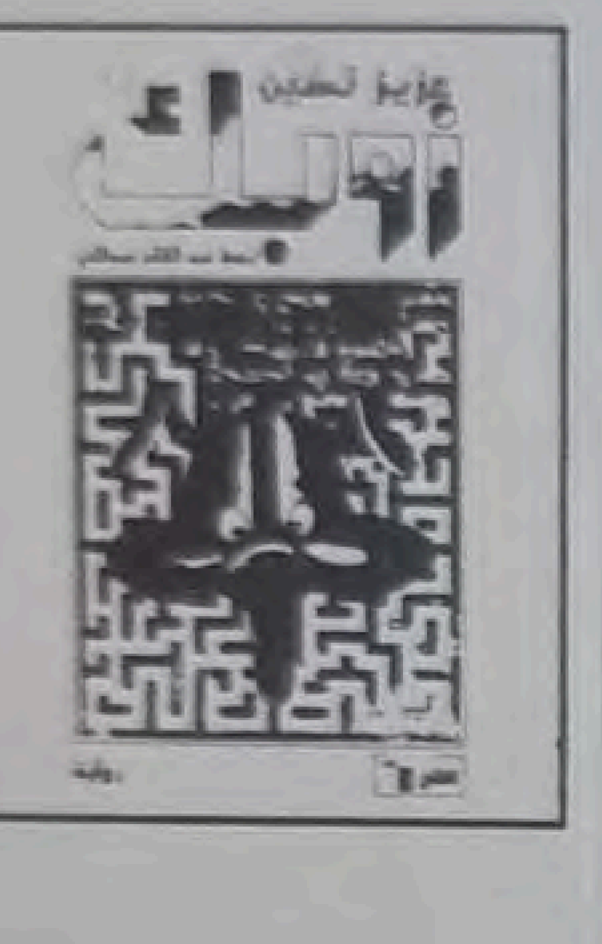
وبين الماضي والحاضر تتجدد الذاكرة بوقائع حية جديدة ، تنسج خيوطها في إطار السعي النبيل للإنسان نحو الحرية والكرامة .

اسم الكتاب : عملية اتخاذ القرار في سياسة الأردن الخارجية
اسم المؤلف : د . سعد أبو دية
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت
عدد الصفحات : ٢٥٩ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٩٠

تحاول الدراسة تبيان شكل هيكل صنع القرار الأردني ، وكيف تتم عملية الصنع هذه ، مع إعطاء نماذج تطبيقية عنها ، وإيضاح الضوابط والمقومات لصنع القرار في سياسة الأردن الخارجية ، وتتعرض الدراسة لأثر الإدراك في صنع القرار السياسي ، وكيف أثرت عقائد صانع القرار الأردني في صنعه ، في ظل نظرية الإدراك التي تفترض تعاظم دور القائد السياسي في هذا الشأن .

وتنقسم الدراسة إلى قسمين ، يتناول القسم الأول البيئة العملية ، بما فيها من ضوابط أو مقومات ، فيعرض لتأثيرات متغيرات النظام الدولي ، والنظام الإقليمي العربي ، وتأثير الكتلة الحيوية ، والخصائص القومية ، على الصعيد الداخلي . أما القسم الثاني فيعرض لدراسة تطبيقية ، حول عدد من القرارات الرئيسة في السياسة الخارجية للأردن ، وهي قرارات رفض الدخول في حلف بغداد عام ١٩٥٦ ، وقرار الاتحاد العربي مع العراق عام ١٩٥٨ ، وقرار التحالف مع مصر عام ١٩٦٧ ، وأخيرا قرار المواجهة مع المقاومة الفلسطينية عام ١٩٧٠ .

□□□



اسم الكتاب : زوبك
اسم المؤلف : عزيز نسين ، ترجمة عبدالقادر عبداللي
الناشر : الأهالي للنشر والتوزيع - دمشق
عدد الصفحات : ٣٠٢ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٨

الترجمة العربية الأولى لرواية الكاتب التركي الأشهر عزيز نسين ، المعروف بكتابته الساخرة في القصة القصيرة . وقد ترجمت هذه الرواية إلى عدة لغات عالمية ، ولاقت قبولا رائعا . والرواية نص أدبي رائع ، يحكي قصة قرية ورجل ، والرواية طافحة بالسخرية من الناس والسلطة والانتهازيين والتجار والمدلسين . ويقدم المؤلف كل هذه اللوحات بحس فني عال وسخرية مريرة لاذعة مغرقة في البساطة والتناقض ، دون افتعال أو تركيب ، فيحقق المتعة الجميلة والفائدة باقتدار سلس . □

تهنئة «بالقلب»

● كان الأديب والقاضي حفني ناصف ينتظر دوره في الترقية إلى مكان خلا بموت صاحبه ، فعلم بذلك قاض بعده في الترتيب ، فسعى لدى ولاة الأمور خفية ، حتى قلب حفني عن وظيفته وظفر بالمنصب ، فأرسل إليه حفني برقية قال له فيها : «أهنئكم بقلبي . . !»

في الأسواق



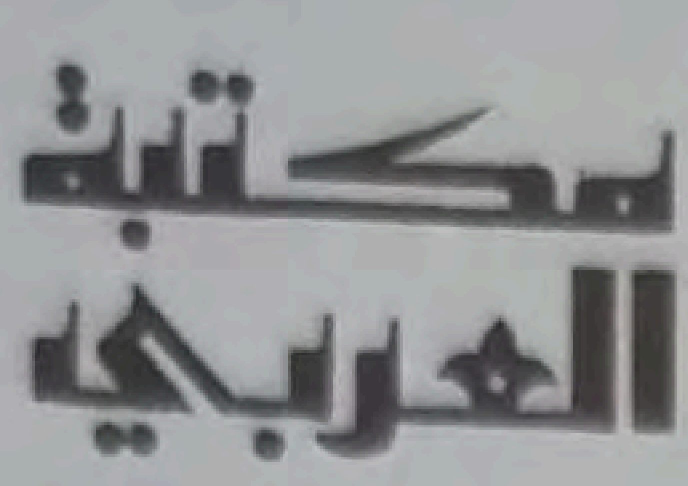
كتاب العربي

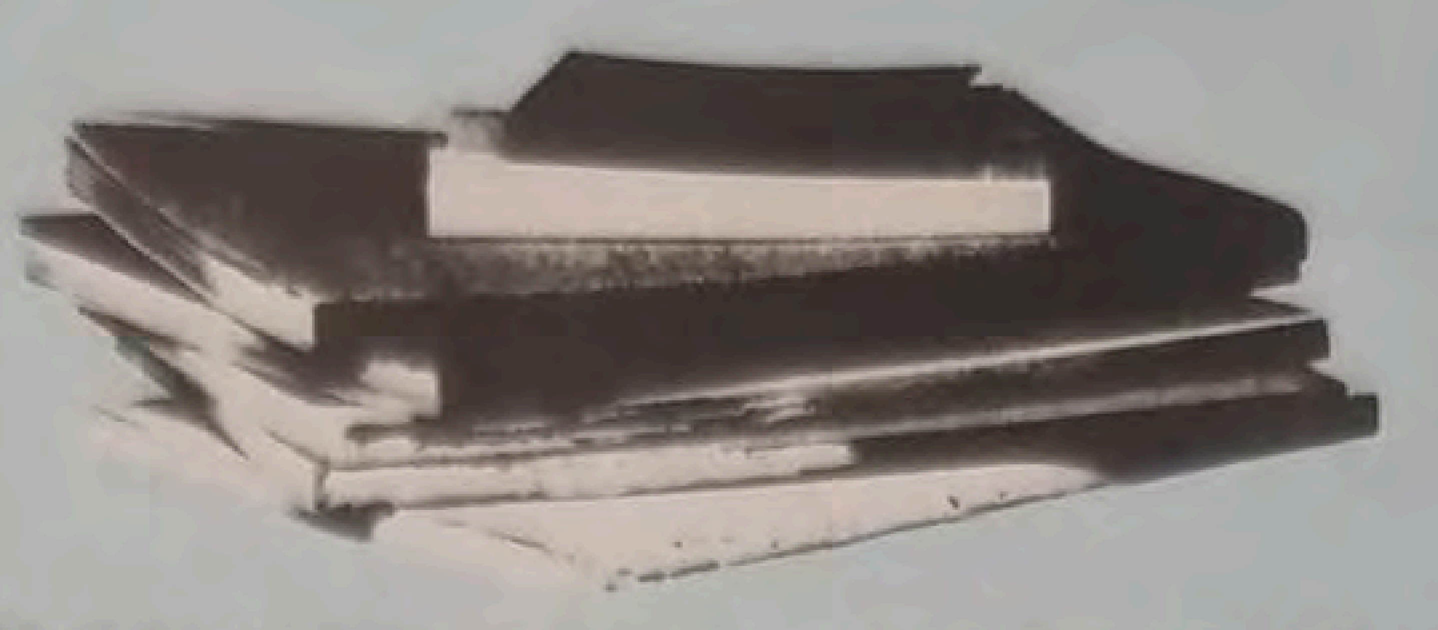
الكتاب الثامن والعشرون

نظرات في الأدب والنقد

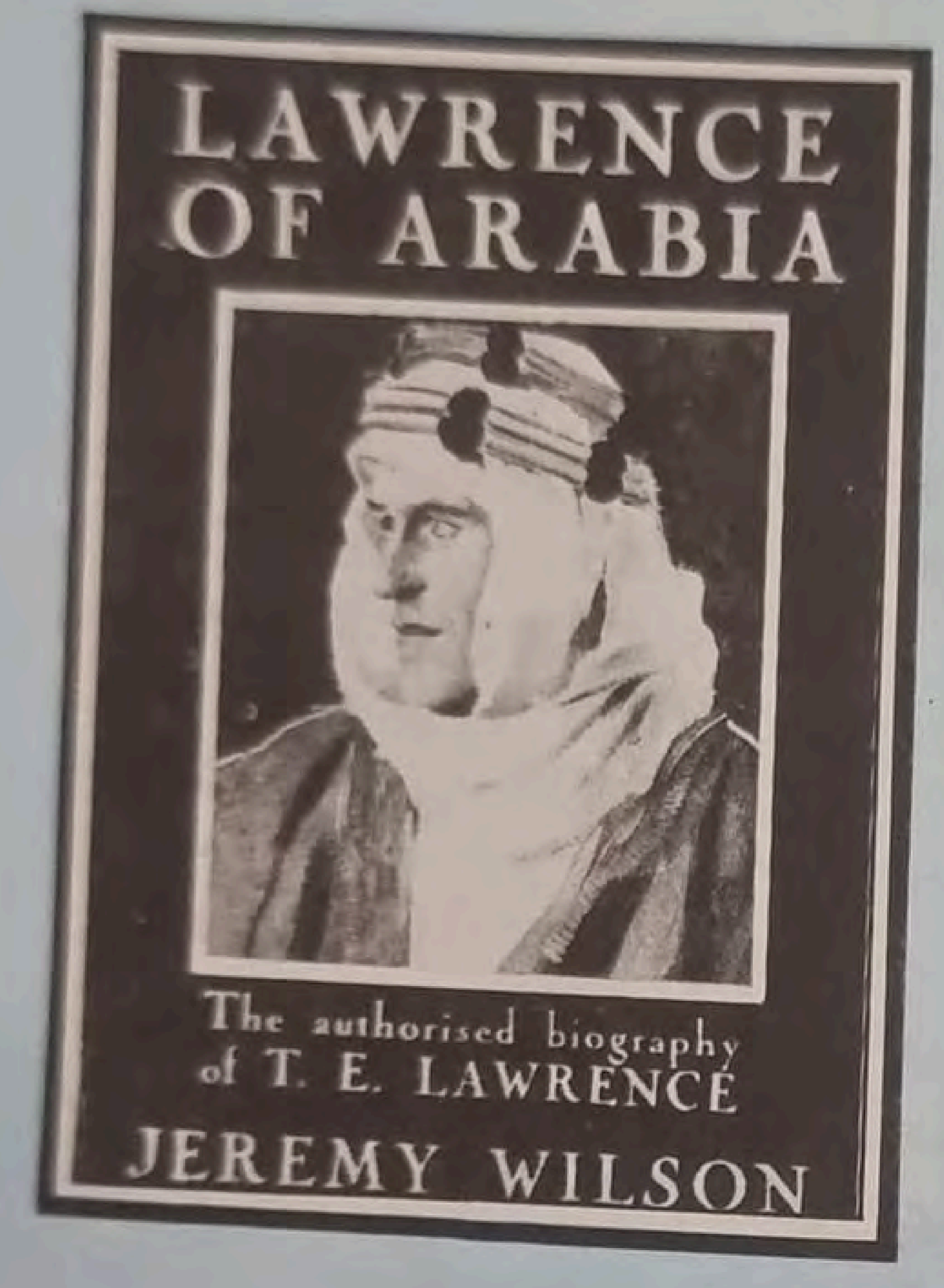
بقلم : عبدالرزاق البصير

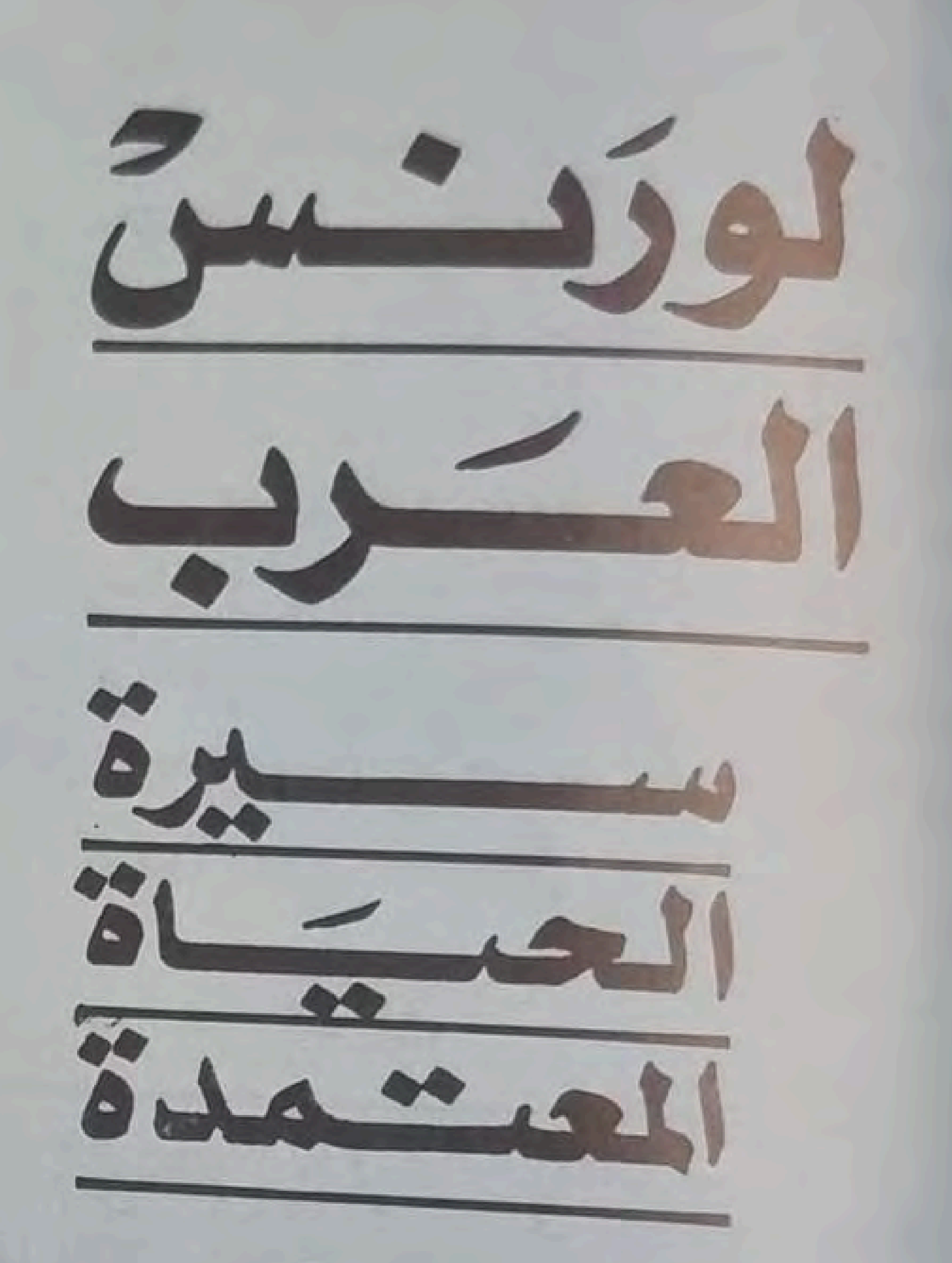
كتاب العربي مرآة العقل العربي





كتاب الشهر





تأليف : جيرمي ولسون

عرض وتعليق : سليمان موسى*

على الرغم من رحيل « لورنس العرب » عن عالمنا منذ أكثر من نصف قرن ، وعلى الرغم من أن الأحداث التي شارك فيها قد مضت منذ نحو ٧٠ عاماً فإن سيرة حياته ما زالت تغري الباحثين بالدراسة . ومن بين الكتب العديدة التي وضعت عن حياته يتميز هذا الكتاب بأنه « سيرة الحياة المعتمدة » لهذه الشخصية المثيرة للجدل .

* باحث من القطر العربي الأردني

إن أسباب الشهرة الواسعة التي تحققت للورنس ، ما تزال تبعث الحيرة في أذهان المحللين والباحثين ، فالكتب التي وُضعت في سيرة حياته لا تقل عن خمسين ، وكل ذلك وقع في مدى سبعين عاماً ، ابتداء من كتاب الأمريكي لويل توماس عام ١٩٢٢ إلى كتاب ولسون في أواخر عام ١٩٨٩ ، ومروراً بأسماء مؤلفين لامعين من أمثال : الشاعر روبرت جريفز ، والكاتب العسكري المرموق لدل هارت ، والوزير البريطاني السابق أنتوني ناتنغ ، وأستاذ علم النفس الأمريكي جون ماك ، بل إن أستاذ جامعة أمريكي اشتغل عدة سنوات لوضع كتاب يعرّف فيه بالمؤلفات التي كُتبت عن سيرة حياة لورنس .

روايات مختلفة لواقعة واحدة

لقد أدّى اهتمام المؤلف بلورنس إلى لقائه بشقيقه الأصغر الأستاذ آرنولد لورنس . ومن الواضح أن آرنولد وزملاءه ، من القيّمين على تركة توماس ادوارد لورنس ، منحوا ثقتهم لولسون ، فكلّفوه بوضع دراسة متعمقة ، تضع الأمور في نصابها ، وتعطي الرأي الفاصل في القضايا الخلافية اعتماداً على الوثائق والأسانيد ، وبخاصة تلك التي لم يطلع عليها من سبقوه . وقَبِل ولسون التكليف في عام ١٩٧٤ ، وأمضى عشر سنوات في جمع المراجع التي تعينه على القيام بمهمته ، مستعيناً بعدد من الباحثين المساعدين ، حتى توافر له ـ كما يقول ـ أكثر من أربعة آلاف وثيقة ، بين رسالة ومذكرة وبرقية وتعليق ، بخط يد لورنس .

ومن البديهي أن يترتب على المؤلف واجب المراجعة والاستيعاب لما جاء في كتابات لورنس عن واقعة معيّنة ، (ولنذكر أن لورنس كان يأتي في بعض الأحيان بروايات مختلفة لواقعة واحدة) ، وما جاء في كتابات شهود عيان أو ذوي العلاقة الآخرين ، عن تلك الواقعة المعيّنة ، وكذلك ما جاء في كتابات الباحثين والمؤلفين من تفسيرات وآراء .

هنا يمكن أن نطرح السؤال التالي : هل حالف المؤلف التوفيق في ما قصد إليه ؟ والإجابة عن هذا السؤال يمكن أن تأتي على وجهين : (أولاً) أن المختصين في دراسة تاريخ الأحداث التي عالجها المؤلف ، لا بدّ أن يجدوا الكثير مما يثير اهتمامهم ، من خلال الوثائق التي عرضها المؤلف وعمل على مناقشتها ، (ثانياً) ولكن القاريء العادي الذي يتطلع إلى متابعة سيرة حياة متكاملة ومتتابعة لرجل أخذ مكانه بين مشاهير العالم ، لا بدّ أن يُصاب بكثير من خيبة الأمل نتيجة طغيان الأحداث الجانبية المتشعبة على مجرى السيرة الشخصية .

لورنس على المحك

ومن الغريب أن جيرمي ولسون لم يعمد إلى تحليل شخصية لورنس ، على ضوء التناقضات في أقواله ، وعلى ضوء الاختلافات التي اعترف ببعضها ولم يعترف ببعضها الآخر ، إضافة إلى أقوال أولئك الذين عرفوه معرفة وثيقة . وفي رأيي أن تحليل شخصية لورنس تساعدنا على فهم أعماله وأقواله بصورة أفضل . حقاً لقد سبق للدكتور جون ماك أن وضع شخصية لورنس على محكّ التحليل النفسي ، ولكنه استعمل جانباً واحداً فقط من محكه ، وهو الجانب الذي يؤيد نظريته في أن لورنس كان إنساناً عظيماً بجميع المقاييس . ولا يستطيع الإنسان المنصف أن ينكر ما كان يتمتع به لورنس من مقدرة وذكاء وصبر على الشدائد وعزيمة وشجاعة ، ومن موهبة أدبية

فائقة في الوصف . ثم إن رجلاً استطاع أن يقنع عدداً من كبار القادة والسياسيين الانكليز والعرب (اللنبي ، وونجت ، وكلايتون ، وتشرشل ، وفيصل بن الحسين) ، لم يكن إنساناً عادياً ، ولكن المبالغات التي أحاط بها أعماله ، وتقبلها الآخرون ، هي الجديرة بالتمحيص . ويتضح لي أنه كان يتمتع بموهبة عظيمة الأهمية ، وهي موهبة القدرة على الاقناع .

على أن أهم ما في الموضوع للقارىء العربي ، هو النظر في كيفية معالجة ولسون لعلاقة لورنس مع العرب . من البديهي القول بأنه لولا العرب ما كان هناك « لورنس العرب » . ويسود الاعتقاد عند العرب أن لورنس نفسه ، وجميع المؤلفين الغربيين الذين كتبوا عن سيرة حياته ، لم يعطوا للعرب الحق الذي استحقوه عندما خاضوا غمار الحرب إلى جانب الحلفاء . فبعد أن انتهت الحرب كتب لورنس كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) ، معتمداً على التقارير المسهبة التي كان يكتبها في أثناء الثورة ، وعلى (النشرة العربية) التي كان يصدرها (المكتب العربي) في القاهرة ، بالإضافة إلى يومياته هو . ومع أن لورنس حاول أن يؤرخ للثورة في كتابه هذا ، ومع أنه شدّد فيه على أن العرب قاموا بالثورة في سبيل الفوز بحريتهم ، ومن أجل تحقيق هويتهم القومية ، فإنه في الوقت نفسه حرص على التنويه بجهوده الشخصية ، من أجل انتصار الثورة ونجاحها . والحقيقة أن كتاب (أعمدة الحكمة السبعة) الذي طُبع منه حتى الآن أكثر من مليون نسخة - على حدّ قول المؤلف - كان من أفضل الوسائل الإعلامية التي طرقت أسماع شعوب العالم ، إشادة بالثورة والتنويه بأنها ثورة شعب عريق حمل السلاح في سبيل حريته واستقلال وطنه .

مغامرات لورنس

إن فهم لورنس لنفسية العرب (والمقصود هنا البدو منهم على وجه التخصيص) هو الذي ساعده على اكتساب ثقتهم . لم يقصر ذلك الفهم على حياته معهم كواحد منهم ، بل انسحب على فهم حقيقة مشاعرهم وحقيقة مشاكلهم . وكانت البداية في ذلك أنه عارض في إنزال قوات بريطانية في الحجاز ، عندما حشد الأتراك قواتهم ، وتحولوا من الدفاع إلى الهجوم . وقد بنى معارضته على أساس .

(١) أن العرب قادرون على الدفاع عن مواقعهم .

(٢) أن نزول جنود مسيحيين سوف يدفع البدو إلى الانفضاض من حول الشريف . إن هذا الرأي الذي برهنت الأحداث على سلامته ، جاء ملائماً جدا للقادة الانكليز في مصر الذين لم يكونوا يرغبون في فتح جبهة قتال جديدة . وقد عمل لورنس على بسط مطالب العرب وحاجاتهم ، فاستطاع أن يقنع العرب أيضاً بإخلاصه وغيرته وصداقته . وهكذا تمكن بالتدريج من كسب ثقة القادة العرب والانكليز معاً ، حتى أن الأمير فيصل الذي كان لورنس يعمل معه مباشرة طلب استبقاءه في الحجاز ، عندما قرّرت القيادة البريطانية استبداله بضابط محترف أرفع رتبة كي يحل مكانه في الخدمة مع جيش فيصل ، جيش الثورة الشمالي . ومن الواضح في هذا الصدد أن فيصل ما كان ليطلب بقاءه لولا أنه لمس من فهمه واهتمامه ما جعله يختصّه بهذا الطلب .

ولكن الاستيلاء على ثغر العقبة في (يوليو) تموز ١٩١٧ هو الذي وطد مركز لورنس بصورة متميزة مع القادة العرب والانكليز . إذ قاده ولوعه بالمغامرة إلى مرافقة الحملة الصغيرة التي أرسلها فيصل إلى وادي السرحان في البادية السورية ، بقيادة الشريف ناصر ، واعتماداً على تعهد الشيخ عودة أبو تايه ، عقيد الغزوات الشهير ، بأن يحشد المجاهدين ويستولي على العقبة .

هنا لاحت الفرصة الاستثنائية التي لم يتردّد لورنس في اغتنامها لتمجيد نفسه وتضخيم

دوره ، ليس على حساب العرب فقط ، بل على حساب الحقائق وجميع المُثُل والتقاليد والقِيَم المعروفة . فبعد دخول العرب إلى العقبة ، مضى هو إلى السويس على ظهور الجمال ، مع رفاق من البدو ، وهناك ادّعى أنه تمّ الاستيلاء على ذلك الموقع ذي الأهمية العسكرية ، طبقاً للخطة التي وضعها وبفضل قيادته وتوجيهاته . ولقي الادعاء قبولاً من القادة الانكليز ، وأخذوه أمراً مسلماً به . ولو وقف الأمر عند ذلك الحد لكان « نصف مصيبة » كما يقال . ولكن لورنس ادّعى فوق ذلك أنه في أثناء شهر (يونيو) حزيران (بينما كان ناصر وعودة يحشدان المتطوعين للإغارة على العقبة) ، مضى سرّاً في رحلة استطلاعية (الأصح أن يقال تجسسية) الى نواحي تدمر وبعلبك ثم دمشق واللجاة وجبل الدروز والأزرق ، وبعدها عاد إلى وادي السرحان . ولكي لا يكشف أحد من العرب سرّ هذا الزعم فيما بعد قال : إن أحداً من رجال ناصر وعودة لم يرافقه في هذه الرحلة ، بل كانت كل قبيلة يمرّ بها ، تزوده برفاق يصطحبهم إلى أن يصل إلى القبيلة التالية . ولقيت هذه الرواية بدورها تصديقاً من قبل القادة الانكليز ، وعدوها عملاً من أعمال الإقدام التي لا يقدم عليها إلا الأبطال المغاوير . وارتفعت مكانة لورنس ، ووصل التنويه باسمه إلى أسماع رئيس الأركان في لندن . وطلب المندوب السامي في مصر منحه وسام (صليب فكتوريا .V. C) ، وهو من أرفع الأوسمة عند الانكليز ، ولكن تبين أن هذا الوسام الذي لا يُمنح إلا لأعمال الشجاعة الخارقة ، لا يمكن منحه إلا إذا شهد ضابط بريطاني آخر على وقوع العمل الشجاع . ولذلك تمّ منحه وساماً رفيعاً آخر .

كان اعتقادي وما يزال بأن أي عربي يعرف طبيعة المنطقة التي زعم لورنس أنه قام برحلته السرية خلالها ، وطبيعة القبائل البدوية في تلك المنطقة القفراء ، وهي القبائل التي كان معظمها في حالة خصومة بعضها مع بعض ، يدرك أن لورنس ما كان يستطيع أن يمرّ بها ، (وهو الذي لم تكن تخفى لكنته الأجنبية على أي إنسان) ، وأن يتحدث مع شيوخها ، بله أن يقوم أولئك الشيوخ بتأمين رفاق يصطحبونه مرحلة بعد مرحلة ، بينما البلاد في حالة حرب ، وكثيرون من أهلها ما يزالون على ولائهم للدولة العثمانية . وفي كتابي (الذي نُشر بالانكليزية عام ١٩٦٦) أوردت هذه الأسباب ، وقلت : إن نسيب البكري ، رفيق لورنس منذ خروج الحملة من الوجه ، أكدّ لي بصورة قاطعة أن لورنس لم يغب عن ناظريه يوماً واحداً . وقلت : إن آخرين غير البكري أكدوا ذلك قائلين : إن قيام لورنس بالرحلة المزعومة يعدّ من رابع المستحيلات ، إلا أن ولسون يردّ على هذا قائلاً : إنه تعلّم في الجامعة (في أكسفورد ولندن) أن يأخذ الذكريات الشفوية بالحذر الشديد ، وأنه لذلك لا يثق بصحة قول البكري . والعجيب في هذا الصدد أن لورنس نفسه أطلق الكثير من المزاعم الشفوية التي لا يؤيدها منطق ، وكان هو الشاهد الوحيد على أقواله . فكيف نثق بما يقول ، ولا نثق بقول البكري وغيره من الشهود العدول ؟

وهناك قصص أخرى ابتدعها خيال لورنس (لسبب أو لآخر) ، وأهمها قصة تسلّله إلى درعا ذات يوم ماطر ، وزعمه أن حاكمها العسكري هاجم محيي الدين حاول أن يرتكب معه الفعل الشنيع ، وأن الجنود ضربوه حتى تكشّط جلده وسالت دماؤه ، وأنه نُقل بعد ذلك إلى غرفة جانبية ، وهناك همس أحد الجنود في أذنه بلكنة الدروز أن الباب الخارجي غير مغلق ، فتمكن من الإفلات تحت جناح الظلام . ومن مزاعمه

أن الحاكم عرف هويته ولكنه خجل من الورطة ، فلم يبلغ رؤساءه بوقوع لورنس أسيراً ثم عن إفلاته من قبضة يده ! ! ومن قبيل ذلك زعمه أنه ذهب من جدة إلى مكة سراً ، لكي يوصي على صنع خنجر من الذهب . علماً بأن الذهاب والإياب كان يحتاج إلى يومين في تلك الأيام ، وأنه كان من المستحيل عليه أن يقوم برحلة كهذه دون علم موظفي دار الاعتماد البريطانية في جدة ، ودون علم حكومة الحجاز .

إصرار على الخطأ

ومع أن ولسون يكشف النقاب عن مواقف عديدة ، لم يكن لورنس دقيقاً في رواية أحداثها ، كما يكشف تناقضات كثيرة بين ما أورد لورنس في رسائله أو تقاريره ، وما أورد بعد ذلك في كتابه ، إلا أنه يصّر على صحة الأحداث الكبيرة التي زعم لورنس وقوعها ، على الرغم من المنطق ، ومن أن الشهود العرب أكدوا عدم صحتها . ومهما يكن من أمر فان عدم صحة تلك الحوادث المزعومة لا ينتقص من الجهد الذي بذله لورنس في أثناء الثورة ، ولا من قيمة محاولاته إقناع حكومته بضرورة إنصاف العرب . وعلينا أن لا ننسى أنه بذل كل جهد ممكن ، من أجل أن لا يتخلف جيش الثورة عن الجيش البريطاني في دخول دمشق ، لأنه كان يعرف أن ما سيحصل عليه العرب على طاولة المفاوضات سوف يعتمد كثيراً على قيمة إنجازاتهم في ميدان الحرب . والحقيقة أن لورنس وقف موقف معارضة متشددة من اتفاق حكومتي بريطانيا وفرنسا في أيلول ١٩١٩ على حساب العرب ، ووصفه بأنه « صفقة مخزية » . وعندما أبلغته حكومته في أوائل ١٩٢١ باستعدادها لوضع تسوية مرضية للعرب ، فإنه وافق على العمل مستشاراً للوزير ونستون تشرشل ، ومن المؤكد أنه كان له تأثير إيجابي في مباحثات مؤتمر القاهرة مارس (آذار ١٩٢١) التي اختتمت بطرح حلول تلتقي مع أماني العرب في منتصف الطريق ، من خلال إنشاء حكومتين عربيتين ، تتمتعان بقسط من الاستقلال الذاتي في العراق وشرقي الأردن .

إلا أن النجاح الذي رافق مؤتمر القاهرة لم يحالف المفاوضات التي أدارها لورنس مع الملك حسين في . جدة بعد ذلك . لقد بذل لورنس كل ما كان يملك من مواهب لإقناع الملك بالتوقيع على معاهدة صداقة مع بريطانيا ، ولجأ إلى الترغيب والترهيب ، وإلى التهديد أحياناً ، والإغراء أحياناً أخرى . ولكن الملك الشيخ اتخذ موقفاً لم يتزحزح عنه ، وهو أنه يجب أن تنصّ المعاهدة على استقلال فلسطين .

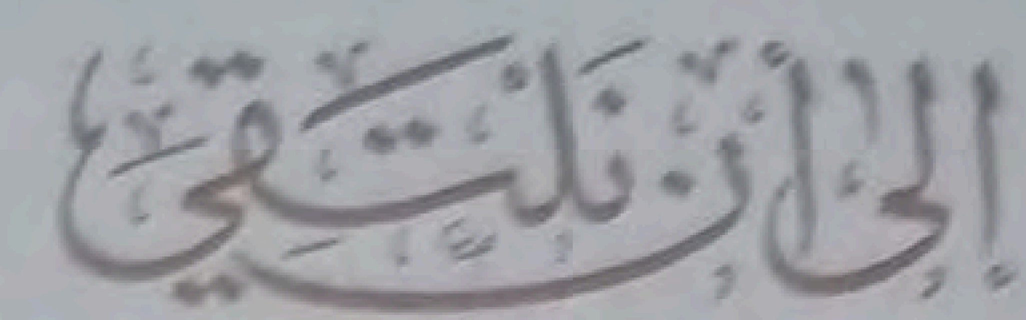
والكلمة الأخيرة هي أن المؤلف بذل جهداً علمياً كبيراً وتكريساً ذاتياً مخلصاً ، في تأليف هذا السفر الضخم . ومع أن المؤلف وجد جهةً تعينه في القيام بمهمته ، فإن جهده الشخصي جدير بالتقدير والاحترام . وبينما يقدم المؤلف مثالاً بارزاً أمام المؤلفين المتعجلين في أقطارنا العربية ، فإن الكتاب نفسه يقدم مثالاً ممتازاً على التكامل الثقافي المتمثل في دور الوثائق وفي الوعي عند عامة الناس بأهمية الاحتفاظ بأوراق الشخصيات التاريخية .

لقد قصد المؤلف أن يقدم كتابه الكلمة الفاصلة في موضوع لورنس . لكن هل يكون هذا الكتاب خاتمة المطاف لهذه الشخصية المتناقضة المثيرة للجدل ؟

لا أحد يستطيع أن يتنبأ ، والزمن وحده كفيل بالجواب . □

● أنا لاأخاف الموت ، إن الموت ينهي الحياة ، لكنه يخلد المبادىء .

مارتن لوثركنغ



حنين لا يقاوم

من يقرأ سيرة بعض الحيوانات والطيور والأسماك فإنه يقف مدهوشا ، وربما غير مصدق ما تقوم به من أفعال وعادات ، وقف العلم عند بعضها حائرا ، وقدم اجتهادات لم تخرج عن تفسير الماء بالماء أحيانا . كأن يقول : إن الأفيال تتجه إلى أماكن ولادتها حين تحس بدنو آجالها .

وكأن يقول : إن طيور اللقلق لابد أن تعود إلى أعشاشها التي ولدت فيها ، مهما تغربت وبعدت عنها (يصل ذلك إلى آلاف الأميال) ، أو أن طيور الحمام تفعل ذلك ، والقطط والخيول وغيرها كثير . والقول الجاهز عند بعض من كتبوا عن هذه الظاهرة يفيد بأن ما يوجهها هو غريزتها .

لكن كيف يتم ذلك ؟ ولماذا تتم هجرات بعضها وعودتها في مواعيد محددة إلى أماكن ولادتها ؟ ولماذا لاتتيه في الطرق والأماكن ؟ ولماذا لا تبقى في أماكن أجمل وتتوافر فيها المتطلبات الحياتية المناسبة من أكل ومناخ ؟

كل ذلك مازال علم الإنسان حوله حائرا ومبهما إلى حد ما ، ولم يصل إلى اليقين الحقيقي الواضح المعالم والأسانيد .

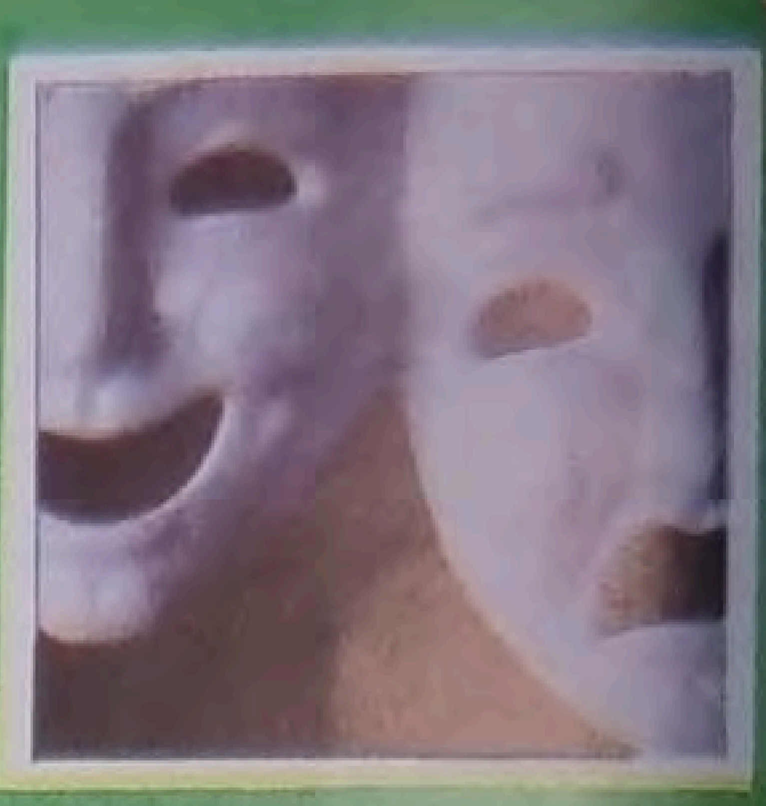
في أثناء زيارة لنا للقيام باستطلاع عن « الشرق الأقصى السوفيتي » ذكر المختصون بالأسماك هناك أن سمك السلمون يفقس بيضه في بعض الأنهار والمياه العذبة في فترة محددة ، تتراوح بين منتصف شهر آب (اغسطس) والأيام الأولى من شهر أيلول (سبتمبر) ، ثم تنمو هذه الأسماك وتكبر ، وتهاجر في فصل الربيع ، وتدخل مياه البحار والمحيطات ، ويبتعد بعضها ربما آلاف الأميال عن مكان ولادتها ، إلا أنها مهما ابتعدت وتشتت وتغربت تعود من حيث أتت بعد ثلاث سنوات من هجرتها ، على الرغم مما تصادفه من صعوبات وعقبات .

الأنثى تعود إلى دورها الأمومي فتضع بيضها ، ثم تموت طائعة مختارة بعد أن تؤدي رسالة العودة إلى أرض الولادة .

أما الذكر فإنه لا يختلف عن أنثاه في حنينه وعودته ، ثم موته في البيئة التي ولد فيها .

إذا ما كانت الطيور والأسماك والحيوانات تفعل ذلك ، فهل هذا كثير على الإنسان حين يغلبه حنينه إلى وطنه ، فيعود إليه مهما تغرب عنه وابتعد ، وهو العاقل المدبر الفاهم ؟□

سليمان الشيخ





سلسلة شهرية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

ميدان بيركلي

تأليف: جون بولدرستون
ترجمة: يوسف الشاروني
مراجعة وتقديم: محمد الحديدي

العدد ٢٥١ أول أغسطس ١٩٩٠



ليلة الحِنة - للفنان العراقي راكان دبدوب